

امجد الغايات

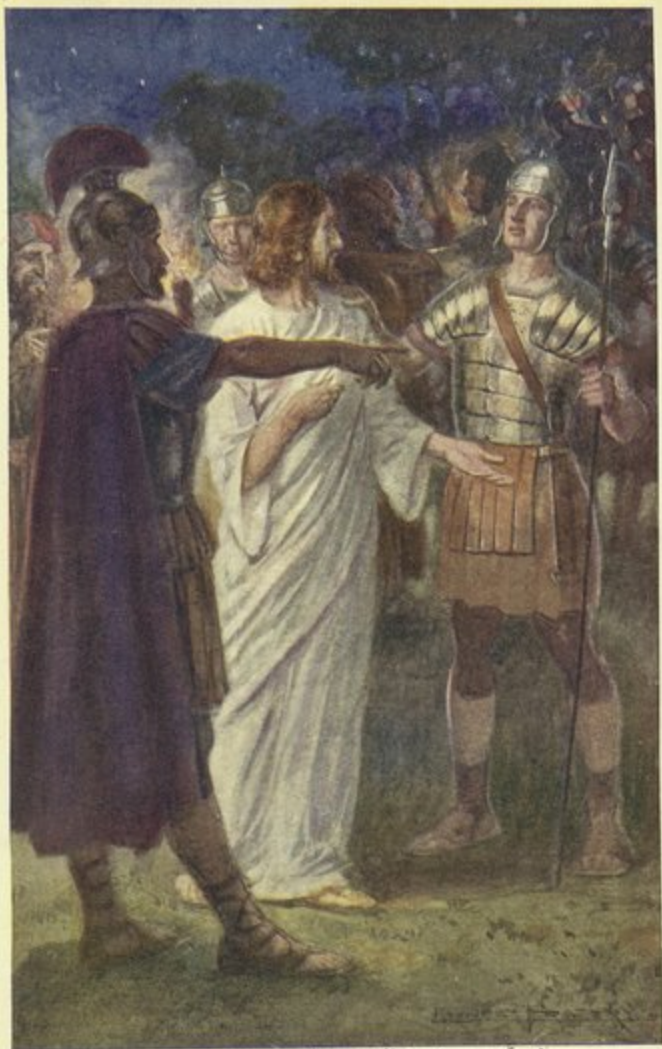
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.O.B. LIBRARY

Y. H. 11. 12. 13. 14. 15.

مكتبة جامعة القاهرة
رقم المكتبة ١٢٣٤٥٦٧٨٩٠



فَهَبَ يَسُوعَ لِمُسْتَقْبَالِ الْعَصَابَةِ (انظر وجه ١٢٩)

JESUS STOOD TO RECEIVE THE BAND WHO APPROACHED HIM.

عجد الغايات

CA
220.092
M429aA

أ. تأليف المسعر باسيل ماثيوز

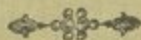
عضو اللجنة العامة لمجموعة الشبان المسيحية
ومحرر مجلة "شبيبة العالم"

"The Splendid Quest"

BY BASIL MATHEWS, M. A.

Member of the World's Committee, Y. M. C. A.

Editor of "The World's Youth."



ترجمة

ماري عجمي

صاحبة مجلة العروس في دمشق

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت ١٩٢٧

ديباجة

تسبى العصور المتوسطة أي منذ سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس بعد المسيح الى القرن الخامس عشر بالصور المظلمة لان الجهل والأمية سادا اوروبا في تلك المدة الطويلة الا ان ظلام تلك العصور لم يخل من وميض انار دجاء . وقد ترك للاجيال التي عتبت اربنا ثمننا هو النظام المعروف بنظام "الفروسية" وهو نظام كان في بادىء امره عمكرياً محضاً غرضه تدريب ابناء الاسر النبيلة وغيرهم من رجال الطبقات الاجتماعية العليا على اساليب الحرب والقتال للدفاع عن اوطانهم والذب عن اقوامهم . فنشأ تحت هذا النظام ابطال يذكر التاريخ اسماهم بالفخر والاعجاب لانهم جمعوا بين الرجولة الحقيقية والبسالة التي لا تعرف الخوف والمحاسة الدينية والدفاع عن شرف الجنس اللطيف واحترامه احتراماً يقرب من العبادة ولا تزال سير هؤلاء الابطال مغفرة لابناء قومهم يتغنى بها شعراؤهم

وليس بين النقص والروايات - الحقيقية والموضوعة - ما يؤثر المحاسة في صدور شببية هذه الايام ويبت في نفوسها الشهامة والانفة وعزة النفس وكرم الاخلاق مثل سير هؤلاء الابطال الاماجد

فلا غرو إذا اتخذ مؤلف هذا الكتاب - وهو الذي وقف حياته
على خدمة الشبيبة - من سير أولئك الأبطال الأقدمين ومن هذا
حدوهم من رجال الفضل المحدثين وسيلة لغرس هذه المبادئ السامية في
نفوس شبان هذا العصر

أما مؤلف الكتاب فهو المستر باسل ماثوز أحد أركان جمعية
الشبان المسيحية واحد أعضاء لجنتها العامة وهو رئيس تحرير مجلة "شبيبة
العالم" التي تصدر في جنيف وهي لسان حال فرع جمعية الشبان المسيحية
المختص بالأحداث . وقد زار سوريا وغيرها من بلدان الشرق منذ بضع
سنوات وأتاج الحظ لكثيرين من العاملين في سبيل ترقية الشبيبة في
هذه البلاد التعرف اليه . وقد تنضّل فسمع للطبعة الأميركية بترجمة
كتابوه هذاً النّفس الى اللغة العربية فهدت المطبعة بهذا العمل الجليل
الى حضرة الكاتبة الفاضلة الآنسة ماري عجمي فسبكته في قالب عربي
شائق نقدمه الى قراء اللغة العربية راجين ان يكون له من الفوائد
الجليلة والتأثير الحميد - وينوع خاص في نفوس الشبان - مثل ما
كان له في لغته الاصلية التي انتشر فيها انتشاراً كبيراً

المقدمة

ان روعة جمال الفرسان في تاج تلك الخفة الخافقة في صدورهم
خفقانها في صدور الاحداث ، المخاطرين في مطارف الشباب . وهي ايضا
تتاج ازدهارهم بالاخطار ، اذ انهم وارو بلفوا حد الاربعين يظلمون جادين
السعي وراء غايتهم الصامية المخوفة بالعقاب ، تائبين الى ادراكها بجمرة
ارواح الاحداث في ابان نشاطهم ، وشدة استغنائهم ولسان عالم يهتف :

”هم الالى تطيب لهم المسرات الخطرة ، آتة ترامم يفتنون من

”صخرة الى اخرى وآتة يتسلقون اشجار النخيل عابثين

”بسموفه الدائمة الاخضرار ، غائصين في البرك الباردة

”المائدة متسابئين على صلح مياهها الفضية ما تعرف

”همهم الوفاة خموداً وما تدرك حماسهم الوهاجة جداً

حتى ان اكبرهم سنّاً ، من ذهبت طرقاته ، وذوى شبابه ، لم تكن
وفرة الجهاد لتجده حماسه بل ربما خلف ورائه الغلام الكشاف لامناً
عاجزاً عن سبغ في عدوه

وعلى رغم ما كان لهم من شدة شكيمة ، وصلابة بنية ، كانوا
يستسلمون لما يسمو على مثلو في العصر ، ويسقي باظماره من عواطف

اللين والمحنان، استسلام الفتيات الضعيفات. لان واحد من كان لا يكاد
يلمح أخاً له، لم يتبع بمرأه طرفه منذ زمن طويل، حتى يبرقي على عتوه بلهفة
مستقرطاً في البكاء مسترسلاً في لثوه، وهو من خاض غمرات الموت مراراً
برباطه جأش، وعزيمة شام، وتبادل وعدوه فيها مئات الضربات
والطعنات

فهل انت الملك ارثر المتقدم غصّ بالبكاء ولم يقوَ على الكلام عند
تشبع ابطاله وكان هدهم منه وخمسين رجلاً يوم ازعموا على الرحيل
سعيّاً وراء غايهم المجيدة

مس الفرسان الذين سيجي ذكرهم في هذا الكتاب الا اناساً كالفلان
مرحاً وغبطة، وكالفتيات رقة وليناً، مع كونهم اسود الوقائع، وسماء
الحقائق!

وصف مندر ولیم وطن عالم الفرسان "بانه ذلك العالم الفرزي
الذهبي" وعدد فعالم المجيدة. فقد كان من دأبهم انفاذ الفتاة المحسنة
من قبضة المارد الغشوم وانتشالها من سجنها المظلم. وكان النذل الجبان
دائماً يخرّ مجندلاً على الثرى كما كان النارس الشهم ابداً صاحب النور
في ميدان القتال. وابتداً كانت الاثم المتمثل في شكل تنين حرسني
الجسم يستط في النهاية صريعاً يتلوى في طيات الام

ثم يلتفت الى البطولة راثياً مصرعها الاليم، نادياً زوال مجدها،
الى ان يقف متسانلاً:

"هل كان كل ما جاء ذكره من المآثر والاعجاد"
 "كذباً وخداعاً؟ هل كان كل ما ورد ذكره من"
 "الغايات السامية العصماء المثيرة المهم الوقادة لنضال"
 "تجاوب فيه صليل السيوف بذلك الصدى الرنان"
 "خرافةً ومويهاً؟"

كلاً والحق! لانه كان في عداد الفرسان دواً فنة منهم، مداهما
 نفذ الغايات المجملية، ولكنها قصرت عن ادراكها في بداية الرحلة
 خماسةً وجبتاً، وترامت على مفاعد اول فندق حلت فيه متراخية عن
 متابعة السفر لشدة تضاؤلها وخمولها. على ان الغاية المجددة ما تزال عالية
 اللوام، ساطعة الضياء، طاهرة السمعة وان في استطاعة كل يافع طريد
 من التتبع والتتبعات والراشدين اليوم، ان يتحون سوانح كل ظاهرة
 تستدعي مجازفةً بمحانها تحقيقاً لغايتها، كما كان الغاب القديم في الامس
 مرحاً للفرسان، ومضاراً للمجازفاهم.

اي قارئ العزيز، ان تحون المجازفة الكبرى ما يبرح له جزاءه وهو
 وقف على كل ذي جنان ثابت. انه الناموس الذي اجدى على اتباعه
 بتعنه ذرى المجد ولا يزال هو هو منذ آلاف السنين

ان كل من سيجي ذكره في هذا الكتاب من فرسان وحجاج هم من
 اغتنموا سوانح الفرص، وجازفوا بحياتهم في سبيل تسوير شرفات الفخر،
 على حين ان بعضهم لم يتنص سيقاً، وبعضهم لم يمس على وفاته يوم، وما من

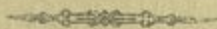
سبب لندرة الشجاعة في العالم الآنك الضربة الاولى العنيفة التي من شأنها
ان تثني كل عزيمة ساقطة عن متابعة الرحلة ، وتعددها التفرقة ، ذليلة ،
مخضلة الاجنان

ان قصص هؤلاء الابطال ، الذين جاب ذكرهم الامصار ، يحتاج
القلب ، وتمتدح المحبة ، وتلهب الحماسة ، لوفرة ما عانوا من اخطار ، وما
جازفوا به من كل رخيص ، وغال

جاء في احدى الاناشيد المدرسية الانكليزية ما يأتي : انه لا يزال
في العالم معارك تدعو كل شهم باسل الى خوض وقائعها فوقاً الى الامجاد
وان هنالك اهدافاً لكل من شاء ان يطلق الميهم

ان هذا الكتاب يحكي كل بطل جري ، يقرط في ملك فرسان
المصر ، وينضم الى تلك الحلقة الجمالسة حول " مائدة ابطال الفرس
العشرين "

اتصلوا سيوفكم ايها الشبان ، واخرجوا الى النضال الشريف الذي
يتجاوز فيو صليل الميهم بذلك الصدى الرخيم
انت ان لم يكن لك غاية جليلة ، فلست بالمجازف ، كلاً ولست
بالظافر بما تصبو اليه نفعك



تمهيد

هبت في الساعة التي سألني فيها ارنست "ما اسم تلك
 الطريق البيضاء المعوجة التي تلوح للناظر عن بعد؟" نسمة
 تحمل في طياتها نفحات النسرين الشذية وكنا نخطر في حديقة
 مسكني، ذات الاشجار القصيرة، وقد بلغنا منها مشرقاً على
 سفوح وادي ضيق تكتنفه الاكام، وكانت ازهار العليق من
 حولنا في ابان تفهمها، وغابة الشربين ورائنا متعالية اشجارها
 كأنها الوف من الرماح مشرعة في وجه السماء ثم هبت عليها
 ريح الجنوب جائشة متسارعة فوق الهضاب، مجنحة مساحة
 (ويلد)* البالغة ثلاثين ميلاً الفاصلة بيننا وبين البحر بخفة
 مدهشة

(*) ناحية تكسوها الاحراش واقعة في مناطق كنت وصري
 وصصكن الانكليزية

هناك مخدرات كلسية هائلة الجسماء قائمة في الناحية الثانية من الوادي تجنلها عيون الناظرين على رغم تراكم الدخان المتصاعد من اعالي المنازل المولفة منها تلك المدينة الآهلة الى ناحية (كنت). وكانت اشجار الزان المشبكة الاغصان نجمل قم تلك الشرفات، فتلبد الغيوم فوقها ثم تهبط الى الوادي سريعاً، فيجبل للناظر ان تلك الطريق البيضاء المنعرجة شريط ابيض جعد، يبتدى من المدينة وينتهي الى أعلى القمم، بحيث كانت نواظرنا تتبعه في غير اختيار

فقال ارنست: ما هذا الطريق المسماة "طريق المحاج"، ولماذا تنتهي الى اعلى القمم؟

وكان ارنست ممن يجيدون اختيار الاسئلة عادة، وقد رافقه ارتفاع تلك الاشجار المناطحة الغام وكان من عادته ايضاً ان يستمر على تسلق الشجرة الى ان ينتهي الى اعلى غصن فيها يقوى على حمله، وفي ادركه شعر بارتياح وسرور لان نظره

يمتد من ذلك المكان العالي الى مسافات بعيدة فيصبح قادراً على ان يجيب على اسئلته بنفسه وهنا اطلّ من اعلى شجرة تسلفها وتطاول ليرى اذا كان من آكام ابعد من تلك التي يراها ، او شجرة ارفع من الاشجار التي ينظرها ، ثم عاد حائزاً مرة اخرى ، ومن عادة الحيرة ان تخلق للعقل مشاكل جديدة . ذاك كان شأنه في معاناة ألم الصباية الى معرفة ما يجري هنا وهناك ، او رؤية ما يحيط بهذا الشفير او ذاك

الى ان سألني : " ما معنى كلمة حاج ولماذا خصّ الناس الحاج بطريق دعوها باسمه ، ولماذا جعلوها مخترة القمر بدلاً من اختراقها الوادي ؟ "

فسألته : " ما قولك في انطلاقنا الآن الى تلك الناحية الواقعة فيها الطريق للاشراف عليها بانفسنا ؟ "

فبادر الى النزول من الشجرة وذهب يعدو الى المنزل بخفة ، وعاد بعد لحظة مائلاً جيوبه تفاحاً ، حاملاً بيده حربة

من حراب اهالي غينيا الجديدة كنا نحفظها في منضدة
المظلات

فقلت له ونحن مخدران من التل قاصدين الى ضاحية
المدينة "حدث مرة في الزمن الغابر ان البريطاني القديم -
وكان يلجأ الى النبال والسهم والبلطات والرماح المصنوعة من
الشبه (البرونز) دفاعاً عن نفسه من شر اعدائه الذئاب
والبشر - شعر بلزوم اختيار موقف يستطيع ان يرى منه
عدوه - من ابناء جنسه البريطانيين - مجلاء . فلم يرَ
موقفاً يؤثره على شفير تلك الآكام . وكان هذا الوادي في
ذلك العهد كثير الآجام ، مشتبك الادغال ، لا اسمجة فيه
ولا حقول ولا خنادق - ولا تعديات !

ففتح قلب ارنست - قلب في الثانية عشرة من عمره
- خفتان قلب البريطاني القديم حماسة وطرباً بحياة كهذه ،
وهز الحربة التي في يده وزعق زعقة اذعرت جواداً فلمنكياً ،
يجرُّ عربة تنقل عليها براميل الجمعة ، فاجفل يعدو طراداً ،

فرايت ان نعطف الى شارع لاتزدحم فيه اقدام المارة
والعجلات تفادياً من احداث ضرر فادح كهذا
وكان اسم الشارع الذي قصدنا اليه سليبيشو (الزلافة)
فسألني : "لماذا اطلق القوم عليه هذا الاسم، هل لأن قدم
السائر فيه نزل اذا ما تبلل حذاءه؟"

يندر ان يعثر السائل على اجوبة تنطبق على اسئلته
اذا كان له من العمر ما لارنست الآن. ولذلك رحبت
بابتكاره وشجاعته الظاهرة، ووافقته عليها. ثم تابعنا المسير
تحت طنوف تلك المساكن الخشبية القديمة العهد الى ان
اخذنا في نسلق النل، وارنست متخذ من الحربة الغينية
عكازاً يتوكأ عليه بدلاً من عكاز الحاج

كانت الطريق مزقة، تحول دون تحدثنا، فحملنا
نظفر طوراً، وترحف على ركبنا طوراً، ثم نسير الهويناء، حتى
بلغنا الطريق البيضاء. فشبّه ارنست تلك المرتفعات
الكلسية الشاهقة الرمادية الناعمة حين وقف عن كسب منها

بكلب رابض في حراسة تلك الضواحي، وودّ وهو يلهث نعباً
 "لو تكون له يد الجبار الغليظة ليربت بها ظهره"

ثم استأنفنا الصعود جادين في تسلق تلك القمر حتى
 بلغنا ذراها فاستلقينا على الأرض كما كان يستلقي بطل كتاب
 "سياحة المسيحي" البائس حين ينال منه التعب وينضيه
 الكلال... ولشد ما كان فرح أرنست بالوصول الى بقعة
 يأخذ فيها لنفسه بعض الراحة بالاستلقاء على ظهره والحذو
 حذوي. ثم جعلنا نسرح ابصارنا أولاً في تلك الغيوم المرقطة
 الماثجة، وهي تجمع حيناً، وتنفرق حيناً، متقلبة ابداً في غمرات
 مجرّها الأزرق، الى ان تناثرت بعض قطع منها فهبطت حتى
 كللت اشجار الزان القائمة خلفنا عند ذلك التفتنا الى ناحية
 الجنوب فرأينا (ويلد) والمنحدرات الجنوبية الى ابعد مداها
 حيث (شانكتونبري رنغ) الواقعة على بعد ٥ ميلاً منا. وادرنا
 اللحاظ الى الغرب فرأينا (صري) حيث التل المدعو (ليث
 هل) رابضاً ربوض الليث عند النبع، ثم استنشينا سمات

الوادي الطيبة. فحانت منا التفانة الى العشب المتهادي طرباً
المرصع بازهار الافخوان واضرابها من ازاهير الحقول . فقال
ارنست ورمحه الصغير في يدك الواحدة ، ورأسه مسند الى
وسادة من عشب الصعر الفواح — هل لك ان تطلعي
الآن على سبب تسمية هذه الطريق بطريق الحجاج ؟

قلت : كان من عادة البريطانيين قديماً ان يتخطر على
هذه القنن منتضياً رمحاً استعداداً للطوارئ . وانقاء مهاجمة
الاعداء . وقد ادرك ان موقفه على مكان عال يشرف منه
على العدو دون ان يقوى على رؤيته لاحتجابه بالاجام الكثيفة
والادغال المشتبكة هو خير المواقف لترصد الايقاع باعدائه
والفوز عليهم . فكان يزحف حتى يبلغ اعلى قمة من تلك
المخدرات الكلسية الشاهقة المحانية فاخبط في اعالي الاكام
الوعرة هذه الشباب التي ما زال الناس بعدة يسرون فيها
الوف السنين

ففي ذات يوم بينما كان سكان مقاطعة (صري)

البريطانيون يتخطرون على هذه الأكام اذا بهم يبصرون عن
 بعد قوماً آتين نحوهم متترسين بالجان نجب رؤوسهم الخوذ
 البراقة ولم يكن قد سبق للبريطانيين ان رأوا مثلهم في هذه
 الجزائر من قبل. كان هؤلاء الجيش الروماني نفسه الذي احل
 هذه الربوع. فلما شرعوا يتسلقون الجبال طفق البريطانيون
 يرشون السهام ويطلقونها عليهم على عادتهم في صد غارات
 اعدائهم عنهم. ولكن جيش العدو لم يتراجع مذعوراً بل تقدم
 رابط الجأش صادق البأس متخذاً من الثروس درعاً منيعاً بقي
 الرووس خطر النبال زاحفاً كسلفاة ترد عنها صدقتها وقع
 النبال المنساقطة عليها تساقط الامطار وكان يتقدمهم لواء
 النسر الخماسي خافقاً في الفضاء. ولما لم يُصَب جيش العدو
 باذى ظن البريطانيون ان في نفوس اولئك الغيوم قوة خفية
 مفزعة لا يستطيعون الى مقاومتها سبيلاً فولوا الادبار
 واندحروا امام عزيمة عدوهم الجبار

ولما انتشع الضباب عن فوز الجيش الروماني المسلح سارت

صفوفة تخترق هذه الاخاديد باقدام لا تنزل ساخرة من
البريطانيين مستخفة بمسكراتهم التي لا تزال آثار بعضها
باقية على هذه المرتفعات الى اليوم. ولم يقف الجند الروماني
عند هذا الحد بل تجاوزوه الى تفويض الهرمان وازهاق النفوس
ثم تحولوا الى نصب معسكراتهم المربعة الشكل وتطهير
المستنقعات وتجفيفها وفتح الافنية وتعميد طرق الوادي
العريضة المستقيمة المنتهية الى (ويلد)

وظلت خوذهم البراقة تومض على قمم هذه الآكام
الكلسية الشاهقة حتى يوم خروجهم. وهو اليوم الذي ادبروا
فيه لايلون على شيء. وتخطوا مقاطعات همشاير وبركشاير
وصري حتى بلغوا قلب (كنت) وساروا منها الى ميناء
سوثامبتون لدن فاجاهم نيا تهديد الاعداء لبلادهم - ايطاليا -
مهيأ بهم الى نجاتها

ولكنهم ما كادوا يصممون على هجرانكلترا حتى وافاها
غيرهم من الفاتحين الاجانب. قوم امتازوا بصفرة لون الشعر

وزرقة العيون، وركوب ظهور البحار وخضد شوكتها. فلما
 زحف البريطانيون على قمة تلك الأكمة البيضاء للثبث
 من ابتعاد الرومانيين والاشراف على ما صار إليه الوادي،
 وجدوا عدواً جديداً مقبلاً عليهم من وراء زاحفاً على
 طريق لندن ولحول شعور أولئك الجنود تناثرت في الهواء

فتصادم الجيشان، فكان النصر حليف زعقات
 السكسونيين الفظيعة التي ردت البريطانيين على اعقابهم
 فانسحبوا إلى ما وراء الأكمة والوادي. فاقام السكسونيون
 استحکامات حصينة صارت بها هذه الجبال امنع من العقاب،
 حتى اذا لحوا عدواً جديداً يحاول الدنو منهم رموا ما تداعى
 منها وكانوا لعظم براعتهم في الطراد يستسهلون التسابق على
 ظهور الجبال فوق هذه الوعر الناشئة التي يتعذر السير فيها
 حتى على المشاة

ولما بلغت هذا الحد من الكلام، اذا بقرعة حوافر
 جواد، انفتحت اثرها لنرى مصدر الصوت، فلاح لنا شبح فرس

ايض الغرة والذيل، علا متنه فتى فلاح، مغيراً عليه
 كأنه هزيم الرعد. فكنا نظنه اشعة يضاء تومض على تلك
 الاكمة المستديرة الرمادية الضاربة الى الزرقه، ثم ما عمت
 حتى خبت. فعلا في اثرها ثغاء الاغنام آتياً من اسفل تلك
 الكشبان، ثم طفتت تقدم منا رويداً رويداً حتى انجلت
 عن اغنام نفضم العشب حيناً، وشغو حيناً، مقلقة طوراً الى
 حملانها السريعة النام، متابعة طوراً سيرها البطيء. فتشاغلت
 عن الحديث هنيهة بالاصغاء الى وقع تلك الاقدام الضميلة،
 الشبيه بالزئير الخافت او كأنه دوي الرعد يسمع من مدى
 بعيد وراء الغابة. ورأينا راعياً يسير خلف هذه الاسراب
 يلبس جبة قصيرة مغبرة ويحمل في يده عصا عقفاً، فاجال
 طرفه فينا، فاذا له عيننا السكسوني وزرقتهما

فاستأنفت الحديث بصوت خافت: "منذ الف سنة
 جاء السكسونيون هذه البلاد مغيرين عليها من هذه الطريق
 التي جاء منها الراعي وقطيعة. وما تزال اشكال المواشي

والخبل والناس اليوم كما كانت في ذلك الزمان الغابر
فقاطعتني ارنست هنا وهو يشكُّ رُمحهُ في الارض بقوله :
” اشعرتني نفسي الآن بما خالَج نفس البريطاني القدم ، حين
جاءه السكسوني على صهوة جواده ، فاتحاً بلاده عنوةً
وقهراً .“

وكان وهو يتكلم بحجر الارض بيدٍ الواحدة ، فماتهمي
قوله حتى رفع حجر صوان حاد الرأس وجده مغترزاً في
التراب وكان من آثار الصيادين الذين قطنوا في تلك
الجبال حتى قبل عهد البريطانيين بها

فقلت ” نعم انك قادر على ادراك ما اعتراهم من
الهدف . ولكن السكسونيين انفسهم لم يمتنعوا بهذه الاكام دوماً
اذ جاءهم من طردهم منها ، وهم الدانمركيون الأثني كانوا
اقصى جانباً واغلظ كبدًا من اولئك ، فحاربوا الخوذ والدروع
بشفرات فؤوسهم الماضية . ثم تلاهم عدو آخر فاقهم خدعةً
واستبسلاً وهو وليم النورمندي الذي عبر المانش بمجيشه

المدرع بالدروع الزردية وال مسلح بالسيف والقبووس فصار
 ولم هذا سبباً على السكسونيين ، برعون له قطعانه - كذا
 الراعي الذي مرّ بنا الآن - وبينون له القلاع ، منها هذه
 القلعة الباقية آثارها عند سفح الوادي على الأكمة الخضراء
 فرفع ارنست رأسه عن عشب الصعر الذي توسّده ،
 واجال بصره في قلعة (ريفات) التي بني من انقاضها
 مدخلٌ لبرج جديد

فأردفت " تداعت القلعة اما طريق الحجاج فباقية .
 والآن لتكلم عن الحجاج "

وكانت ثانياً ارنست اللؤلؤية تفضم تفاحة ، فاحني
 رأسه اشارة الى موافقتي على ما اقول

فاستطردت القول " منذ سبع مئة سنة حدث في
 كنتربري تلك المدينة القائمة عند سفوح هذه الآكام
 الشرقية ان رجلاً يدعى ثوماس . أ . ييكيت وكان رئيس
 اساقفة كنتربري قتل ظلماً وعدواناً امام مذبح الكنيسة

الكبرى وكان قاتلوه فرسان الملك هنري العتاة قضى هذا
الرجل دفاعاً عن عقيدته دون ان يستشعر خشية وكان
لحظة هاجموه اعزل . فدعت شجاعته ذوي الفضل في
اوروبا الى اجلاله ورفعوه الى مصاف الابطال الأباة وتسميته
بفارس الصليب - وتدوين اسمه في سجل القديسين

” واخذ الناس يتقاطرون على مدفيه في كنيسة
كنزبري من كل الاقطار ، مبتهلين الى الله ان يحبهم روحاً
كالروح التي خفت بين جنبيه . اولئك هم الحجاج الألى
دُعيت هذه الطريق باسمهم . منهم من يفد على مزاره مشياً
على الاقدام ، ومنهم من يأتيه معتلياً صهوة الجواد ، ومنهم
غرباء عن هذه المقاطعة ومنهم اوروبيون على مختلف
اجناسهم ، قطعوا في سبيل الوصول الى مجهم مئات من
الاميال مخترفين اودية هي عبارة عن مواحل ومستنقعات
اضطروا الى خوض غمراتها في طريقهم من ميناء (سوئامبتون)
الآن ان طرق الجبال كانت في الغالب جافة افترشها

الربيع فبسط عليها خائلة التي كانت تخضل^١ بندها اقدام
الحجاج الوانية الالهية المتعلة انعالاً مكشوفة لذلك دُعيت
تلك الطريق القديمة الممتدة على الاكام البيضاء "طريق
الحجاج"

كنت ترى واحدهم يسرع الخطى، ويلبس جلباباً طويل
الاذيال يشد^٢ عند وسطه بحبل لكيلا يعوق ساقيه عن
السير فوق الجبال، وندى العشب منهل^٣ على قدميه مرطباً
كاحليه، فيحنو راسه محيياً راعياً جالساً على الاكمة الخضراء
يلهو بنفخ مزماره. وربما كان جوف تلك الاكمة التي جلس
عليها يضم رفات احد الزعماء.

"يستأنف الحجاج السير فيأتي وراءه حاج آخر يركب
فرساً مطهاً. فيلتفت الحجاج السابق عند سماعه قرعة الخوافر
فيلقى فارساً مترساً تدنى سيفه في غمده الى جانبه، ونقش على
ترسه وسام الصليب، وعلمته خدوش وفروض هي آثار وقع
السيف عليه

يسير هذا الفارس قليلاً فيدرك على الطريق برذوناً
عريض الظهر غليظ الفوائم علامته طحان بدین يرتدي
قباءً رمادياً لم يبق عليه أثر من غبار الطحين بعد ان نفسته
زوجة الطحان باعثناء قبل خروج زوجها من المنزل .
يسير ذلك الفارس الحسن البزة على جواده المطم هنيئة
بازاء هذا الطحان المحقير البزة والمطية فيبدو للعيان مشهد
يكاد يكون مضحكاً بعد الفرق بين الاثنين

يمضي هذان فيخلفها بعد قليل احد تلامذة أكسفورد
ممتطياً حصاناً هزياً بارز العظام يغتم فرصة ذهول راكبه
وانشغاله في مطالعة كتاب اسود الحروف ليرتعي ما يلقاه
من العشب على طريقه . ولكن هذا التلميذ الذي يدل
ظاهرة على شدة شغف بالدرس لا يفوقه احد في اللعب
والمزاح على حساب غيره اذا عن له ذلك . ولهذا يحججه
الطحان بنظره شرراً كأنه يخشى ان يفاجئه بشيء من ضروب
مزاحه او مداعبته

”وهنا يشق كبد الفضاء صوت غناء عالٍ وإذا نبجل احد
 سراة الريف وهو شاب في العشرين من عمره قد انضم
 الى جماعة الحجاج — ولا ينقطع عن الغناء حتى يبدأ يسرد
 على اسماع رفاقه اخبار رحلاته، ويصف ما شاهده في
 فرنسا وهولاندا. فماتكاد تنضم الى تلك العصابة رئيسة احد
 الاديرة ترافقها احدى الراهبات حتى يخول المحدث عن
 مباهاته، ويلتزم جانب الصمت، وتبدأ الرئيسة على رفعة
 مقامها بجمالة القوم ومناقشتهم يتبعها في الناحية الثانية راهب
 راكباً فرساً لا يفوقه جواد الفارس النبيل جودة ولا نشاطاً
 ”قد يكون جوّ ذلك النهار كهذا الجو العاصف المتبدل
 الاشرار والارباد يدلف فيه ذلك الركب المؤلف من
 الفارس والطمان والنمليذ والخباز والراهب والتجار نحو
 الشرق. بعضهم راكب وبعض سائر على قدميه ولكل منهم
 مأرب خاص يستحث عزيمته على تكبد المشاق والمجازفة
 بالنفس في سبيل ادراكه. لقد كانت مآربهم متنوعة، فمنهم

من يطلب الشفاء من دائه، ومنهم من يلتمس ان تلع
 شهرته في عيون الناس، ومنهم من لا مطمع له غير متعة
 التنقل، ومنهم من يرغب في كل هذه المنازع مجتمعة، على
 ان شيخ ثوماس. أ. يبيكيت البطل المقدام الذي اثر الموت
 على حمد ايمانه بظل مائلاً لعيونهم ابداً فيستأنفون التقدم من
 قبره حتى اذا بلغوا (كِنْت) اطلوا على كنيسة كنتربري
 ذات الابراج المربعة الرفيعة فترتاح نفوسهم لوصولهم الى تلك
 المدينة الطامحة ابصارهم اليها. قد لا يبلغون الاكمة التي
 تشرف عليها حتى تكون الشمس قد مالت الى الاستتار
 في ناحية الشمال الغربي فينعكس شعاعها على ابراج الكنيسة
 وقبابها ونوافذها المتوجهة فيحسبون ذلك المعبد انغم قلب
 المدينة الذهبي

فتكف جماعة الحجاج هنا عن هذرها، ويملك ذلك
 المشهد المهيب حواسها. فتتخطى ازقة كنتربري العتيقة الضيقة
 على الرغم من عصف الريح، وجهتها الكنيسة الكبرى. حيث

يخرج الجميع سجوداً امام مشوى البطل الراقذ ثوماس. أ. بيكيت
 ثم يرفع الحجاج ابصارهم ويميلونها في ذلك المكان فيرون بين
 تلك الكوى والاعدة والنوافذ رسوماً ترسل ضياءً خفياً
 يشرق من فضاء ذلك المجلج المحصين، متبعثاً من ارواح
 الابطال رجالاً ونساء الألى لم يرتدوا عن نشد غايتهم حتى
 ادركوها. من بطرس الصياد ذلك الجليلي المنحس وبولس
 الخطيب المصنع والنوني البحري الذي جازف بنفسه خائضاً
 غمرات بحر الروم مراراً عدة، ابتغاء ادراك غايته، الى برثا
 اميرة غالبا التي عبرت البوغاز وعانت جهد الاسفار لتخل
 اهل (كنت) على الايمان

يخرجو الفارس والتجار والراهب والفلاح جنباً الى جنب
 ازاء اشباح اولئك الابطال، فتند ابصارهم الى ما وراء
 ثوماس. أ. بيكيت، كما امتدت ابصار اولئك الابطال
 الذين سبقوهم - رجالاً ونساء - الى ذلك البطل المجيد
 والمليك الظافر الذي قادهم اليه طريق الحجاج - الى

يسوع المسيح الذي اخط لنفسه طريقاً شاقاً الى اكمة الصليب
وما برح صدى انتصاره بعد جهاده العنيف يوقظ روح
البطولة والقداسة داعياً عشاقها الى اقتفاء اثره والحدو
خذوه.

ما وقفت عن الكلام حتى ابصرت رأس ارنست
يرتفع قائلاً:

”هل قامت في سبيل اولئك الفرسان والحجاج عقاب
استدعت مجازفتهم بانفسهم ظفراً بالغاية؟“

قلت: ”لقد كانت العقاب تعترضهم ابداً، وتهيب بهم
الى المخاطرة فان غدوت يوماً فارساً او حاجاً رأيت ان
لا بد لك منها.“

قال: ”اني ولين كنت اوتر المغامرة بنفسى لادراك ما نصبو
اليه نفسى فسماع اخبار اولئك الفرسان اللامعين يشوق قلبي“

فظفقت اروي له ما احنوى عليه هذا السفر من قصص

الابطال

فارس الغاية

منذ ألف وخمسة مئة سنة ونيف، فيما كان فرسان
 الملك آرثر* جلوساً حول مائدة الغداء جميعاً، قرع اسماعهم
 بغنة وقع حوافر جواد يخطى الباب الخارجي الى عرصة
 الدار المبلطة بالحجارة. ثم اسفر المشهد عن دخول سيدة
 تقدمت راكبة فرساً يلهث تعباً ويرفض عرقاً سار بها تواً
 الى البهو، فلم تترجل حتى صارت في وسطه، واتجهت الى
 صدر المائدة، وحيث الملك الجالس الى جانب الملكة غنيفير
 فردّ الملك تحيتها بقوله: "بورك بك ايها الأنسة
 النبيلة!"

* احد ملوك بريطانيا قديماً. يرجح انه توفي حوالي منتصف
 القرن السادس للميلاد. واليه ينسب شعراء الانكليز وروايتهم انشاء
 طغمة الفرسان المعروفة باسم "فرسان المائدة المستديرة"

فقلت: مولاي، إئذن لي ان أسأل جلالتك من
السير لونسيلوت من هؤلاء؟

فاشار الملك بينانه الى فارس رائع الطلعة وقال:
هو ذاك!

فدنت الفتاة من لونسيلوت راغبة اليه ان يصحبها الى
الغابة. وكانت العادة تنضي على كل فارس نبيل ان يهب
لتلبية اي امرأة تلمس منه شيئاً، وان يجهد جهده في خدمتها
وكانت المأدبة في ذلك اليوم حاوية ما لذ وطاب
ولونسيلوت يتلهب جوعاً لانه قضى نهاره ممطياً جواده
بما تعهد اليه من المهام، فضلاً عما يزيد الهواه الطلق من
اهاجة الشبهة الا انه على رغم ذلك هب فور طلبها واجابها
متلهلاً

”يسرني ان اكون في خدمتك ايها الانسة!“

ثم التفت الى وصيفه فأمره ان يسرج فرسه ويحضره

خوذته وترسه وسيفه . وبعد هزيمة خرج والفتاة منتحيين
الغابة الخطرة

كان الفصل ربيعاً واشعة الشمس تنكسر على اوراق
السنديان الجديدة الحمراء ، وافنان اشجار (البتولا) الفضية
تلتصع راقصة في الهواء ، فاشبه لونسيلوت وهو على صهوة
جواده الادهم مدحجاً بالسلاح ، السنديانة الضخمة بأساً ،
واشبهت الفتاة وهي على متن فرسها الضئيل المخاطر وثوبها
الموشي بالنفضة شجرة البتولا

استأنف الراكبان الطراد في ذلك الوادي الرحب
المتفرج الى ان انتهيا الى دير خرجت منه ملاقاتهما اثنتا عشرة
راوية يصحبن فتي طرير الشباب ، لم تفتح العين على مثل
بهائيه فخطبن لونسيلوت بقولهن :

— جئنا بهذا الفتي اليك ايها (السير) وقد غدوانه
وهذه بناه رجاء ان ترسمه فارساً

وتثبتاً في الامر سأل لونسيلوت الفتي عن صحة ما عقد

عليه قلبه فوافق على قولهن فرسمة قائلاً له
 "ليجمع الله فيك خلال المروءة كما جمع فيك صفات
 الجمال"

وفي اليوم التالي عاد السير لونسيلوت الى الملك آرثر
 فوجد الملك وفرسانه ساعة وصوله على اهبة دخول حجرة
 الطعام واذا بنفي هرع الى الملك قائلاً:
 مولاي ان في النهر حجراً بارزاً فوق الماء قد شكَّ
 فيه سيف!

فبادر الملك وفرسانه الى النهر فرأوا سيفاً مشكوكاً
 في صخرة نائلة نُقش على غمده بالجواهر الكريمة والذهب
 الخالص ما يأتي:

"لن يقوى على انتزاعي من هذا المكان الا من كان جديراً"
 "بان يزدان في جانبه وينبغي ان يكون خير فرسان العالم"

فتقدم عدد كبير من الفرسان محاولين انتزاع السيف
 من الصخرة فلم يقدروا على زحزحته من مكانه على ما نالهم من

مكانه على ما نالهم من العنت . واذا اعيامهم الجهد عادوا الى تناول الغداء ، فلم يكدهم عقدهم ينتظم حول المائدة حتى دخل عليهم الفتى غلاماذا بصحبة شيخ ساربه راسا الى "المقعد المحظر" من المائدة وهو مقعد لم يكن احد قد اجترأ على الجلوس عليه من قبل ، لانه معد لخير فرسان العالم واذا رأى الفرسان جسارة هذا الفتى ، الذي لم يكن قد نخطى بعد ربيع الشباب استغربوا منه هذه الفحة

بعد الغداء اعادوا الكرة وذهبوا الى النهر ، يصحبهم الملك ونساء القصر قصد التفرج على السيف المشكوك في الصخر . فتقدم الفتى غلاماذا الذي كان حتى ذلك العهد يعلق الى جنبه غمدا لا سيف فيه ، وما ان كاد يضع يده على السيف حتى جذبه من الصخر دون عناء

اكرم بها من قوة تضاهي قوة عشرة رجال ، لن يظفر بمثلها الا من كان طاهر الوجدان !

ثم دعا الملك فرسانه الى البراز بالرماح في ميدان

معد لذلك ، فكانوا يتسابقون في مضماره زوجاً زوجاً ، فلا
يثبت على ظهر جواده منهم الا غلاماً الذي ظل الى النهاية
يرمي واحداً بعد آخر لا ينكص ولا يتخلد الى عجز

فرجعوا الى كاميلوت لتناول طعام العشاء ، وكان
ذلك اليوم الواقع في عام ٤٥٤ عيد حلول روح القدس
على بطرس ويوحنا وسائر الذين اجتمعوا لتناول الطعام في
اورشليم فذهب الفرسان الى الكنيسة الكبرى أولاً ، حيث
اقامت صلاة المساء ، ولم يكادوا يجلسون الى المائدة حتى
طرق سمعهم صوت كهزيم الرعد ، واشرق عليهم نور قوته
سبعة اضعاف ضياء الشمس في رابعة النهار

فاجال كلهم بصره في وجه رفيقه على انعكاس ذلك
الشعاع المتألق ، فراه ابداع حسناً وادل على المضاء ما
كان من قبل . ثم رآوا امام كل منهم على المائدة الطعام
الذي هو اشهى من كل طعام في نظره . لكنهم توقفوا عن
تناول الطعام . اذ ظهرت لهم فجأة الكأس المقدسة محمولة

الى القاعة بايد غير منظورة. وقد علاها غطاء من الدمقس
 الالبيض الجميل. وهي الكاس التي يزعمون ان السيد المسيح
 سكب فيها الخمر في العشاء الاخير مع تلاميذه رامت الى
 سنك دمه وما قاساه من العذاب من اجل الضعفاء
 والمساكين وهو اول الفرسان والملوك واكملهم خلافا
 ولكن لم يستطع احد ممن كانوا مجنهمين في تلك
 القاعة مشاهدة الكاس ذاتها لانه لم ينج لاحد ان يراها الا
 لمن كان طاهر القلب والسريرة طاهرة لا تشوبها كدرة
 وكان السير غاوين من اشد فرسان مائدة الملك آرثر
 فهاجته الرؤيا هياجا عظيما فوقف مقسما على ان يروح
 ناشدا رؤية الكاس المقدسة بنفسه ، فاضطربت قلوب
 زملائه حماسة ، وانتصب مئة وخمسون رجلا منهم مرددين
 اليمين نفسها طموحا الى مرأى حقيقة تلك الكاس
 فصاح بهم شيخ ناسك يدعى ناسيان حذار يا قوم ، فإ
 استطاع ان يظفر بهذا المطلب الا من عاش حياته

طاهراً ، لم يتلوث ببلطحة

اما الملك ارثر فشق عليه فراق رجاله وانفراط حلقة
فرسان مائدتيه ، علماً منه انهم اذا اندفعوا وراء هذه الغاية .
فلن يجتمع شملهم الى الابد

وكان يهوى ان يرى فرسانه الاشداء يحيطون به دواماً
كانجم اثرياً ، فلا يهيب بهم داعٍ الا هبوا الى الاخذ
بناصره ، غير آلين جهداً في انقاذ الفتيات من اشراك
الفرسان العتاة ، ولا محجيين عن ابادة الثعبان اذ ينساب
من مخبئه للفتك بالناس . ولم يكن قد سبق للفرسان ان
غادروا الملك دفعة واحدة قياًماً بمثل هذا المطلب العزيز
المتال . لذلك كنت ترى عيون اهل المدينة ، انة امتطوا
افراسهم وساروا بمخترقون شوارعها ، فائضة بالدموع ، وعاد
الملك ادراجهُ مجهشاً في البكاء لا يقوى على الكلام
كان غلاهاد في جملة من خرجوا من الفرسان ناشداً
الغاية نفسها . ظهر منتضياً رحمه ، يتدلى الى جنبه سيفه الوضاء

ولم يكن يحمل ترساً يصد عنه اذى السنان
 فواصل سيره اربعة ايام متتالية بلغ في نهايتها ديراً
 ابيض الجدران عُلّق فيه ترس ناصع كالثلج في وسطه صليب
 احمر. ولم يكن لاحد ان يحمل هذا الترس الا لافضل فارس
 في العالم. وكان حامي الترس فارساً متدثراً بالبياض لا يعلم
 احد من امره شيئاً سوى انه كثيراً ما صد الفرسان الذين
 قصدوا الى هذا الدير يبتغون حياة الترس بعد ان اثنى
 فيهم الجراح. تقدم هذا الفارس من غلاهاد واهدى اليه
 ذلك الترس قائلاً: "انه لك وانت الخلق به وحدك دون
 سائر الناس"

اطرد السير غلاهاد رحلته فلقى صنوف الاهوال،
 وخاض المعارك، مرهقاً غرار عزمه، لا يثنيه شيء عن الظفر
 بالضالة حتى انتهى به المسير يوماً الى كنيسة قديمة العهد
 منفردة في الخلاء قائمة على جبل اجرد. فدخلها الناس
 السكينة والصلاة. وفيما هو يتوسل الى الله ان يمنحه الحكمة،

هتف به صوت قائل —

”سر فوراً ايها الفارس الشجاع الى قلعة الفتيات
واضرب تلك العادات المنكرة ضربة قاضية!“

وكان غلاهاد قد بلغ مسمعه ما يجري في تلك القلعة
المشومة من حوادث الفجور . فاتجه اليها ، وكانت في وادٍ
مجاور لنهر سيفرن ، تحيط ثلاثة خنادق عميقة بجوانبها فلقى
في ترعاله رجلاً مسناً ثم سبع غادات حسان ، واخيراً حاجب
احد الفرسان ، فحذره كل منهم بدوره من مغبة الدنو من
القلعة وانذره بسوء المصير وان لن يصادف هناك الا
الموت الزوام

وصدق حدسهم ، فان السير غلاهاد لم يكد يدنو من
القلعة حتى تصدت له كوكبة مؤلفة من سبعة فرسان هاجموه
دفعه واحدة ، فرمى الاول برمحٍ بينما كانت رماح الباقين
ترتد عن ترسهِ الابيض محطمة تحطياً . ففارت اذذاك فورة
غلاهاد فاستل سيفه من غمده وهجر به على اعدائه فاركنوا



فاستل سيفه وهجم على اعدائه فاركنوا الى الفرار
 GALAHAD THEN LET DRIVE AT THEM WITH HIS SWORD WITH SUCH
 FURY THAT THEY ALL FLED.

Handwritten text at the bottom of the page, likely a signature or date, possibly reading "J. H. ... 1872".

الى الفرار ، فجرى في اثرهم الى داخل القلعة ثم طردهم منها
وطاردهم الى خارجها فرأى شجناً يحمل مفاتيح القلعة فاخذها
منه واطلق سراح السجينات وقضى على تلك الاعمال المنكرة
التي كان الفرسان السبعة يجرونها في قلعة الفتيات

ثم غادر المكان مستأنفاً المسير والمجازفة بجيائه مرة
اخرى ، لا يرى فتاة وقعت في فخ احد الفرسان
الا شرار الا انقذها من أسره ، ولا يلمح بائساً وقع في ضائقة
الا بادر الى اغاثته ، واقفاً دوماً الى جانب كل حياة طاهرة
متأهباً للذود عن المظلومين في غير عجب ولا مباهاة على
الرغم من كونه اشجع الفرسان على الاطلاق . وكان بعض
زملائه الفرسان الشجعان من عصفت في رؤوسهم النخوة لنشد
الكأس المقدسة يفعلون فعله ، على انهم ولئن تشوفوا الى
رؤية وجه المسيح والمغامرة بنفوسهم في سبيل خدمة الغير
اقتداء به ، ومع جزمهم ان رؤية المسيح والشج على مثاله امجد
الغايات جمعاء واعظمها قيمة لانها فاضية على كل منا بتجنب

التراخي وحرمان اسباب الرفاه ، والتنقل في افطار العالم
 حينئذ ، والتجرد من المال دولما ، والنزوع الى مواساة من هم في
 حاجة الى مواساتنا ، ان في وطننا ، او في غيره من البلدان ،
 ولو كان من اهل الجزائر الفاصلة بينها وبيننا البحار ، فان
 اولئك الفرسان ارتدوا عاجزين عن ادراك هذه الغاية التي
 هي اعظم الغايات شأنًا

لم يفز احد منهم بروية الكاس المقدسة ولكن غلاهاد
 فاز بادراك هذه الامنية . وذلك ان ملكًا عظيم الشأن
 سجنه في حفرة عميقة الا ان ذلك الملك مرض واشرف
 على الموت فذكر اساءته الى غلاهاد وامران يؤتى به اليه
 فاستغفروه عما جناه عليه فصغ عنه غلاهاد وحينما قضى الملك
 نحيبه اجمعت آراء اهل تلك المدينة على نصب غلاهاد ملكًا
 عليهم

مضى عام كامل على تتويج غلاهاد وفي مثل اليوم الذي
 تولى فيه الملك من العام الفائت هب باكرًا على عادته

للصلاة . وفيما هو يصلي تراءى له رجل يهتف به :
 ”هلمَّ يا مَنْ تمالكْت في خدمة يسوع المسيح ترَ من صهيونَ
 الى مرآة“ ١

فسدد السير غلاهاد اليه طرفه فرأى الكاس المقدسة
 ينبعث منها النور وهي تحوي الدم الذي سال من جنب
 المسيح حين ضحى حياته كفارس حقيقي كامل يخلص شعبه
 رأى الفارس الباسل هذا المنظر فهتف :
 احمداك اللهم فلقد أسبغت عليَّ نعمتك وحقت لي ما
 ناقت اليه نفسي اياماً كثيرة ١



فارس في الثانية عشرة

- ١ -

قال لويس الصغير مخاطباً اشتهاء روبر ، والفونسو ،
وفيليب

اني لاسبتكم في العدو الى آخر الرواق ، اما انت يا فيليب
فقف عند ذيك العمود وابدأ الركض منه ، لانك اصغرنا
منّا

فانطلق الامراء الصغار متراكضين في باحات قلعة
بواسي واروقفها . ثم تسلفوا السلم المستديرة ، وتقدموا الى
حيث انتصب الحرس امام الاسوار المنيعة المطلة على النهر
والوادي السندسي

وكان لويس يحمل بين يديه كلباً صغيراً . فلما بلغوا
السور وقفوا للمداعبة ثم عادوا فهبطوا السلم لمشاهدة البزاة

ذات البصر الحاد ، التي كانت جائئة على ما وُضع لها من
 أغصان في الحظائر الملكية ، لاهية بتفلية ريشها
 كان لويس آنثني في الثانية عشرة من عمره . وكان
 على تفرق ماء البشر في حياة ، واحتدام طرب الحماسة في
 عروقه يجمع من وقت الى آخر الى الاختلاء في معبد القصر
 الملكي الضاربة عليه السكينة سرادقها ابتغاء الصلاة
 وقعت هذه القصة عام ١٢٢٦ . وفي شهر نوفمبر
 (تشرين الثاني) لم يكن لويس واشقاؤه وشقيقته ايزابلا
 وامة بلانش قد عادوا بعد من باريس

وفي ذات يوم خرجوا لملاقاة ابيهم لويس الثامن ملك
 فرنسا ، نقلهم مركبة فخمة تسير ببطء في طريق كلها مواحل
 وبينما كانت المركبة في انقلاب وارتجاج ، وجيوش
 الضباب هابطة على تلك الحفول ، والاطفال لاهين
 باضاحهم ، والرياح الهابة تنثر على احضانهم اوراق الخريف
 المحمرة اذا بمركبة اخرى قادمة الى ملاقاتهم ، فترجل منها

استقف كبير، تقدم من امهم الملكة بوجه ينم عن الالهي
 الشديد، فخياً لويس الصغير نجينه ملك، ثم انبأ الاطفال
 بوفاة ابيهم

اما لويس الذي اصبح ملك فرنسا بوفاة ابيه فلم يك
 يستوعب معنى كل ذلك حتى بعد ان رأى امه وهي المرأة
 الوفورة الرصينة تهفو جزءاً وتغشي وجهها بكفيها وتلج في
 الحجاب. الا انه منذ اول يوم من توليه العرش بذل قصاره
 ان يسلك مسلك حق

وقبل ثويجه يوم اوقف باكرًا وأدخل الى الحمام
 استعداداً لحفلة تسبته فارساً

كان استنجام الفارس في ذلك العهد رمزاً الى وجوب
 اغتساله بماء الشرف والشفوة والفضيلة

ثم أخرج لويس من الحمام وأجلس على اريكة رجة
 رمزاً الى ان الفارس الذي خاض وقائع الحروب وعاش
 مخنفًا بطهارته بحق له اخيراً ان يتوسد مهاد الرفاه

ثم نهض الفتى لويس عن سريره وألبس قباءً ناصعاً
 كالثلج فوقه قبص قرمزي رمزاً الى ان الفارس الذي يبغى
 الانتصار في القتال ، والقيام بجلال الاعمال يجب ان
 لا تلطخ جسده شائبة وان عليه ان يبذل دمه اذا دعت
 الحاجة في سبيل الله وتجيده . ثم غطى ساقاهُ بجوربين
 طويلين لونهما مغبر قائم اشارة الى التراب الذي اتى منه
 وسيعود اليه

ثم شد خصره بمنطقة بيضاء بديعة الوشي رمزاً الى الطهارة
 ايضاً ونكران الذات . ووضع على عنقه مهازان احدهما
 لتذكيره بالمبادرة الى اغاثة الغير ، والاخر بالطاعة لله
 والاذعان لشيئته وأُتي بقبعة بيضاء لالوثة عليها فوضعت على
 راس لويس اشارة الى كيف يجب ان تكون دوماً نفس
 الفارس الصادق الكريمة الطاهرة من كل لظحة

ولما انجزوا الباسه على هذه الصورة ، وهو مضطرم
 الشوق الى يوم يصير فيه شاباً ليغدو فارساً باسلاً حقاً ،

ذهب الى كنيسة سواسون . وثقل الاسلحة الجديدة الرائعة
وجنا على ركبتيه للصلاة والدرس على ساعده ، والزرد على
صدره . والقنازان الفولاذيان يغطيان معصميه
ثم أُلِي لَهُ بسيف مجرد يخطف بريقة الابصار ، واذ
وُضع بين يديه ، سمع قائلاً يقول

”اليك هذا النصل ، باسم الآب والابن والروح للقدس
اياك ان تستلّهُ الأَدفَاعاً عن نفسك ، وذوداً عن حياض
الكنيسة المقدسة وتأيداً للآيمان وخلاً لاعداء المسيح . وحذار
من ان تجرح به بريئاً“

وعقب قول الشيخ الذي ظل يردد هذه الكلمات على
سمعه هنيهة سكون طبع في خلاله قبلة النجاة على جبهة
لويس الصغير ولمس منكبة بالسيف ، فاصبح فارساً وهو
لا يجاوز الثانية عشرة

في اليوم التالي جرى الاحتفال بتتويجه في كنيسة رئيس
الكبرى وكان الضباب كثيفاً . فسبق لويس الصغير الى المذبح

حافي القدمين حيث اقسم يمين الامانة على البر بشعبه
ومراعاة العدل في احكامه . فقلده ولتر رئيس اساقفة
(صانص) سيف العدالة , ووضع في مناه صولجان الملك ,
وفي يسراه عصا عاجية الراس , رمزاً الى الرحمة والعدل .
واخيراً تناول رئيس الاساقفة التاج الموضوع على المذبح
وزين به راس لويس

ندر في العالم من حمل من الغلمان في يوم واحد , ما
وضع على منكب لويس من المسؤولية الفادحة على طرارة
سنه

كان امراه فرنسا وفرسانها في ذلك العهد ابداً في شقاق
لذلك ارتأت والدة لويس وهي امرأة حاذقة قديرة ان تحمل
عن ابنها الشطر الاكبر من ذلك العبء الثقيل , فلم يكن
لويس يدري بما هو جاري . وقد جمعت حولها من اصطفهم
من ارباب الذكاء والبسالة لمعاضدتها على حكم البلاد
كان المذهب الذي عهد بتربية لويس اليه يرى ان

ضربة بخيصراته ضربة واحدة كل يوم تجدي عليه، اساء
 اولم يسي. فكان يضربه في اغلب الايام. وقد تكون تلك
 الضربات نافعة للملك غلام يحاول كثير من المحجب افساده
 بالتمليق تقرباً منه. وكان مركزه كملك وفارس وتلميذ
 يقضي عليه ان يكون رصيناً. ولكن الناس من حوله كانوا
 يحبون سماع ضحكته وظلوا كذلك مدى حياته. حتى كان
 لظفره يستطيب النكات ولو كانت عليه. وكان طوال
 عهد حياته يخرج الى التزهة ماشياً على ضفة السين، او
 متغلغلاً في الاحراج، مطارداً السنجاب، متغيباً ظلال تلك
 الاشجار الوارفة، او ماخراً بقاريه عباب السين، وهو اشهى
 انواع التزهة في نظره.

— ٢ —

ولما بلغ لويس اشدّه كان اهيف القد، ضامر الجسم،
 رشيق الحركات، خفيف الشعر، ذا عينين زرقاوين لها
 وداعة عيني الحمامة. وجماع القول انه اصبح فارساً وسيم

الطلعة ، جذاب الملاح . قال فيه احد اصدقائه العظام
وقد رآه متمطياً من جواده المطم ، سائراً بين قرع الطبول ،
تكلل هامة الشقراء خوذة فولاذية ، شاهراً سيفاً ضخماً
”انه لاجل فرسان العالم“ فلا عجب ان خلب نهي الناس
حتى الباب الفتيان بملاحته الساحرة

جلس ذات ليلة في بهو الرحيب ، وكانت انوار
السرج الصفراء تلالاً على وجهه ، ولهب الموقد ترسم على
الجدران ظلالاً غريبة مرتعشة ، وفرسانه القدماء جلوساً من
حولهم يصفون له وقائع الحروب ، ومقاتل الفرسان ، التي
خاضوا اموالها . الى ان وصلوا الى ذكر الوقائع التي خاضها
ريتشارد ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد ، وظهوره فيها
على صهوة جواده المطم شاهراً سيفه سائراً في طليعة جيشه
لجلاء العدو عن الارض المقدسة

اثرت هذه القصص في قلب لويس تأثيراً بليغاً ،
واضرمت حماسه وادهشه استبسال اولئك الفرسان الألى

شهد ومعارك الصليبيين والى نقش على اسلحتهم رسم
الصليب اشارة الى انهم من جنودها وكانت جذوات الخطب
في الموقد تعكس على وجوههم المكمدة التي لوحتها الشمس،
لهيها الضئيلة، فظهر للعبان عندها ندوب الجراح التي انزلتها
بها سيوف صلاح الدين العربية المحدباء

لشد ما كان تحمس لويس، حتى انه خف الى اصدار
امره بتعبئة الجيش لاضرام حرب صليبية. فعلت قرقة
المحدادين وطرق السنادين في تهيئة الاسلحة الجديدة،
وتوافدت اسراب الجياد، لتسرج وتعد لها اللجم، وتسيطر
استعدادا للقيام برحلة بعيدة. ولما حان موعد سفر الجيش
والسير الى تلك المباراة السنوية وراء البحار استأذن الفرسان
السيدات اللواتي يحبونهن في هجرهن، فاجابت كل منهن
فارسيها بقولها:

”اما وانت راحل في سبيل الله، فما ارضى ببقائك لاجلي،
وساخرع اليه تعالى ان يرعاك وينفوك على الاستبسال“

وتخز الفرسان للسفر فالتقوا عند مفارق الطرق
 يجامعات من الصليبيين، فشيعتهم النساء بنفوس متساقطة
 هالعة حتى لم يستطعن كفكفة الدموع

أما لويس فقصده قبل توديع أمه إلى كنيسة القديس
 دنيس وجثا هنيئة عند قبري والده وجده، ثم أتت معطفه
 عليه وتناول عكازه، وعاد إلى باريس حافي القدمين
 كانت بلانش أم لويس امرأة ثابتة الجنان حتى كان
 الناس يحملون منها الشجاعة على محمل النسوة. إلا أنها لدن
 توديع ابنها لم تنالك عن ذرف الدموع، بل أخذت تبكي
 بدمع الغمام حتى كاد يغشى عليها. وجعلت تصيح:

”كيف يقوى قلبي أن يفجد على مفض فراقك يا بني
 الوسيم. لأؤثر أن امزق قطعتين على تحمل غصص بعدي
 عنك. فقد كنت لي خير ابن ضمنته أحشاء امرأة!“

ثم تشهق مرددة:

”يا بني الوسيم! يا بني الجميل! يا بني العزيز! يا بني

الشفيق ! قلبي يحدثني بانني لن اراك ثانية !

خرج لويس مدججا بسلاحه اللامع واعلى صهوة
جواده الادمى المطم فارتفعت اصوات الجموع بالهتاف
وعلا في الفضاء دوي الطبول، وخفت الاعلام، ولعلت
اسنة الرماح وهي الوف مؤلفة فسار لويس بين هذه الجموع
وعينا امه تبعائه حتى غاب عن الابصار. اخترق لويس
وفرسانه وجنده حقول فرنسا وكرومها حتى بلغوا ثغر مرسيليا
حيث كانت تنتظرهم عشرات السفن فصعد اليها لويس
ورجاله وخبولهم ولما سكنت الجلبة وهذا الضجيج رفعت المراسي
فمخرت السفن تشق عباب بحر الروم. كتب احد الذين
رافقوا تلك الحملة ما يأتي :

”لم يمض على بسط الاشرعة ومضي السفن تدفمها
الريح الى عرض البحر ربح طويل، حتى غدونا لا نرى غير
الافق والماء وكانت الريح تزيدنا امعانا عن ابر الذي
خلقنا على اديمه يوما بعد يوم“

1875



وكان لويس في مقدمة من وثبوا

LOUIS WAS THE FIRST TO LEAP OUT OF HIS BOAT.

ظلوا سائرين حتى اشرفوا على شاطئ رملي واطىء
 يمتد الى مسافة بعيدة. كان ذلك الشاطئ ساحل افريقيا،
 ارض مصر، فحلت القوارب لاتزال الجنود الى البر. وكان
 لويس في مقدمة من وثبوا - وغور الماء لا يزال عميقاً - الى
 ملاقات العدو المتربص لهم، المؤلف من قبائل البدو
 والنوبيين السود وجنود المالك. فشهروا سيوفهم على لويس
 وهزوا رماحهم فوق رأسه يهددونه بالقتل ولكن ذلك لم
 يحدث به وجلاً ولا اضطراباً

ثم دوى في الفضاء بغتة صوت انفجار هائل اندلع في
 اثره لسان من النار وصفه كاتب شهد الواقعة بقوله انه
 يعادل برمبلاً من الخل في الانساع ورحماً كبيراً في الطول
 وبشبهه في منظره تيناً هائلاً طائرآ في الفضاء فردد الجنود
 صراخ الذعر - "النار اليونانية!"

تعود العرب قذف القلاع ب تلك النار العجيبة المملكة
 فكانت تحصد صفوف الافرنج حصداً وترك حصونهم

اطلالاً بالية. على ان لويس وجنده استأنفوا القتال واستبسلا
فيه حتى الموت، فانتصروا في بعض المواقف، وخذلوا في
أكثرها، لأن بعض الفرسان هجروا ساحة الوغى مرتدين
الى وطنهم، وبعضهم سقطوا في ساحة الوغى بعد استبسال
جنوني فانفتحت في صفوفهم ثغر صبَّ العدو قوائمه عليها
وفي الأخير ايقن الملك باستحالة استرجاع الأرض المقدسة
وأب ومن بقي من جيشه الى فرنسا، فصدق فيهم قول
شاعرهم

”رأيهم يحرون اذ يال الخيبة في كل مكان“
”باطلاً جهدوا في نشد الغاية السامية“
”باطلاً منوا انفسهم بلمح رؤياها الرائعة“

— ٢ —

يبدان انكسار لويس في تلك الحرب راضئ على السعي
وراء غاية اسمى من استرجاع القدس، وهي ترقية بلاده
واسعاد شعبه

وعند اوبته احنفي انقوم باستقباله احنفاء شائفاً ، فجاز
 تلك الشوارع الفذرة راكباً بين معالم الزينة ، والذيرار
 المتأججة ، والاجراس الفارعة . ولم تكن حماسته بعد الحرب
 ادنى اشتعلاً منها قبلاً ، فقد ظل لظاها يضطرم في صدره
 خلال الستة عشر عاماً التي تلت الموقعة بشدة اضطرامه
 أبان فورتها . واضحي يداب دون انقطاع طيلة تلك الاعوام
 الواحدة الهادئة على تحسين احوال فرنسا حتى باتت اسعد
 ام الارض واعظمها حولاً وظولاً

كان يفيق باكراً معتزلاً الضوضاء في وضع ملابسه
 على غير ما يفعل امثاله الملوك ، المتباهون بوفرة الوصفاء ،
 فيشب من فراشه ويصلح شعره ويتدثر بقباء من الضوف
 يضع عليه صداراً لا كمّ له ، ساتراً منكبيه بوشاح من نسيج
 (الثافتا) الاسود متقبعا بقبعة صغيرة تزينها ريشة طاووس
 بيضاء ، ويخرج لقضاء فرض الصلاة في كنيسة البلاط ، على
 حين كان من دونه مقاماً يقتفون اثره وهم يتردون باقية

ارجوانية او قرمزية ذات روعة ونفاسة , منطقتين بالاحزمة
اللامعة , وساترين ارجلهم بجوارب طويلة ومخنذين احذية
ذات رؤوس طويلة دقيقة

فاذا انتهى لويس من الصلاة سار الى ابواب القصر
لتوزيع الطعام والدرهم بين الفقراء الواقفين بانتظاره
افواجا افواجا . ثم يفطر ويخرج الى محكمة العدل او يجلس
على العشب في الهواء الطلق مستظلاً بافياء سندية ضخمة
وارفة الاغصان وتجلس حوله حاشيته تفصل بين الشاكين
وهو مصغر الى ما يدور من المناقشات حتى اذا لم يوافق على
احكامهم نقضها واعناض عنها غيرها وكثيراً ما كان
يسنّ قوانين لوفاية الفقراء تجعلهم في مأمن من استبداد
الفرسان وخشونة الامراء

وعند الظهر يجيئ بفتة من الناس هي ابعد الطبقات
عن طبقة امثاله والمقربين اليه , هذه الفتة تتألف من
الفقراء والهي وسائر البؤساء , وكان يجتمع بعضهم كل يوم

لتناول الغداء على مائدة الملك، فيطعم بعضهم بيديه، وينقل
 القصاع من نافذة المطبخ اليهم بنفسه، حتى اذا سفعت حرارتها
 جلده امسكها بقبضته التي كان المرق ينسكب عليها في بعض
 الاحيان فيقلنها !

ولم يكن يجذب بداً من مداعبة اطفاله بعد ظهر كل يوم
 او مرافقتهم الى الغياض، والخروج بهم للتفرج على القوارب
 الماخرة في امواه السين الرجراجة

وعند العشاء يدي فرسانه المائدة الثقيلة من الموقد
 حتى اذا فرغوا من تناول الطعام واستقر بهم النادي راحوا
 يتساقطون الحديث متبارين بسرده الحوادث المخارفة،
 واللطائف النادرة الى ان يحين وقت الصلاة فالهجوم .
 وقد كان لويس يستطيع الملح البارعة، فاذا لم تكن طاهرة
 تفرّ سخطاً

وكان جذل القلب يبقائه فارساً قوي العزم على الرغم
 من انقطاعه في تلك الاعوام الكثيرة الى العمل الهادي .

فلما فوجئ القوم بخبر عزمه على اعلان حرب صليبية اخرى
لم ينبغثوا للامر ثقة منهم بعزيمته الشاء

بلغ لويس وجنوده الشجعان شواطئ افريقيا في شهر
تموز (يوليو) وكان الحر شديدًا والشمس تصب اشعتها
الوهاجة على قلعة تونس حيث جعل لويس مقامه وعلى
معسكرات جنوده في جوارها . وكانت الجبال البعيدة وقد
تكلفت هامها بالثلوج تثير الشوق الى التمتع بمائها العذب
ونسيمها البارد والجرامام المدينة كصفحة البلور الازرق
المتلألئ ولكن جمال هذه المناظر لم يكن ليصد غارات الحر
او يرد لفحات الرياح المحرقة التي كانت تهب فوق الصحراء .
فلم يقو لويس على تحملها فاصابته حتى اودت بجيانه . وهكذا
قضى ذلك الفارس الباسل ملك الصليبيين

وقع ذلك قبل ست مئة سنة من عصرنا هذا ومع
ذلك لا يبرح الناس يجدون لذة في مطالعة اخبار هذا
الملك ، ويؤثرون على غيره من ملوك فرنسا ويحب الناس

اعادة ذكرى لويس لا لانه كان ملكاً بل لانه منذ اطلق
عليه لقب (فارس) وهو في الثانية عشرة لم يأت عملاً بخجل
بمثله الابطال الشجعان ويحبونه لتزاهته وشدة بأسه وشجاعته
التي كانت في بعض الاحيان تقرب من حد الجنون وإثاره
الفكاهة والدعابة ، ورافته بالضعفاء والبوساء ، وتنكبه
بالاقوياء كلما حدثهم انفسهم بسحق الضعيف

ما اجتمعت فيه خلال الكرم هذه الا لانه احب الله
كما يحب الابن اباه ، واحب البشر كما يحب الاخ اخاه ،
وكلم ابن لذلك الاب

لقد كان فارساً حقاً

لقد جمع في صدره كل البطولة ، وكل الحنان



حامل الفاس

اوغل غلام طويل التجاد اسود الشعر في احدى غابات
 اميركا النائية عن العمران متطرقاً في مسالك قل ان يقوى
 على اختراقها غير الظباء وكان حاملاً على منكبيه فأساً ولايساً
 بنطلوناً وحذاء طويلاً مصنوعين من جلد الغزال وصداراً
 غليظاً مما يلبس مثله الصيادون وقد شد وسطه بمنطقة من
 جلد . ومع انه لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من سنه فقد كانت
 قامته نحو ست اقدام وله ذراعان وساقان يخيل فاحش
 طولها للرائي انه مهر بري اسمر اللون اشعث الشعر في خشونة
 الفرشاة ، لا يتحول عن انتصايه ولم يكن صاحبه يبذل مجهوداً
 كبيراً في تمليسه

واذا اوغل في الغابة اخذت عيناه الغائرتان برشق
 كبار الاشجار ودقاتها باسرع من الوميض ، الى ان انتهى الى

Handwritten text at the bottom of the page, likely a signature or date, though it is extremely faint and illegible.



أبراهم لنكولن في الغابة "والشجرة مرتعشة من هول ضرباته"
ABRAHAM LINCOLN AT WORK IN THE FOREST.

شجرة صلبة الجذع، تصلح ان يتخذ منها الواحاً للبناء، فوقف
عندها مشمراً عن ساعديه، ثم رفع فأسه في الهواء وهو
بها على اسفل الجذع فانتزع بضربته القوية قشرته فضلاً
عن شظية كبيرة تطايرت منه. وما فتى يهوي بضربة اثر
اخرى وجبهته منصيبة عرقاً، وهو بين آنة واخرى يقف
ليجفف قطراته المنهالة على عينيه، وشفتاه مطبقتان تمان
عما يعتلج في نفسه من حزم وهمة، وعضلات يديه الصلبة
السمراء كأنها حلقات زنجير فولاذي، والشظايا متناثرة من
جذع الشجرة على الارض، والشق يزداد سعة وغوراً،
والاعصان مهشمة مائجة تحت عنف الضربات، والشجرة
مرعشة من هول ضرباته حتى وقعت على الارض فسمع
لثمتها فرقة عالية

عند ذلك جلس الغلام ابراهيم الغض الشاب على
جذع الشجرة المقطوعة مستنشياً نسيم الراحة، مجذباً صرة
تخوي على كتابه وكسرة خبز وقطعة من لحم الخنزير كان

قد وضعها عن كُتب منهُ . فأخذ بمطالعة الكتاب وعنوانه
 ”روبنصن كروزي“ بلهفة المشوق خلال تناوله غذاءه
 الغليظ

واذ شبع عاد الى عليه الشاق شاذباً اغصان الشجرة
 انني رماها غير مبق منها الا على الجذع

كان ينبغي على غلام في مثل سنه ان يتردد في ذلك
 امر على المدرسة . ولكن ثوماس لنكن والد هذا الغلام
 رجل بلغ من فقره انه ارغم ابنه ابراهيم على الخروج الى الغابة
 وتلويح فأسه في الفضاء ليكتسب بها خبزه . كل المدة التي
 تردد فيها ابراهيم لنكن على المدرسة طول حياته لم تزد عن
 سنة واحدة . فالفضل في تهذيبه اذن يرجع الى تعشقه
 المطالعة وطربه بها ذلك الطرب البالغ

وحين تاذن الشمس بالمغيب كان ابراهيم يؤوب الى
 سكنه رافعاً فأسه الى منكبه مرة ثانية ماشياً لفرط طول سافيه
 مشية المتطرح حتى يبلغ فجوة في الغابة كان يدعوها ”بيتة“

كان بينه كناية عن قمره مبنية من جذوع الاشجار قطع
 ابراهيم بعضها بنفسه ولم تكن مساحة تلك القمرية تزيد عن
 ثماني عشرة قدماً مربعة ، وفيها طبقة عليا تحوي على مخدع
 خصه ابراهيم برفاده ، لا يربو ما فيه من المفروشات على ثلاثة
 كراسٍ خشبية صغيرة لا مساند لها ، وسرير مصنوع من الواح
 خشبية اسندت من الطرف الواحد الى شقوق الجدران ،
 ومن الطرف الثاني الى اوتاد . فضلاً عن طاولة خشب غير
 صقيلة

وكان للغرفة في ذلك الحين باب ، بعد ان ظلت
 دون باب ونوافذ اعواماً . وقد كان الباعث على صنع الباب
 والنوافذ لها مؤخراً ، افتران والد ابراهيم بزوجة ثانية كانت
 على جانب عظيم من رقة الفؤاد ، تختلف عن امثالها من
 زوجات الابهاء . وقد احسنت معاملة ابراهيم وشقيقه ورفقت
 بهما مما جعلهما بطيبان نفساً ويقران عيناً في ظلال حنانها
 ورعايتها

وحين يبلغ ابراهيم مثواه كان يحني رأسه ليدخل الباب
 فيتناول طعام العشاء ثم ينبطح على ارض الغرفة قرب الموقد
 المتوهج بوقود الحطب بعد ان يضع عن كثر منه مجرفة ابيه
 الخشبية العريضة التي تقوم عنده مقام الدفتر اذ لم يكن في
 امكانه ابتياع الحبر والاقلام او اللوح الحجري على الاقل
 كان الاستلقاء على الارض والانشباب على المطالعة
 في المساء اشهى وقت وشيء في نظره فاذا اراد الكتابة
 اخذ عوداً النهب طرفه وخبط به الارض فتحمد نارة
 فيدون به على لوحة المجرفة ما شاء من اعمال حسابية او نباتات
 اديبة يقتبسها من حكايات ايسوب او سيرة واشنطن او
 فصول النوراة. وكانت هذه الاسفار عدا "سياحة المسيحي"
 و"تاريخ الولايات المتحدة" هي كل ما وقع بين يديه في زمن
 حياته وقد كلفتها استعارة بعضها اجنيز عدة اميال مشياً
 على قدميه

ما كان يقف عن العمل حين تمتلئ لوحة المجرفة مادونه

من اعمال حساية وفقرات ادبية، بل كان يبادر الى المسحاج
(فارة انجار) فيقشر بها ما خطه على الجرفه فيزول ما علاها
من المخطوط السوداء، بلثها مرة اخرى

ولما كانت جدران القمرة من الداخل مصنوعة من
الواح الاشجار، كان ابرهيم يطوف حولها مسطراً عليها ما
شاء الاحتفاظ به باقلامه المعهودة وهي العيدان المحروقة
الاطراف او قطعة كلس خشنة

وعند الانتهاء من عمله يصعد على سلم ينتهي به الى
مخدعه . واول ما يفعله صباحاً حال نفوذ اشعة الشمس
في شقوق ذلك السقف الخشبي مطالعة سيرة واشنطن
في كتاب استعاره

وفي ذات ليلة انسكب المطر مدراراً قبلل دفة هذا
الكتاب، فاضطر ابرهيم لضيق ذات اليد والعجز عن شراء
نسخة جديدة لصاحبه بدلاً من تلك التي اثلها الماء الى
قضاء يومين في حصاد حقل صاحب الكتاب وجز الشعير

علقاً لجواده تعويضاً له عما سببه بتبليد دفعة الكتاب من
 الخسارة. وقد قال لنكن لصديق له في ذلك العهد: "كنت
 اود من صميم قلبي ان اعوض صاحب الكتاب من كل
 هذه الخسارة لولا انه لم يبق في الحقل حبة على سويق"

بلغت قامة ابراهيم في التاسعة عشرة من عمره ست
 اقدام واربع عقد. واشتهر بأنه اقوى فتيان تلك الضاحية
 الممتدة الى اميال عدة. وشهد له معارفه الكثيرون ان قوته
 كانت تضاهي قوة ثلاثة رجال. وفي ذات يوم بلغت به
 شدة البأس ان رفع حملاً تزن ربيع طنٍ وحملها مسافة غير
 قليلة وحمل يوماً جذعي شجرتين دفعة واحدة وقطع بهما
 مسافة بينا كان ثلاثة رجال واقفين يتساءلون: هل في
 قدرتنا ان نتوفق الى نقلها مشتركين؟

قال احد اصدقاء ابراهيم فيه: "انه اقوى من يضرب
 بالمطرقة الخشبية واشد من يهوي على شجرة بالناس، ويفلع
 فيها شقاً اعيق من كل فلع رأيت في حياتي رجلاً يشقه"

ركب ابرهيم وبعض اصدقائه ذات يوم عجلة يجرها
ثور ، خاضت بهم نهراً تجهد قسم من مياهه . واذ صاروا الى
ابعد جهة في المخاضة لمحو كلباً غفل عنه صاحبه وتركه على
الضفة المتقابلة فوقف نائماً محجماً عن خوض النهر لتشق
الجليد العائم على سطحه ، وفوران الماء بين تلك الشقوق

فبادر ابرهيم الى نزع خفيه وشمير سرواله المصنوع من
جلد الغزال ، واقحم امواج النهر المتلاطمة الالذعة ساقيه
الطويلين في غير مبالاة بالمياه المتجعدة . ثم حمل الكلب
وعاد به الى العجلة عابراً النهر ثانية

على هذه الصورة كان ابرهيم يستخدم ساقيه وذراعيه ،
جذلاً بمنعة تلك القوة الهائلة التي اسبغها الله عليه ، آنفاً من
استخدامها لمقاتلة اترابه الذين لم يكن اذا قاتل احداً منهم الا
مدفوعاً الى مناصرة فتى ضعيف اراد من هواضهم جسماً
واصلب عوداً ان يعندي عليه

وكان في الغالب يقصد الغاب للانفراد بنفسه فيقتف

على بقية جذع شجرة كان قد انقطعها ، متخيلاً ان تلك
 الاشجار الصامنة اناس محيطون به مصفون اليه ، فيلقي على
 اماعهم خطاباً شائعاً نخله النكات المضحكة والحقائق الجارحة
 والاراء السديدة

ولما بلغ ابراهيم الحادية والعشرين من عمره رغب
 والده بالتوغل في سكنى الغاب ، فحمل ابراهيم فأسه ، واخذ
 يضرب دفاق الشجر تهديداً لمرور العجلة التي ستنقل عليها
 امتعة المنزل . الى ان بلغا الى مكان صالح للسكن فدأب
 ابراهيم في العمل على قطع اشجاره ليفسح مجالاً لبناء البيت
 الجديد ثم اعان اباه على عمله وقطع له جذوع الاشجار الى
 ان تم البناء فاقام ابوه وزوجته التي كانت تحنو على ابراهيم
 حنوها على ولدها في هذا المأوى الذي بعد ان بنى ابراهيم
 له سياجاً من سوق الاشجار التي فلحها بنفسه هجر الغابة
 الكبرى ، ضارباً في مجاهل المهور ، ناشداً نصيبه من الحياة
 تولى يوماً مهمة نقل بضاعة على قارب ينحدر عباب نهر

المسيحي العريض الى ميناء نيواورليانس . فرأى في تلك
 المدينة الجنوية لأول مرة في حياته صورة الرق في سوق
 المزاد حيث كان العبيد السود يباعون كالبهايم فعنّ لحاظه
 ما قرأه في احد كتبه عن الولايات المتحدة وهوان الامة قائمة
 على مبدأ المساواة بين البشر الذي صرح به دستورها
 القائل "ان كل البشر ولدوا احراراً متساوين في الحقوق"
 قائلة هذا المشهد الفظيع الذي رأى فيه زمرة تبلغ بها
 الفحة حدّ المناجرة بالعبيد رجالاً ونساءً او صبياناً وبناتٍ
 وتصور غيظته ساعة رأى فتاة خلاسية ترغم على الركض
 صعوداً وهبوطاً وامغاناً لمتانة عضلاتها، ثم تجلس كما يجلس
 الخروف في سوق الاغنام تقديراً لثمنها ، فصرّ ابراهيم على
 أسنانه وقال مخاطباً بعض اصدقائه

"اذا ما حانت لي سانحة لضرب العبودية فساأضربها
 الضربة القاضية"

منذ ذلك العهد غدت هذه الامنية اجمد الغايات

التي طمح قلبه اليها !

ولدن مصارحنه بها بعض رفاقه استغربوا قوله واجابوا
عينا ينشد من كان مثله لا مال لديه ولا اصدقاء ارباب
نفوذ ، ولم يفتح له ان يتهدب في المدارس العالية ، ان يضرب
العبودية الضربة القاضية ، لان الوفا من اثرياء الولايات
الجنوبية في اميركا الشمالية يقتنون المئات والالوف من العبيد
فما الذي يقوى على فعله فتى كابرهم ازاء اخصام كهؤلاء ؟

ثم اكب ابراهيم على مطالعة كتب القانون خلال تحصيله
رزقه بطرق شتى - فزاول التجارة مدة وكان الناس الذين
يقصدون الى حانوته لابتياح حاجاتهم يرونه في غالب الاحيان
منبطحا على بطنه فوق مائدة المحانوت وقدماه مرفوعتان
وهو مكب على المطالعة في كتاب عن دستور الولايات
المتحدة وجاهد في تفهم ابحاثه الدقيقة الصعبة

وبعد ذلك انخرط في سلك الجندية فرقي فيها الى رتبة
كبتن في حرب نشبت بين الدولة وجنود اميركا . ثم تعاظم

مهنة موزع للبريد ثم مهنة مساح واخيراً امسى محامياً وهو في
 كل ما ذكر كان يحمد الناس متألّبين عليه طرباً بعدوبة
 مفاكته وحسن تصرفه في ايراد الحقائق وقوة عارضته في
 الخطابة اني كان يدعى اليها من مدن تلك المقاطعة
 واريافها على انه في الزمن الذي كان فيه يقيم الجمهور ويتعدّد
 بنكاته المسخبة وظرفه المتفجر كان لا يلبث ان ينسحب ناركا
 الجمهور وشأنه على حالته من الضجيج والضحك عائداً الى
 سكنه معتزلاً في غرفته منكباً على كتبه ساعات متوالية
 ممعناً في درس اقليدس وقواعد الصرف والنحو الالمانى
 ساهراً ساعات طويلة بعد ان يجمع الناس الى مراقدهم
 لم تذهب تلك الخطب الممتعة والمحاضرات الغزيرة
 المادة ادراج الرياح بل عادت عليه مجزاء حسن وهو فوزه
 قبل ان يتجاوز الخامسة والعشرين من السن بالانتخاب
 لعضوية المجلس النيابي في مقاطعة اللينوز
 وحدث مرة بعدئذ ان فشل في انتخاب آخر فقال

”يؤلمني هذا الفشل بقدر ما يتألم رجل قُرِضت إحدى
اصابع قدميه، فلا هو يستطيع الضحك لشدة ما ينال الألم
منه، ولا هو يستطيع البكاء لكبره في السن“

ولما عرضت له السانحة الكبرى، هب لاغتنامها تحفيقاً
لغايتها . وحكاية الامر ان خطيباً يدعى دوغلاس غمر
الفرجة ذكي الفؤاد، اقترح على الهيئة الحاكمة ان تقرر قانوناً
يمنح لاهل الولايات الشمالية اقتناء العبيد اسوة بالولايات
الجنوبية فانتصب لنكن لمناقضته وتنفيذ رايه بقوله ”ان على
الحكومة ألا تخرج على ماسئة النظام القائل - كل البشر ولدوا
احراراً متساوين - الناطق بمنع استعباد فئة لاخرى“ وعلى
اثر ذلك الانتقاد الشديد خرج الرجلان يتجولان في المدائن
ويعتليان منصات الخطابة وكل منهما دائب على دحض
اراء الآخر

وكانت خطبها تستغرق في بعض الاحيان اربع ساعات
وكان طرب الاحداث بما يتخلل خطب ابراهيم من النوادر

المحلو والظرف الجم شديداً الا انهم كانوا احياناً ينصرفون
الى اسرتهم قبل سماع بقية محاضرتهم لتشاغل اجفانهم بالنعاس
وعلى اثر هذه المفعمة حان ميعاد انتخاب رئيس للجمهورية
الولايات المتحدة وكان صدي خطب لنكن الرنانة لا يزال
يرن في مسامع القوم وإعجابهم بها وبه على معظمه فانتخب
رئيساً للجمهورية واعلى منصبه السامي بين الهتاف المطبق
عنان الجو والصيحات العالية والحفلات الشائقة والزينات
الباهرة

فانتقل الى مدينة واشنطن مقام الرئيس الدائم وهناك
وقف بين الجماهير المخفية به، وفيها اناس لم تقع انظارهم عليه
من قبل فاجالوا ابصارهم في وجهه المنغض الاسمر الصلب
العضلات، وشعره الاشعث المنتصب الذي لم يكن يُعنى
بقيليسه حتى بعد توليه كرسي الرئاسة، ومجاء القائم انفة
الانوف في وسطه، وعينيه الحاديتين من تحت حاجبين
اسودين في دعابة وكأبة متناوبتين، وذراعيه وساقيه ولباسه

الذي اغفل امر انافته حتى بعد صيرورته رئيساً واستحوذت
 الدهشة على من لا عهد لهم به من قبل لغرابة شكله فقال
 احدهم ولم يكن حديث السن:
 "ما هذا الزبون العادي!"

فسمعه لنكن والتفت اليه باشاً واجابة فوراً:
 "ان الله يحب الناس العاديين يا صاح ولذلك
 خلق منهم عدداً موفوراً!"

حدث في زمن رئاسة لنكن ان سكان الولايات المتحدة
 الجنوبية ثاروا على سكان الولايات المتحدة الشمالية ، موقنين
 ان لنكن سيجاول القضاء على العبودية

فلعلت اصوات المدافع ، واوري زناد البنادق وسارت
 صفوف الفرسان في الحقول ، وعلا صليل السيوف وصهيل
 الجياد ووقع السنايك الشبيه بهزم الرعد

اما لنكن وكان يكره الحرب ويميل الى السلم فاضطر
 اكراماً للعييد ورفعاً لشان وطنه الى الانهاك بمشاغل الحرب

وتهميئة معداتها ، فأمر بصنع المراكب ، وتعبئة جيش قادر
على احراز النصر الآن ما ساورة من القلق الشديد الى
جانب ما صادفته من العنت اثناء قيامه بادارة قطر واسع
شطرته الحرب شطرتين ارقق ظهره فامسى كالخيط وهنا

واذ حي وطيس الحرب جاءت امرأة ملتزمة منه العنق
عن ابنها وهو جندي حكم عليه ان يموت بالرصاص عقاباً
له على اجتراحه العصيان ، فدقق الرئيس في وجوه القضية
فوجد منفذاً يفلج في الصفيح عن الجرم واطلاق سراحه فامضى
امراً ذهبت به ام الجندي مستبشرة بنجاة ولدها ، بعد توقعها
موته

ورأى احد اصدقاء لنكن ما فعل فعنفه على تهالكه
برقة قائلاً :

” اذا كنت تخامل على نفسك في التدخل بمثل هذه
الامور الطفيفة ، فانك قاتل نفسك ! “

فابرقت عينا لنكن واشرق محياه المتغصن الجفاف

بإتسامة حلوة وإجاب :

”أريد من أولئك الذين تزيد معرفتهم بي عن سواهم“
 ”أن يشهدوا بأنني كنت دوماً أنتزع العويج الشائك“
 ”لأغرس مكانه زهرة في كل مكان وجدتُه صالحاً“
 ”أن يكون للزهرة منبتاً“

....

وأخيراً وضعت الحرب أوزارها بانتصار الرئيس لنكن
 وتحرير العبيد ، فحنفت الاعلام فوق كل بناء مشيد وزنت
 الاجراس ماثجة في كل حصن وبرج ، وتألّفت حلقات
 الرقص ، وعلت نشائد المحبور ، فاطلق الزوج على لنكن
 لقب ”الاب ابراهيم“ لانه كان واسطة تحريرهم من العبودية
 ومع ان الذين هتفوا وطفروا ذلك الحين ، قد طووا اليوم
 مراحل الشباب ، واشتعلت رؤوسهم شيباً ، فما يبرحون
 يذكرون تلك الساعة المجيدة

في ذلك اليوم نفسه قصد الرئيس لنكن الملعب
 (الاورا) للتفرج على اللاعبين ، وفيما هو يقفنه منجماً في

الضحك كأنه احد صغار التلامذة دوى الرصاص بغتة
وعقبه صوت اندفاع رجل من شرفة الرئيس
”ان ابراهيم لنكن مسيح الزوج قد مات!“
انه قتل غدراً الا لذنوب جناة بل لانه حرر الزوج
من العبودية

انك ذاكر لاشك ما صاح به وهو فني على رؤوس
الملا، تلك الصيحة العالية التي دوت دوي الابواق
”اذا ما حانت لي ساحة لضرب العبودية فسا ضربها
الضربة القاضية“

لقد انتصر عليها الآن وضربها الضربة القاضية
لقد لوح فأسه في الهواء، واهوى به على جذع شجرة العبودية
فهوت الى الخضم وكان لوقوعها صدى قرعة عالية
”الا ان في امكانهم ان ينزعوا روحه من صدره ولكن
ليس في امكانهم ان يستعبدوا الاحرار ثانية!“
نشد لنكن غاية ففاز

فارس شقيقته

قبل مئة سنة، كان رجل ضئيل الجسم جعد الشعر
شديد السمرة يقضي سحابة نهاره وراء منضدة في مدينة لندن
مسوداً صحائف السجلات بيراع طويل، مدققاً في مراجعة
سندات دُوِّنت على حواشيها الملاحظات وكانت ملاحم
الغم لا تفارق محبته في غالب الاحيان حتى حين اختلاطه
بالقوم واطرافهم بيدائع النكات فانه كان يلتزم هيئة الجد
والوقار في الظاهر وكان يرغب في ان يثير دهشة سامعيه
بتفوهه مازحاً باقوال غير معقولة دون ان يبدو على محبته
اقل ابتسام او اشارة الضحك ما يدل على انه يقصد المزاح
في ما يقوله . ولهذا كان الاكثرون وخصوصاً الصبيان
يحبون محادثته . ذلك الرجل هو نشارلس لام الكاتب

الانكليزي المشهور بفكاهته ورقة اسلوبه واليك مثالا من
ظرفه

سألته سيدة عجوز ذات يوم : كيف تحب الاطفال
يامستر لام وكانت تشوق بالطبع ان يجيبها انه يحب الشقر
منهم او السمر او الذين تبدو عليهم امارات الذكاء او نحو ذلك
ولكن ما كان اعظم دهشتها حين سمعت جوابه الآتي :
”مس - مس - مسلوقين يا سيدتي“

كان تشارلس حينما ينتهي من عمله مساء يترك منضدة
”المنزل الهندي“ * وشوارع لندن حتى يبلغ المسكن الذي
كان يأوي اليه مع شقيقته ماري . وكان طربه بجمال تلك
الشوارع يفوق طرب الغلمان الذين يتوافدون على لندن

* المنزل الهندي اسم بناء في لندن كان من نحو مئة سنة مجنوي
على مكاتب شركة الهند البريطانية . وهي شركة تجارية سياسية كانت
تتولى ادارة جزء كبير من الاملاك البريطانية في بلاد الهند وتحوّل
اعمالها بعدئذ الى حكومة امبراطورية الهند

لأول مرة في حياتهم ، اذ نقلهم المركبة العامة ، جارية بهم في
 شارع الستراند وساحة ترافلغار حيث تمثل القائد نلسن
 ونوافير الماء وانصاب الاسود ، وهم مشرفون منها مدهوشين
 بزوعة تلك المشاهد متلويين وفوق اهتزاز المركبة

قال تشارلس انه لن يستبدل اقدر عطفة في شوارع لندن
 باجل جبال اسكوتلندا . ودونك شيئاً مما وصف به لندن ؛
 ” يا لجمال تلك المصابيح المتكسرة انوارها ليلاً على
 حوائط الصاغة ودكاكين الدمى والفاكهة والانسيجة الحربية
 والنفطائر وادوات الزينة

” يا لبهاء باحة كنيسة القديس بولس ، وروعة شارع
 الستراند ، وتشارفغ كروس ، حيث تمثل ذلك الرجل
 المتطي صهوة جواده الادهم

” كأن كل ما هنالك من شوارع وارصفة مموه بالذهب

المخالص

” قد ظالما استفاض شارع الستراند دموعي طرباً بما

يتخلله من حياة نناجح حمية وناراً

أُتساءلت في نفسك كيف ظفر هذا الرجل المتردي
بالسواد بقلب فارس وهو لم ينتض سبفاً ولا لوح فأساً
ولا جاب قطراً

ان بعض الناس لا يضعونه في مصاف الابطال لزعمهم
انه عمل اعمالاً لا يتنازلون هم الى عمل مثلها. اما انا فاحترمه
احتراماً جزيلاً لانه من بعض الوجوه كان ذا قوة عجيبة
ولكنني احبه لانه كان من وجوه اخرى ضعيفاً وضعيفاً جداً
وفوق كل ذلك احبه لانه في كل حياته لم يكن منتصفاً بشيء
من الكبرياء او العظمة الفارغة. وانه لم يكن يحاول اخفاء
ما يبدو منه من خطأ بل كان كثيراً ما يحاول المبالغة في
اظهار خطاه والتظاهر بانه اخطأ خطأً فظيماً حينما لم يكن
هنالك سوى غلطة طفيفة. وكان ذلك من فنون ظرفه
والآن اصغ الى اسمعك موجز سيرة هذا الرجل فتقضي
بما شئت وتحكم بنفسك وهل هو جدير بقلب البطولة ام لا

عندما كان تشارلس ينتهي به السير في شوارع لندن
 الفخمة الى باب منزله الامامي الصغير (لقد دعوته هنا باسم
 تشارلس لانه كان يأبى على اصدقائه ان ينادوه بكنيته حسب
 العادة المرعية لزعمه ان على المسيحيين ان يدعوا احدهم الآخر
 باسمه في العاد) يجلس اولاً لتناول الشاي مع شقيقته ماري
 وكانت اكبر منه سنًا بعشر سنوات وكان وشقيقته اصدق
 الاخوة وفاء واطيبهم منافثة . وكان كل منهما يعتبر الوقت
 الذي ينفقه مع الآخر اشهى اوقات حياته . فاذا جلسا
 لتناول الشاي تعرضا لما يثير الضحك من ذكريات الطفولة .
 فيقول تشارلس :

”اتذكرين يا ماري ذلك الهيكل القائم في شارع الستراند
 حيث عشت حتى السابعة ؟ لقد سي ذلك المكان بالهيكل
 (تمبل) تذكراً للفرسان الهيكليين الذين شهدوا الحرب
 الصليبية وشيد فيه معبد مستدير انيق كنت تأخذيني اليه
 فارى تماثيلهم وهم مضجعون منقوشة على الصخر وحذاءهم رسوم

مجانهم. أتذكرين طفرنا في تلك الباحة المشمسة واحدا قنا
بالفسقية حيث كانت تنزل اسراب السنونو للاستحمام نافضة
عنها فطرات الماء؟

”أتذكرين وقفاتنا على ذلك المشرف اذ كنا نحيل النظر
في ما تحننا من الحداثق الى ان نهبط منه ونجوز الباحة الرحبية
قاصدين ضفة ملك الانهار - الناميس - حيث تجري
مراكب البضاعة متدافعة بتياره؟“
فتضحك ماري وتقول :

”نعم انا اذكر ذلك فهل تذكر العطفة المسماة ”فتر“
التي كنت تمرح فيها سحابة نهارك انقائمة بجانب المدرسة حيث
كنت اتلقى الدروس مساء؟“

فيقول تشارلس : ”كلا ، لا اذكر ذلك . ولنا ما
انذكره هو تلك المقاعد المائلة المزججة التي كان فيها مرفق
احدنا لصيقا بالآخر اثناء انحنائنا للكتابة“

كانا يقضيان هنيهة في مثل هذه المفاكهة الى ان يحرها

الحديث الى ذكر مدرسة مستشفى المسيح حيث تلقى
 شارلس علومه ، يوم كان يلتف بمعطفه الازرق ، وبغشي
 ساقيه جوربان اصفران من تلك الجوارب التي كانت زيا
 فارقا لصبيان تلك المدرسة . وشرع فيها وهو لا يتجاوز
 الرابعة عشرة بترجمة بعض القصائد الانكليزية التي يتعلمها
 الاطفال الى اللاتينية تفكيها لا ترايه فاذا ما بلغا الى ذلك ،
 قال شارلس :

‘اذا ذكرين العمة هني تلك العجوز المسكينة التي كانت
 يومئذ ما تبرح في قيد الحياة . وقد كانت اصدق الناس
 ولاء لي واشدهم حنانا علي . اني ما ابرح ممثلا منظرها لما
 كانت تدلف بخطى بطيئة قادمة لزيارتي في تلك المدرسة
 التي كنت احد تلامذتها ، حاملة الي بعض الاطايب ، يوم
 كنت لا اقابل عطفها بغير الازدراء ، يوم كان يعتريني
 النجل بها لروثي اياها - ساعة اخرج مع اندادي من حجرة
 المدرسة القديمة - جالسة على احدى درجات سلم قبو الفهم

العتيق . فإنا نكاد نلحنني حتى تبسط منزرها وتخرج طسنتها
 المشتمل على بعض اطاييب ابتاعتها لي بدريهمات التفتير
 فنقول ماري : " تصور سعادتنا في ايام العطلة
 الصيفية التي كنا ننغمها في الريف في ضيافة عمه والدنا "

فيجيب : " نعم واني لا ذكر ما كان يساورني من الخوف
 في تلك الامساء ساعة كنت ادخل تلك الغرف الرحبة المخاوية
 البالية الستائر ، الممزقة الاغطية ، المهلهلة الاطراف الفانية
 الوشي ، وقد بهت طلاء اطرها الذهبية المصنوعة من خشب
 السنديان . واني لذاكر ايضا تلك الحداثق القديمة الطراز
 الا اذا اعترض سبيلي بستاني حائلا دون تقديمي من الاسوار
 حيث تدلت الافنان مثقلة بثمار الخوخ والدراق . قد طالما
 وقفت هنالك محدقا اليها ببصري ولم أكن احاول ان امد
 يدي اليها لان ذلك كان محظورا عليّ الا فيما ندر

لكم كنت احب التجوال بين اشجار السرو الهرمة ، او
 اشجار الشربين ، ملتقطا ثمرها الاحمر الذي لا يطيب لغير

النظر، متوسداً العشب اللين الغض، وارواح الحديقة
من حولي تضوع النضاء بارحها العاطر، فاستطيب الرقاد
في ذلك الكوخ الاخضر المتكسرة عليّ اشعة الشمس النافذة
من خلال اغصانه فاستغرق في سباتي ناعماً به، والدُّمنة
عندي ساعة البقطة أنه اشعر باني نضجت !

”أذكرك اسمك النهرى راحماً ذهاباً وإياباً في البركة
القائمة عند اسفل الحديقة وبينه اسماء الكراكي متفرقة هنا
وهنا لك كلما قابعة في زاوية من النهر بلا حراك ناظرة
نظرات الهزم الى فحة تلك الاسماك السريعة الحركة“

بمثل هذه التذكريات كان الشقيقان يلهوان الى ان
تنزع آنية الشاي عن المائدة فيجلس احدهما في الجهة المقابلة
للآخر، ويباشران العمل في انشاء انفس الكتب عندهما،
اعني قصص شكسبير التي سطرها خدمة للصبيان والبنات
وتخييراً منها ما يستعذب وردة كل من كان في غضاضة
الشباب

كنت افضيت اليك في اول الحديث ان كلاً منها
 كان يجد في الآخر الفأ يمتع بقربه فوق امتاعه بقرب
 اخذانه جميعاً . على ان ذلك كان في الغالب لا دوماً .
 لا لان مودتهما انتقضت بالمنازعات ، بل لان ماري اصبحت
 بما اضطرت معه الى هجر تشارلس

ففي ذات يوم تبين شقيقها في عينها نظرات غريبة
 ارتعدت منها فرائضة ، وادرك من كتبها انها على وشك
 الوقوع بداء في عقلها لا جسمها . وفي اوائل زمن مرضها لم
 تعد تدري ماذا تقول او ماذا تعمل . فاضطر تشارلس
 ان يأخذها الى مكان يجد فيه مثلها العناية اللازمة ، الى ان
 يشوب اليها الهدى

لقد شق عليه فراقها لشدة ولوعه بها حتى لم يجد في
 امكانه حبس الدموع التي هطلت على خديه سيولاً دافقة
 ثم عاد ادراجه كئيباً

وكانت طوراً تشفى وطوراً يرجع مرضها اليها ، وهو

في كل مرة يحمل نفسه بالصبر متوقعاً شفاءها اشهرًا عدة
 في خلال هذا الرشح تعلق تشارلس بغادة تدعى اليس
 وافتنن بهواها وكان يرى انه لو استطاع ان يقترب بها
 لعاش ما بقي من حياته واياها في اتم سعادة واغنياء
 ولو شاء لاستطاع ان يمثل بشقيقه الاكبر ويحذو حذوه
 في انانيته وعدم اكترائه لغير ما فيه الترفيه عن نفسه. ولكنه
 حدث نفسه دون مباهاة بقوله :

”عليّ ان اندرّع بالصبر الى ان تبرا شقيقتي ، وان
 التزم العناية بها .“ وهكذا هجر الغادة التي ولع بها ، واطرح
 سائر الملذات جانباً ، طمعاً ان يغدو فارساً لشقيقته

وكان اذا رآها تشكو الماء يسيراً ينساب نحو فراشها
 بخطى نجس الارض لا صوت لها غير منقطع عن السهر عليها
 جاهداً جهده ابدأ في مراقبتها ووقايتها من قد يجرحون
 شعورها ، مساهماً اياها ما يكسبه من المال ، راوياً لها اعذب
 النكات تفرحاً لكرهها

كلما طرق مسمعي خبر فارس جبار عصفت الثخوة
 في رأسه فامتطى جواده لانتقاذ حسناء من براثن وغد لثيم،
 أو شكت أن اهتف له

ولكنني ما ذكرت اعراض نشارلس لام عن لذاذات
 الحياة جمعاء، وانعكافة على رعاية شقيقته، وصبره في السهر
 عليها مدة الثلاثين سنة التي قضتها مريضة، ألا وجدته
 مدفوعاً إلى الاتصاف امام شجوه، واحناء راسي له اجلاً
 وتقديراً لشعوره، وإدراكاً بأنني واقف على ارض مقدسة !



فارسه الالهام

كانت فتاة قبل خمس مئة سنة في ربيع الحياة تنظن
في قرية دو مرمي الواقعة في الناحية الشرقية من فرنسا ، في
بيت قائم في جوار كنيسة طليت جدرانها الخارجية بدهان
اشهب اللون ، يتدفق على مقربة منها نهر هادي ، قامت
القرية على ضفتيه ، وهو نهر الموز

كانت هذه الفتاة المدعوة جان ممتلئة نشاطاً ، متألقة
غضارة ، لا يقدر على سبقتها في العدو غلام ، ولا على مضاهاتها
بشجاعتها ابل الفتان ، كما سترى

هي فتاة ضامرة الجسم ، لدنة المعاطف ، وسيمة الطلعة
لوحت الشمس بشرتها ، يقطر محياها عنوبة تحت اكليل من
الشعر حالك السواد

وكانت اشهى ساعة لديها هي التي تجلس فيها بجانب

شقيقتها في الرواق مصغية الى ماترويه والدتها - ابنزبو
 دارك - من القصص والنوادر خلال تدريبها على صناعة
 الغزل، الى ان يعود والدها جاك واشقاؤها الثلاثة من
 الحقول لتناول طعام العشاء.

كان جاك لا يرجع الى بيته الا متضوراً جوعاً، فاذا
 هو هنا، جلس يحدث افراد أسرته بما هو جاري في فرنسا من
 الحوادث والانقلابات فقال لهم ذات ليلة

”لم يكفِ فرنسا ما نالها من صروف الدهر خلال
 هجوم ادوارد ملك انكلترا عليها وسحقه جيشها في واقعي
 كريسبي وبواتيه حتى جاءها اليوم هنري ملك الانكليز الجديد
 من هو اشد شكيمه من سلفه

”كنا في ذلك العهد نستظل بلواء ملك اخرق يدعي
 شارل جرّ علينا وبال الخذلان في واقعة اجنكورت، فغدونا
 اليوم اشقى حالاً في ظل سلطان ملكتنا الشريرة وابنها ولي
 العهد الاحق. هوذا اللواء فرنسا يتقلص يوماً فيوماً ولسوف

بضمحل. هوذا سكان بورغاندي قد انضموا الى جنود الانكليز
لحاربة وطنهم تحت رايتهم. فيا لهول التعاسة التي صارت
اليها فرنسا واصبحت معها جديرة بالشفقة

فاذا انتهى جاك من رواية اخباره طفق يصف
النفطائع التي كان الانكليز يرتكبونها وما هم عليه من غلظة
الطباع فتترقق العبرات في عيني جان رحمة للبلاد التي
تهواها

في يوم تلا مثل هذا الحديث فيما كان الاحداث
يتراكمون في سباقهم المعتاد افتقدوا جان التي هي اخفهم
جريا فلم يعثروا عليها. وكانت قد انسلت الى الخلاء فجنث
على العشب الندي الاخضر المرصع بازهار الحقل ضارعة
الى الله ان يستفرجه احد الابطال الى تحرير بلادها الناعسة
كان ذلك في منتصف الصيف وجان في الثانية عشرة.
وفي اليوم الثالث فيما كانت تخطر في حديقة ابوها اللصيقة
بالمعبد سطع عليها نور وضاء وسمعت هاتفا يهتس قائلا :

”كوني يا جان فتاة صالحة“

فتولاها الجزع . على انها كتبت ما رأت وما سمعت . ثم
ظهر لها الهائف ثانية بهيئة شيخ انسان واضح التكوين مجللة
وقار الملوك مخنخ المنكبين مكمل الهامة بالتاج منبتاً اياها ان
السما تلهفت على ما انتاب فرنسا الجميلة وان عليها ان
تكون عوناً للملك على استرداد ملكه .

فاجابت جان الصغيرة : ”ما انا يا سيدي ممن يقوى
على شيء حتى ولا على ركوب الجواد - ما انا الا فتاة بائسة
فكيف استطيع ان اقود الجنود ، واخوض معهم ميادين
القتال ؟“

فقال الشيخ : ”سيجوك الله معونته“ واخفى عن
ناظرها

وما زالت الروى تمثل لجان ، والهوائف تفرع سمعها
مدى اربع سنوات ناهزت فيها السادسة عشرة ، حتى لم تجد
في امكانها بعد المثابرة على السكينة ، وتاكدت ان الله يدعوها

حقاً فاخبرت عنها بجلية الامر ، وانست منه ان يستأذن
 لها المحاكم الفرنسي روبردي بودركور يتبع لها مواجهة ولي
 العهد بمهمتها ورغبتها بانقاذ فرنسا فثارت ثائرة بودركور
 الفظاؤلاً ، واجاب بقوله :

” اخرى لي ان امر بفرك اذنيها واعادتها الى مسكنها “
 ثم لم يلبث حتى افتنع بصحة دعواها واذا في الخبر الى والدها
 استشاط غضباً ، واستهال اخلاطها بالجنود لما عرفوا به من
 غلظة الاكباد ، مما سيؤدي الى وسم اسرتها بسمه العار
 تهبأت جان للرجيل ، فقصت شعرها الاسود وتردت
 بشوب غلام ، وصدار اشهب ، وجور بين اسودين وامتطت
 ظهر الجواد الادهم الذي قدمه لها بودركور فاجادت ركوبه
 لأول وهلة ، واتجهت الى قلعة شينون تاركة لوالديها رسالة
 تعذر اليها فيها عن تليينها دعوة الهوانف

واذ عبرت نهر فيان العجاج اشرفت على اسوار القلعة
 وابراجها الفخمة واستحكما ماتها المنبعة مما لم تكن قد رأت مثله

بعد . فلم يُسمح لها بدخولها ، وأُمرت بالانتظار يومين ، وحين
 أُتيح لها دخول البهو الملكي المتلألئ بالانوار بين نساء القصر
 المترديات باروع الحبل ، وامرائه الخاطرين بمطارف العز ،
 استحوذت الدهشة على جان وهي يبذلنها الغلامية الشهباء
 فاستقبلها شارل ولي العهد . متنكراً مختلطاً بحاشيته ، ليرى
 اذا كانت جان تعرفه في الحال ام لا فتقدمت تواء اليه قائلة :
 ” لقد ارسلني ملك السماء اليك ، لاحمل لك بشرى
 شويحك في ريمس نائباً عن ملك السماء الذي هو ملك
 فرنسا “

على ان ولي العهد وحاشيته عافوا اجابتها الى ان تمت
 تعبئة الجيش مدة ستة اسابيع ليكونوا على ثقة من امرها مخافة
 ان تكون ساحرة ، واخيراً ضاق ذرعها بهم فنهفت :
 ” ما هذا وقت الكلام انه وقت العمل “

فامر الملك بتأليف الجيش فسارت جان في طليعته
 راكبة ظهر جوادها الادهم متقلدة عدتها من السلاح الابيض

الوهاج رافعة يدها راية كتانية ناصعة وشيت برسم المسيح
 زحفت وجيشها الى مدينة اورليان التي كان الانكليز
 محاصرونها منتحية ضفة النهر اللوار . وبعد ايام دخلت
 وجيشها المدينة ووقفت بالقواد مقترحة عليهم ان يخلصوا
 بالبرج القائم على الضفة الثانية خلف الجسر ، فحاولوا صرفها
 عن ذلك فاصرت قائلة : " لكم رايمكم ولي رايمي "

هجر الفرنسيون على الانكليز في برجهم وتسلفوا الاسوار
 على سلام حملوها لاجل ذلك وفيما هم يعملون فيهم القنوس
 والحرب امطرهم الانكليز وابلاً من السهام والرصاص .
 دام القتال ست ساعات انهكت فيها قوى الرجال فاصيبت
 جان في صدرها بسهم حديدي من يد خصم كان ينازها
 قدمعت عينها من هول الالم ونقلت الى مرج في الجوار
 فافدة الوعي . ولكنها ما عثمت ان جاءها احد رجالها فانثلاً
 ان كتائبها ازمعت على الانسحاب حتى انتصبت على
 قدميها وارتمت على ظهر جوادها وصرخت بهم :

THE UNIVERSITY OF CHICAGO



راقبوا علمي حتى إذا ما حاذى الأسوار ثم لنا الاستيلاء على المكان

"WATCH MY BANNER; WHEN IT REACHES THE WALLS THE PLACE
WILL BE OURS."

”رافبوا عَليّ حتى اذا حاذى الاسوار تمّ لنا الاستيلاء
على المكان“

فعضفت النخوة في الرؤوس واندفع الجنود مستبسلين
يقاتلون قتالاً جنونياً الى ان طرق سمعهم صوت فتاة تضيح
بصوت متلجلج تفرع رخامته الآذان :

”لقد تمّ لكم الاستيلاء على المكان باجمعه الآن فادخلوه
آمنين“

انتهت معركة ذلك اليوم بظفر جان وجيشها
فذهبت بعدها رأساً الى الفراش متخاذلة القوى دامية الجراح
وظلت جاعدة في اسنالة ولي العهد الخامل حتى تعهد
لها بان يركب الى ريمس حيث يلبس التاج

ثم فادت جيشاً مولفاً من ثمانية آلاف رجل وهجمت
به على الانكليز في بلدة جارجو ذات الاسوار العالية
والابراج المحصنة بالمدافع الموفورة . وهي التي لجأ اليها الانكليز
عقيب انكسارهم في اورليان . وفيما هي تصعد على السلم لبلوغ

الاسوار وعلمها المعهود في يدها أصيبت بحجر شق خوذتها
وطرحها الى الخندق فصاحت بمن معها
”الي الي يا اخوان“

ثم استولت على البلدة وتابعت الزحف الى مان
وبوجانسي قبل ان تنفياً ظلال الراحة ففازت بالبلدتين
ثم عادت الى مهاجمة أكبر قوة من الجيش الانكليزي كانت
قد فرّت من باناي اثر مباغنة الفرنسيين لها . وفي المساء
فما كانت الفتاة تخطر على فرسها ذاهبة الى ميدان الحرب
عثرت في طريقها على جندي فرنسي يسيء معاملته اسير
انكليزي جريح فترجلت وثباً وجلست يحجب الانكليزي
ورفعت رأسه على حضنها ولم تفارقه قبل ان جاد بروحه
توج شارل في ريمس عقيب هذه الانتصارات الرائعة
فتحققت أمنية الفتاة وجئت بحبيبه حاملة العلم بيدها ذارفة
دموع الفرح واذا انتهت الحفلة نالت
”لقد اتاح لي الله ان اتزع عني السلاح واعود الى

ابي وامي وارعى الخراف مع شقيقتي واشقائي الذين سيظربون
بمقدسي طرباً بالغاً

في ذلك الوقت كانت جان في السابعة عشرة وكان
اللعب ما يبرح يفضل عندها على الركوب في قيادة جيش
النصر . وكانت عامة الناس يتبعونها تعلقاً بها وإخلاصاً
لها ، حاملين اليها اشياء ملتصين منها لمسها كي تغدو مقدسة
فكان جوابها على ذلك ابداً " المسوها انتم فيفعل فيها ذلك
فعل لمستي اياها . "

ثم عادت الهوانف اليها داعية اياها الى متابعة
العمل غير ان شارل ملك فرنسا الذي لم تنقص بلائته
بعد تنويجه عما كان له منها قبله أجل زحف الجيش يوماً
بعد آخر بالرغم من الحاح جان عليه ان تذهب به الى باريس
ثم خرجت به بعد ربح دون الملك ، واغنم الانكليز تلك
الساخنة فزادوا عدد قواتهم في باريس وتحصين اسوارها
وحفر خنادقها وتوفير ذخائرها

ثم تبعها الملك متلكتاً بعد التثييط وقد ساورة منها
 بعض الخجل فلم يكن قدومه مجدياً لان الفتاة جازت وهي
 على راس الجيش المهاجم باريس بالرغم مما امطره عليها
 الاعداء من السهام ، وفيما هي على سفير الخندق الثاني وغمام
 الشفق يتجمع ، منادية رجالها - الى الامام ! اُصيبت بنبله في
 فخذه ولكنها على رغم ذلك ورغم ماعها نفخ الابواق الفرنسية
 تدعو الجيش الى الانسحاب ظلت مكانها حتى انتصاف
 الليل . واذا التقى الملك بالجند المنسحب ارسل بعضهم
 للمجيء بها

وفي اليوم التالي فيما هي راكبة لمهاجمة باريس ثانية
 اصدر الملك اليها امراً يقضي عليها بالعودة فانسحق فؤادها
 وراحت الى كنيسة القديس دنيس لتنتزع فيها اسلحتها
 البيضاء

ثم أرغمت في خلال الشتاء التالي على الافامة في
 القصر بين رجاله المتعكفين على الملاهي وهو اشد ما كانت

نكره من الامور فانسحبت بعد قليل لا غائنة بلدة كومبيين
فهمجت منها على العدو واكرهته على الفرار امامها

على ان هم رجالها هبطت حين هاجم العدو من الورا
فدحروا وتراجعوا الى كومبيين . اما جان فلم تشأ ان تنهقر
ولكن احد قوادها اوى عنان فرسها الى الورا الا انها لما
بلغا باب المدينة وجداه مقفلاً وقد رفع الجسر الذي يعبر
عليه الى المدينة فوق الخندق المحيط بها . اي ان قوما الخونة
الجبنة خذلوها وتركوها تحت رحمة اعدائها

كانت الشمس في تلك الساعة على وشك الغيب
فسطع شعاعها على علمها الخفاق فميزها الاعداء وانقض نحو
عشرين منهم عليها فمزقوا ثوبها الاحمر وجذبوها الى الارض
واسروها وحاولوا ارغامها على التسليم فابت قائلة
” لقد وهبت اخلاصي لمن يفضل عليكم وسابري لهُ
بعهدي“

فاخذها دوق لوكسمبرغ راغباً ان يتقاضى الفرنسيين

فدية عنها غير ان اخوانها رفضوا اقتداءها ولم يبدِ الملك
شارل ولا بلاطه اقل رغبة في تخلصها او اقتداءها

في ذات يوم بينا كانت جان في سجنها المرتفع عن
الارض ستين قدماً الفت بنفسها الى الارض فرآا منه فكاد
يقضى عليها . وبقيت ردحاً طويلاً فافدة الوعي . تلك
كانت المرة الوحيدة التي عصبت فيها جان الهوانف . ثم
جاء من انتشلها واعادها الى الانكليز فارسلها هؤلاء الى
روان حيث وضعوها في قفص حديدي وغلوا عنقها ويديها
ورجليها ولما خرجوا بها للمحاكمة وضعوها على سرير لث بكرات
مربوطة بالسلاسل الى رافدة خشبية هذا فضلاً عما بليت
به من سباب الجنود وتكرار اسمهم اليها

واخيراً أتت بها الى محكمة القضاء الدينية للمحاكمتها
كاسيرة حرب بل لرميها بتهمة التجرد فنصب لها القضاة
الحبائل سعياً لجرها الى الزلل . غير ان سناجتها وصدقها كانا
كالشمس وضوحاً وفطنتها ونوقد فوادها لم يخذلها لحظة

فما لبثت ان اخذت نهي القضاة حتى لم يتمكنوا من اخفاء
 اعجابهم بها وترديد هم من أنه الى اخرى :
 " احسنت في ما قلته يا جان "

ثم ساقها اولئك الوحوش الضارية الى قبو معتود
 وهددوها بالنار والكلابات والشجاب (آلة للتعذيب تمط
 الجسم) واللولب ان هي لم تعترف بالحقيقة ولكنها ظلت
 مستمسكة بشجاعتهما امينة لهوائها فائلة
 " لو مزقتموني ارباباً لم اقل لكم شيئاً يربو على ما
 ذكرت "

وكانت شجاعتهما في السجن تفوق شجاعتهما في الحرب
 في ذات يوم أُتي لها بقرطاس سطرت عليه كلمات لم
 تدرك فحواها وامروها ان تمضيها فرسمت عليها اشارة
 الصليب . وحين درت ان ذلك الطرس كان يحنوي على
 انكارها للهوائف التي اهتمتها افعم قلبها الاسي فقالت :
 " ما قصدت ابنة انكار الهوائف المهيبة لي طيلة حياتي "

ولم يكن ذلك الا ليزيد خصومها تشددًا في اعلان
كفرها فحكم عليها ان تحرق واذا قرع سمعها هذا الحكم انجبت
قائلة:

”ويلاهُ هل يبلغ اضطهادهم لي هذا الحد من النظاعة
والفسوة فيبيد اليوم جسدي الطاهر الذي لم يشبهُ فساد
وتحول الى رماد؟“

ثم سكن جأشها قليلاً . وفي الساعة الثامنة صباحا
في الثلاثين من ايار عام ١٤٣٠ ظهرت جان برداء طويل
ناصر نقلها مركبة الى باحة المدينة العامة حيث وقف جمهور
غفير من المتفرجين في انتظارها غير مبدين حركة ولا نامة
ارنعاشًا واشفاقًا واذا اطلت عليهم لم تبق عين لم تبكها حتى
ان بعض الفضاة الذين حكموا باعدامها لم يتمكنوا من التجلد
على مشهد احراقها حتى النهاية

وقفت جان بين ركाम الوقود التي اضرها الجند فلم
تندلع السنة لهبها حتى تلفتت الى رافع الصليب الواقف

عن كذب منها يمكنها من مرآة قائلة له ان يتعد حذرًا
من احتراقه . فكان آخر ما فكرت به في حياتها هو سلامة
ذلك الرجل ثم صاحت بصوت عال متفوهة باسم يسوع
المسيح وسقط راسها على صدرها

كان بين الوقوف رجل انكليزي نبيل ما لبث ان
غادر ساحة الاعلام صارخا :
” ضللتنا يا قوم واحرقنا قديسة ”

كانت جان يوم وفاتها في التاسعة عشرة ومنذ ذلك
العهد لم تعد فرنسا تخضع لسيطرة ملك غريب . ان قوة
تلك الفتاة وايمانها وجراتها التي لم تخذل مكنتها من الظفر
في مواقع دونها المواقع التي انتصر فيها قواد فرنسا
لقد حازت نصراً خلواً من السحر ما خلا ذاك الذي
يستطيع كل منا ذلك سحر الطاعة العمياء للهوانف النافخة
في صدورنا

الحجاج المتكثرون

”مدينة صغيرة فيها أناس قليلون . فجاء عليهم ملك وحاصرها
وبنى عليها أبراجاً عظيمة ووجد فيها رجل مسكين حكيم فنجى هو المدينة
بمكتمته . وما احد ذكر ذلك الرجل المسكين“ ^(١)

.....

كنت وارنست جالسين على ذروة اكمة . فقال وهو
يجهل بصره في حقل ينتهي الى اسفل الاكمة كان فيه فلاح
يشق الارض بمعرفته تشيطاً لما زرع من اللنت على
الفاء

”ما اسوأ حظك“

فسأله ”حظ من؟“

قال- ”حظ ذلك الرجل المسكين الحكيم الذي انقذ

(١) سفر الجامعة ص ١٤: ١ و ١٥

المدينة وظل اسمه نسيًا منسيًا . ان اغفال الناس امر هذا الرجل وجحودهم فضله لفي غاية الدناءة

— "أصبت ولكن حظ الملك مما لقي من الصعاب خلال هربه اسوأ من حظ الحكيم في اهل الناس شأنه"

فهزأرنست رأسه وقد خامره الشك في ما اقول واجاب
 "كان على الملك ان يتوقع مقاساة الاهوال لانه كان
 المعتدي اما الرجل الحكيم الذي انقذ المدينة فيحق له ان
 لا يتوقع غير الثناء"

فوافقته على قوله ثم سأله :

— "لو خيّرنا ان نكون احد الرجلين ، الملك
 المغلوب على امره ، او الحكيم المسكين الذي انقذ المدينة
 ببراعة جيلته ، فايها تختار ؟"

كلانا آثر — لو خيّرنا — ان يكون الرجل البائس
 على ان ارنست اصاب بقوله "انه كان سيء الحظ" ان الملك
 نال ما يستحق اما الرجل المسكين فلم يجز بما كان له اهلاً

ثم قال : كيف يهمل الناس شأن هذا الرجل على حين لم يغفلوا عن تدوين الفرسان والابطال الذي سردت لي اخبارهم من امثال الملك لويس ، وابراهيم لنكن ، وجان دارك ؟

قلت : ان بين الفرسان والحجاج من جهلت اسماؤهم ودُرست اعمالهم التي لم تكن تنقص جودة عن اعمال من اشتهروا عدداً غفيراً يربو على الالوف لا يعرف احد عنهم شيئاً . وقد يكون شأن البطل شأن الغلام الكشاف الذي كلما ازداد تسنراً اجاد عملاً . اما تذكر تلميذاً سئل " ما هو الشرف ؟ " فاجاب

" ان يزيد فضلك وصلاحك كثيراً عما يطلب منك سواء أدرى الناس بامرك ام لم يدروا "

ان بيان هذا الغلام اجلى واصدق من كل معاجم اللغة والفراس الحق من لا تكون غايته الاولى الفخر بل انقاذ فتاة وقعت في شرك ، او قتل ثعبان دفعاً للضرر . اما تذكر ما

شاهدته في حفلة محافظ مدينة لندن في الخريف الماضي وما
 بدا فيها من مظاهر الابهة والفخمة — الجياد المطهنة والاقية
 القرمزية وفرقة سيوف الجنود والمدافع يحرها البحارة وبريق
 النحاس ودوي الطبول ومحافظ المدينة ذاته راكباً في مركبته
 المتلألئة تسير به بين هتاف الجماهير ؟

ان اولئك الذين ساروا في الموكب وامثالهم يأخذون
 شطرهم من المجد في مواكب الحفاوة . ولكن الرجل الذي
 يرى حياة انكلترا في عصرنا الحاضر رعباً صادقاً ، هو ذاك
 الذي لا يفتأ نظرك منذ ربع ساعة منعاً فيه
 — من هو هذا الرجل ، وابن هو ؟

وما عثم ان اشار بيده الى الفلاح وقد جلس قليلاً
 للتروية عن نفسه ، ثم اردف :

— ترى انت تعني ذلك الفتي المحارث ، حامل المعزقة
 ولكنني لا اري في مظهره ما يدل على كونه فارساً متقد المهبة ؟
 فما رأيتي قادراً على اجابته بغير قول الشاعر :

”لقد قوّست ظهره أعباء القرون فأنعني على معزقته“
 ”مُثَبِّتًا في الأرض بصره“ إلا أن ترجية الأجيال تلوح
 على وجهه وأعباء العالم أناخت بظهره“

— كلاً ليس هو بالفارس المتحمس ولكن ”أعباء العالم
 أناخت بظهره“ فيجهد في زرع اللفت ، بينما تجد البعض
 لا يقدرّون على عمل غير أكل التفاح
 فارقت كف أرست على جيبه المنتفخة رغبة
 باستقصاء ما فيها فاستأنفت :

إن ملابس هذا الفلاح وقد علاها التراب وخفيه
 المغبرين لا تلقى من سكان القصور الفخيمة غير الاحتقار
 على أن تلك القصور تبنى بجهود العمال وغذاء سكانها عرق
 جباه أمثال هذا الفلاح حامل المعزقة وهو يقضي فرض حجو
 على مهل بين الأثلام المزروعة لفتناً . أنه يسهر على تغذيتنا
 ويربي أبناء أشدنا وما انقطاعنا عن أجلال شأن هذا الفلاح
 وأمثاله من حملة المعزقة والفأس والمنشار والمسحاح إلى
 قاموا بجلائل الأعمال النافعة بالمستطاع ما دمنا ذاكرين

طال الإبطال الذي احترق النجارة في مصنع الناصرة
 أنذري اني وانا اراقب ذلك الرجل الحامل المعزة
 يتراءى لي حلم جميل اتمثل فيه موكباً جرّاراً لا يحصى له عد
 من الحجاج المستترين الذين خفيت عنا اسماؤهم

ارى في هذا الموكب زمرة من الرجال هجروا بيوتهم
 وتركوا عن وطنهم اسيا الصغرى ليحملوا الى بلاد اليونان
 بشائر السرور. فافلهم مركب شرعي محرّهم بحراً جائش
 الانواء رسا بهم عند شاطئ صخري تسلقوا وعورة وذهول
 ذهاباً لم تكن لهم اوبة منه

حلّت حبال المركب وبسطت شرعة واطلع في بحر
 الروم متجها الى مغرب الشمس مجناحاً بواغيز مسينا ثم خف
 الى رومية حيث كانت عصبة من الفتيات العذارى اللاتي
 رفضن الانخراط في خدمة الهياكل الوثنية مائلات امام
 القضاء فسألن المحكام وقد اريدت وجوههم عن سبب
 امتناعهن فاعترفن انهن أقفلن عن عبادة آلهة رومية

وعبدن الهما واحداً ارشدهن اليه يسوع المسيح . ففضى
 النضاة باعدامهن وأُني بهن الى ساحة فرشت بالرمال
 الحارة يحيط بها جمع تعجز عن تحديد العيون مؤلف من
 عشرة آلاف من المنفرجين . واذا أعطيت الإشارة سمع
 الناس في تلك الحلقة الكبيرة وهم جلوس على مدارج الكوليزيوم
 (ملعب رومة الشهير) صرير الابواب الحديدية ندوي
 ورأوا السباع المجرعة تنقض على اولئك الفتيات ففتناهشن
 وارى مركباً آخر يقلع في بحر الادرياتيك متجهاً الى
 ميناء البندقية (فينيسيا) ناقلاً جماعة من الرجال استغفتم
 الى التبشير نزية من الشوق وهم من فئة الفرسان المتكشمين
 الذين لم تدون اسماؤهم في سجل التاريخ ثم اراهم يتسلقون
 جبال الالب متخطين معايرها وقد تجهدت فوقها الثلوج
 بلوغاً الى اوربا الشمالية . فيصادفون في طريقهم جماعات من
 البرابرة كانوا متدثرين بالجلود ، مثلبيدي الشعور ، يحملون
 بايديهم رماحاً ثقيل في النضاة ويزعنون زعقات هائلة

ترجع صداها ارجاء الاحراج . يذهب اولئك الحجاج المتسنرون
لتبشير البرابرة الغوطيين . فيؤمن البعض برسالتهم ويثور
البعض عليهم فيهدمون منازلهم ويقوضون خيامهم وبطرحونها
بما فيها طعمة للنار ويتركونهم على الحضيض دون منازل
او سلاح

وارى مركباً آخر خارجاً من اوربا الشمالية غير آبه
لتكاثف الضباب فوق البحر الشمالي حاملاً نعمة من الرجال
وصلوا به الى شاطئ ذي رفوف صخرية طبيعية ثم ترجلوا
وساروا الى مملكة (كنت) حيث استقر بهم المقام . وبلغوا
هذه الآكام التي يجلس عليها الآن . فصدّهم سكانها عن
التقدم وطرحوا بعضهم الى هوات سحيقة ، وذبحوا بعضهم
ذبح الشياه . لم تتصل اليها اسماؤهم وكل ما نرويه من اخبارهم
ان عهد قدومهم الى هذه البلاد يرجع الى الف واربع مئة سنة
وان شعاع مجدّهم اللاّلاء المتعكس من غايتهم السامية ما
يبرح ساطعاً فوق هذه الشرفات الواقفين نحن عليها من

هذه الطريق الرفيعة

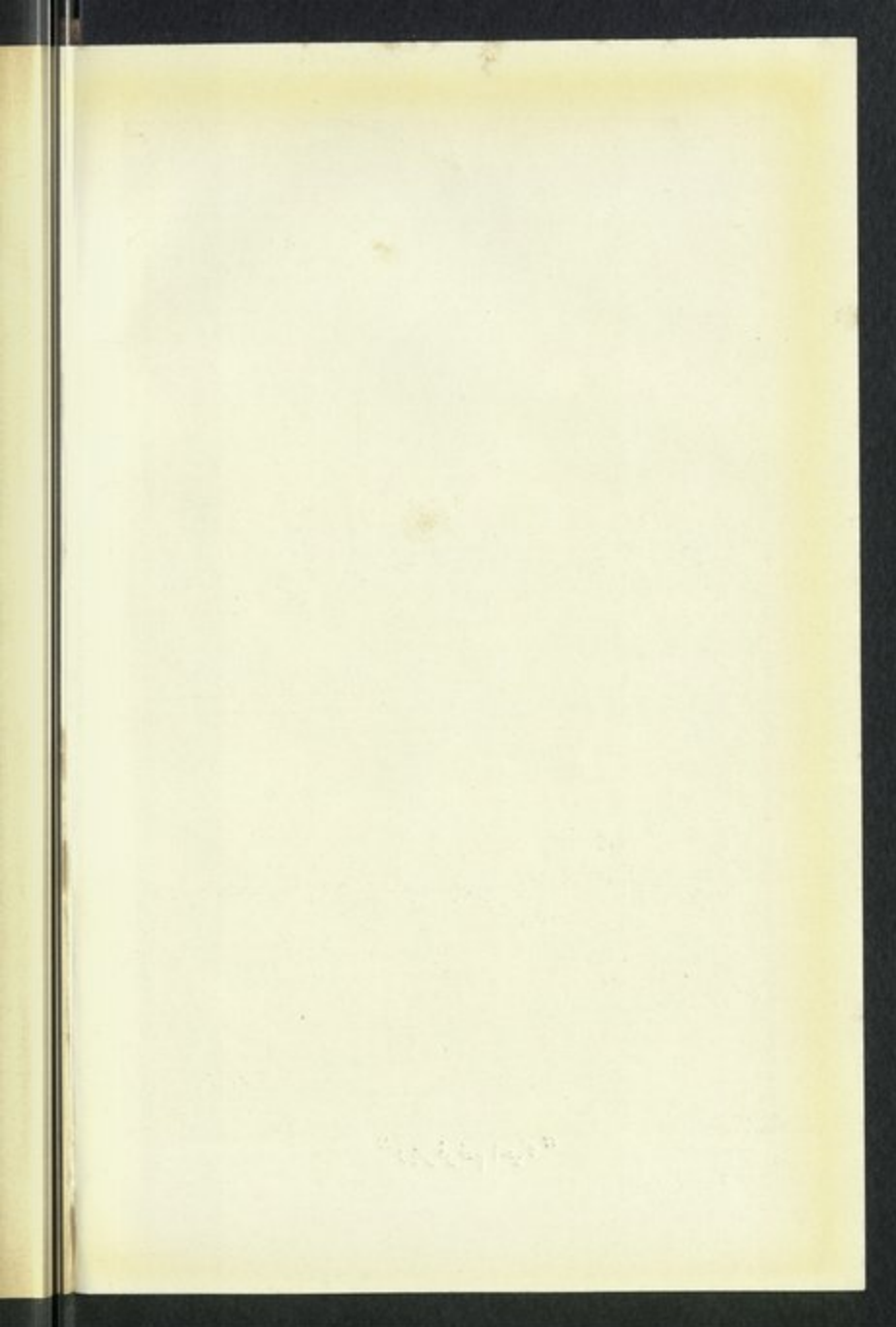
تمر مئات من السنين ثم نرى مشهداً آخر - نرى سفينة مقلعة من غربي هذه الجزائر البريطانية متجهة الى المغرب وهي تحمل جماعة من الحجاج يؤمنون بلاداً جديدة يستطيعون فيها ان يعيشوا احراراً وان يعبدوا الله طبعاً لما ترشدكم اليه ضمائرهم

ونرى بعد زمن يسير في اعماق الغابات الاميركية رجالاً من هؤلاء الحجاج او من احفادهم موثقين ينجذوع الاشجار وقد احاطت بهم زمر من الهنود الحمر الوجوه فيذيقونهم امر العذاب ويقتلعون اظافرهم من اناملهم ومجرفونهم احياء واليوم لا تزال نرى في الارحاء السحيقة من البلاد الاميركية حجاجاً متكتمين يقاسون شظف العيش نائين عن الحضارة في مضارب الخطايين او محلات المعدنين يقبضون على فأس الخطاب او معول المعدن بايديهم من حديد - هم رجال خشنوا الظاهر ولكن قلوبهم نقية



”ويجرفونهم احياء“

“IN THE DEPTHS OF THOSE AMERICAN FORESTS MEN ARE BURNED.”



وحياتهم تزيهة مستقيمة على رغم محيطهم المعوج القذر وما
 ذلك إلا لأنهم وضعوا الغاية السامية نصب عيونهم ولم
 يجذوا عن السعي وراءها

وهناك مشهد آخر نراه في أحد شوارع ادنبرج .
 الوقت ليل والأولاد يطفرون ويلعبون على رصيف شارع
 وإذا بامرأة فانية تلفعت بالمشيب بالية الثوب تمشي في شارع
 مزدحم بالخلق مشية من لا يملك بعضه بعضاً فإذا هي تخفي
 على استرخائها وتلتقط من الأرض شيئاً وتخفيه في طيات
 ثوبها الممزق . رآها أحد المارة فهتف بها
 - "أجوهرة هذا الذي تخفين؟"

فتنهدت ولم تحر جواباً
 لو كانت الحقيقة تجلّ لاسفرت الجوهرة المخبوءة عن
 قلبها

فصاح الرجل بها ثانية: ما هذا الذي تخفين ؟
 فرفعت بصرها إليه فجهر نور الغاز بصرها وامض

عينها الخائيتين ولكنها ما عثمت ان اخرجت قطعة زجاج
أرته اياها قائلة

”هذا ما اخفيت وما انتظت خشاة ان تجرح به الاقدام
الحافية اقدام اولئك الاطفال الالاعبين“

ألا ان وراء ذلك الثوب الرث الملهل قلباً ملكياً !
أترى امثالها الذي يأبهون لتنظيف الطرق رحمة
بالاقدام الحافية كثيرين

....

يقوم في مخيلتي مشهد آخر. جلست فيه في غرفة بلندن
الى رجل عاد مؤخراً من الصين فحدثني قائلاً :

”... لقد اضطرنا الامر حال نشوب ثورة البوكس
في الصين ان نلجأ الى الفرار نجاه بارواحنا من التهلكة

”اقبل علينا الثوار واحاطوا بنا بهزون سيوفهم
وهراواتهم في وجوهنا وفي خلال المعركة رأيت ابني وهو في
الثانية عشرة يعدو من حول الثوار دون ان يخامرة

خوف ولا وجل صار خآبي
 ” أنرى هذا المشهد يا ابتاه احد مشاهد روايات هنني ^(١) !
 ” انه والحق كان صادقاً في تشبيهه“

ثم حنا محدثي رأسه واراني ندبة الجرح في ججهته ،
 الذي كان قد اصيب به اثناء ذلك الصراع الهائل وهو
 نتيجة طعنة نجلاء شقت قلب خوذته التي لو لم تكن بقي
 راسه اثناء الموقعة لما بقي حياً . ثم قال :

” الحق يقال ان ابطال ذلك اليوم المشهود الحقيقيين
 هم الصفيون المنتصرون ، فقد ابوا ان يقلعوا عن خدمة
 المسيح مؤثرين الموت على انكاره فعوقبوا على ذلك بان
 اطلق عليهم الرصاص“

ثم نهضت وارنست لمغادرة الاكمة وكانت الشمس
 تدرج ببطء الى الغروب وراء اكمة ”ليث“ التي تشبه الاسد
 الرابض وقد علمها الغيوم المتلبدة تنيرها اشعة الشمس

فظهرت كمدينة من الضباب الذهبي وكانت سهام الانوار
تطير من قوس الجو بارقة بريق النصال الى كل ناحية
من الانحاء مضيئة طريق الحجاج، حتى كنت ترى نبات
العوج يتوهج احمراراً بالعمان تلك الانوار كأنه المشاعل
المضاءة

فرفعنا ابصارنا فتملت لنا تلك المدينة المقدسة ورأينا
فيها ما كنا نراه من شارع كأنه صنع من الذهب الخالص
له شفافة البلور. سار فيه يسوع المسيح في طليعة الناس وعن
جاني الشارع عدد لا يحصى من حجاج الصليب المتكتمين
يتبعونه متحمسين تلك المدينة. جاءوا من الشرق الى الغرب
محترقين الودية المظلمة حاملين مشاعل الانوار لاضاءة
طريق الاطفال

فلما اصبحوا على مقربة من الابواب امتزجت اضاء
مشاعلهم بنور مجد المدينة الباهر
ومنذ ذلك اليوم لم تعد تلك الابواب توصل ولا انقطع

في العالم الراغبون بولوجها من الحجاج المتكتمين الذين
 نجهل اسماءهم او ننسى تدوينها
 ولكنهم ما يبلغون تلك المدينة حتى يجدوا اسماءهم
 مدونة في سجل الملك باحرف ذهبية !



الصيد الجري

"الصيد مقاتل شجاع. البحار المزبدة ساحة ميدانويجاهد فيها جهاد الابطال ثم يعود باصراه الى وطنه مكلل الهامة بالظفر"

وقف صياد كهذا على ساحل بحيرة تكاد لرحابنها ان تكون بجزراً. وقد تردى مجلباب من الكتان مما يلبسه الصيادون عادة اسود العينين فاحم الشعر جعده لؤحت الشمس بشرته وعمقت النسم غصونه وقد طالما احفرت خطى قدميه الثابتتين تلك المشارف البحرية الرعة

فيما سمعان الصياد منهك في صيده مسرحاً طرفه في البحيرة يرى صياداً بعد آخر ينزل قارباً الى البحر باسطاً اشبعته الصغيرة. وما توشك القوارب ان تبلغ عرض المياه العميقة الغور حتى يطرح اولئك الصيادون شباً كمهمجذبونها

من وقت الى آخر ناثرين ما علق بها من الاسماك الفضية
الرفرافة في اسافل القوارب ،

يلتفت سمعان بين هنيئة واخرى للاشراف على
الجو من ناحية الجبال بوجه وامق مشوق فيرى غمامة
هابطة من الجبال على طرف البحيرة الثاني تندفع في اثرها رغبة
من الزبد الابيض فلا يرى الا ان يحيط فمه بيديه ويهتف
بمن في القوارب من الصيادين "ان عودوا الى الساحل"
فلا يسمعون حتى يجذبوا شباكهم ويهرعوا ملتجئين الى الخليج
الصغير انقاء تلك الزوبعة الجائشة الباعثة للجمح على الزفير
فيقول يوحنا احد الصيادين الشبان انة يصيرون في
مأمن من الزوبعة "اجدت يا سمعان وكنت منقذنا هذه
المرة من الفرق"

فيلتفت زبدي وهو شيخ طوى مراحل الشباب قائلاً
له: "شكراً لك يا بني"

ثم يتسم ويقول لمن معه: "ان سمعان لنذو بصري حاداً

وقلب متقد . فهو كالزبقة الهاوية على البحيرة الهادئة يجيش
غاضباً في لحظة ويستكن هادئاً في لحظة عوداً الى ما كان عليه
من اللين والسكينة . اما وقد سكن جأش الريح فهل ايها
الشبان نستأنف العمل .“

فيرجع سمعان بعد حادثة كهذه الى مساعدة شقيقه
اندر اوس وهو شاب اعظم منه رصانة فيتعاونان على اصلاح
الشباك استعداداً لالقاءها ثانية . ولا يتجاوزان مسافة
قصيرة حتى يطرحا الشباك في الماء . وفيما هما دائبان في
العمل يمرّ بهما شاب في الثلاثين من عمره يقارب زمرة
الصيادين سنّاً فيجيبهم بابتسامته الخلابه متخطياً امامهم شاطئ
البحر

هو الرجل الذي كانوا قد رأوه من قبل وهو من
أشهرهم انه مميّز عن النظراء من معارفهم
يرجع عهد معرفتهم به الى زمن قصير كانوا فيه يختلفون
لزيارة يوحنا المعلم العظيم المتخذ مقره على ضفة النهر ذلك

الذي كانت تخفق افئدتهم اسماع اقواله وكان هذا الشاب
 ممن اقبلوا لسماع محاورته مرة فعملوا من امره انه من مواطنهم
 ابنا الجليل يحترف التجارة ورأوا يوحنا الذي لا يحمل بعظماء
 البلاد ويستخف بهم ويصب على هامهم جام غضبه استنكاراً
 لاعماله الشنعاء يبالغ بخفاوته لهذا الشاب وبشير اليه بقوله :
 ”هوذا الرجل الذي لست مستحقاً ان احلّ سيور
 حذائه“

اشعر محباً المسيح كلاً من اولئك الصيادين الشباب
 الاشداء بمثل ما شعر به يوحنا وعلى الاخص الفتيان والغلمان
 منهم

كانت اقواله تنظر حكمة ووجهه يطفح حباً فلا يجد
 المناظر اليه بداً من مبادلتها مثله

واذ يرى يسوع المسيح سمعان واندرواس يهيب بهما
 قائلاً : ”اتبعاني“

ثم يشير بيده الى الشباك ويردف : ”اتبعاني فاجعلكما

صيادين للناس

فيرفع سمعان طرفه فيرى امواه البحيرة الزرقاء نور
والآكام الشاهقة ثللاً وصخورها الكلسية الصفراء تلتصق
ثم يعيده الى البحيرة فيرى من القوارب ما يتدافع زالجا على
سطح المياه مع هبوب النسيم حتى يبدو لعين الناظر كأن تلك
القوارب نقوش وشي بها اديم البحيرة . ومنها ما هو مستقر
هادى لا ملنف الاشعة وقد اتى من فيها شباهم الى البحر
ثم يرى خلف الساحل قرية صغيرة تدعى بيت صيدا اي
وطن الصيادين وهي دسكرة بلدة كبيرة تدعى كفرناحوم

ان بيت صيدا هذه مسقط رأس سمعان فيها درج
وشب وفي باحات ازقتها تراكض طفلاً ذهاباً وإياباً وفي
ظلال زيتونها لعب ومن تبناها فطف وفي ظلها جالس للترويه
عن نفسه وتحث جوزها الوارف الظلال المضائي الخيام
مثل مع انزابه حركات البدو كما تقلد نحن الهنود ومن كرومها
الواسعة الارجاء تناول اشهى انواع العنب . تلك البقعة

اخضب بقاع الارض . هي الزاوية الصغيرة المدعوة "جنة
الامراء"

على تلك الرمال سار بعدو طراداً وهو غلام مرحباً
بأبيه العائد من الصيد بعد قضاء نهار فيه . كان ذكر ذلك
اليوم الذي تجاوز فيه مع ابيه حافة القارب لأول مرة في
حياته يملأ حناياه الخافقة فخراً كيف لا وهو اليوم الذي
مخر فيه عباب تلك البحيرة العجيبة التي كانتها :

ما افضى بئلاً زلاً عند مشارف جدره الوماجة

صَّبَّ في قدح من الذهب الخالص

ايه ابنا الامواج المتلاطمة

لكم كان بجهك ولكم كان بهيجك مرأه الى لثم قدميه

لكم خاض عجاك ابنا الامواج وما اسعدك حظاً

وما اجملك ايها الجهر الصغير النضي الطائر الصبت

الموسد سفوح مشارف جدره

انه مهما يكن من حدة مزاج سمعان وسرعة اشتعال غضبه

المعادلة درجة انقاد حماسه وحرارة اقدامه الرائع على الاعمال

الخطيرة فليس لعذله من سبيل لانه لم يكن بعد قد تجاوز

عهد الشباب فما كاد يسمع الصوت هاتفاً به "اتبعني" حتى
انتصب - وهو القلب المتقد كما يدعوه رفاقه - وجذب
شباكه وتجاوز حافة القارب وتبعه متسلقاً تلك الوعور
مخترقاً فرى وطنه المربع الوضاء

وكان يسوع واتباعه لا يخنارون على الغالب من
المسالك الأليمة على سفوح الجبال فاذا كلت اقدامهم عن
متابعة السير انقضى يسوع ناحية زيتونة ظليلة فوق صخر سائب
خددته المياه واحدقت به جماعة جلوساً تحت قبة الفلك
الازرق ترويحاً للنفس واقبلت باسماها عليه مفتنة الالباب
ببشارته العجيبة

كان ذكر ذلك اليوم الذي اضطرب فيه سمعان
يسوع الى بيته لاول مرة حيث كانت حماة تنتفض برعدة
الحصى من الايام التي كان مجرد ذكرها ايضاً يضرم قلبه . فلما
امسك المسيح بيدها خمدت فورة الحصى وتركها في الحال
ونهضت المرأة تمد يد المساعدة في خدمة المنزل الشغوفة بها

كان من عادة سمعان انه اذا أغرم باحد اخلص له الولاء .
منذ ذلك العهد فاق حبه واحترامه ليسوع حبه واحترامه
لاهل المعمور قاطبة . وكانت نفسه تشعره احياناً بأنه ضعيف
جداً على عادة ارباب البسالة الصادقة . واليك مثلاً من
ذلك :

في ذات يوم رافق يسوع سمعان الى الصيد فانسلّا مع
الفجر الفص وكان الجو صافياً . وفيما هما هنالك رأى سمعان
في مجى المسيح ما اهاب به الى الصراخ دهشة وإكباراً :
” اليك عني فاني رجل خاطي ”

وهو ما يهتف بمثله كل فتى يأتى منكراً ثم يرى على اثر
ذلك اعز صديق لديه واسى بطل في عينيه على انه ولين
كان قد كتم عنه قوله في نفسه ” تباً لي من وحش ضار ” فلا
شك ان هذا القول خامر قلبه

لم يكن سمعان في اعماق قلبه الا غلاماً كما سترى . كان
اقدمه العجيب طوراً يدفعه الى اقتحام الاخطار وطوراً يخمد

فيه فتتلاشى شجاعته حتى يخيل اليه انها انسلت من رؤوس
انامله من حيث لم يشعر

في ذات ليلة رأى بطالة المحبب ماشياً على امواج بحيرة
الجليل قادماً الى الناحية التي كان فيها تلاميذه وقوفاً في
السفينة . انه كان ماشياً على " الامواج التي كانت تجارى
لثلم قدميه "

فقفز سمعان من السفينة متقد القلب بلبس البسالة
فانض الحشائفة وايماناً فاذا شجاعته في السير على الماء
تعادل حاجته اليها ولكنه ما لبث حتى خبت في صدره
روح الجراءة فرفع ذراعيه قائلاً : " يارب انجني "

فتوقف المسيح عن سيره وخلصه من المياه التي فغرت
فاها لابتلاءه

كان سمعان في جملة الصحاب الذين كانوا يجوزون
العشب النابت على الاكام الوعرة السائبة المغشي الجبل من
اسفله الى اعلاه يوم صعودوا الى قمته فرأوا بفتنة محيا بطلم

ومعلمهم مجللاً بنور ساطع لم يكذب ليحبه سمعان حتى هتف :
 ”حسناً ان نبقى ههنا“

على ان يسوع وقد كانت نفسه تشعر بان في الوادي
 فتى مشفقاً على الموت ابى اجابته الى ما طلب وهبط معه الى
 الوادي حيث ابرأ المريض وارى سمعان ان الايام المقدسة
 التي تقضى على الجبل لا تكون صالحة الا اذا صيرتنا حين
 العودة الى الوادي اعظم استعداداً لعمل الصالحات

ثم خرج سمعان وسائر صحبه في اثر يسوع فقطعوا
 مسافات شاسعة وسلكوا مسالك وعرة بين الاكام الشاهقة
 التي ياوي الى مثلها قطاع الطرق حتى بلغوا الى حدود البادية
 وطن القبائل الهمجية . وحال وصولهم الى قيصرية فلبس
 سألهم يسوع : ”من اكون في نظركم؟“

فاجابه سمعان المتحمس :

”انت المسيح ابن الله الحي“

فسرّ بجوابه لانه عرف حقيقته من تلقاء نفسه وشهد

لَهُ بِهَا فِي زَمَنٍ كَانَ قَدْ شَاعَ فِي انْحَاءِ الْمَدِينَةِ عَنْهُ أَنَّهُ دَجَالٌ
يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ . فَقَالَ لِسَمْعَانَ :

”سُتَدْعَى يَا سَمْعَانَ بِطَرَسَ (صَخْرَةَ) وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ
سَأُنْبِي كَنِيسَتِي“

فَامْتَلَأَ سَمْعَانَ بِطَرَسَ زَهْوًا وَفَخْرًا بِهَذَا اللَّقَبِ وَشَاءَ
أَلَّا يَدْعَى فِي مَا بَعْدَ الْآنَ بِهِ وَلَكِنْ لَمْ تَمُضْ عَلَيْهِ بَضْعُ دَقَائِقَ
حَتَّى حَاوَلَ أَنْ يُثْنِيَ عِزْمَ يَسُوعَ عَنْ عَمَلٍ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ
تَحْمَسًا مِنْهُ وَحَقًّا وَغَرَامًا بِيَسُوعَ وَرَغْبَةً بِصَيَانَةِ حَيَاتِهِ وَقَدْ
فَانَّهُ الصَّوَابَ فَاضْطَرَّ يَسُوعُ أَنْ يَقُولَ لَهُ : ”إِلَيْكَ عَنِّي أَيُّهَا
الْمَجْرِبُ“

مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي ثُمَّ جَاءَتْ آخِرُ لَيْلَةٍ كَانَ فِيهَا
شَمْلُ الصَّحْبِ مُلْتَمَسًا . فَجَلَسُوا لِتَنَاوُلِ طَعَامِ الْعِشَاءِ فِي عَلَيْهِ
صَهْبُونَ فَاخَذَ يَسُوعُ أَنَاءَ مَاءٍ وَمِنْشَفَةً وَجَعَلَ يَغْسِلُ أَفْدَامَ
رَفَقَائِهِ لِيُدْرِيَهُمْ عَلَى الْإِخْذِ الْإِخْذَةَ وَلَمَّا جَاءَ دُورُ بِطَرَسَ
الْمُتَحَمِّسِ قَفَزَ إِلَى الْوَرَاءِ صَارِخًا : ”لَنْ أَدْعَكَ تَغْسِلَ

قدمي "فاجابه يسوع بانه لا يقصد من ذلك غير تعليمهم
الاقتداء به وتدريبهم على الطهارة. فاندفع بطرس الى الناحية
الاخري وصرخ: "اذن تغسل يدي فضلاً عن قدمي"

ارتحل يسوع بعد ربح من ذلك المساء نفسه مع
تلاميذه الى بستان في جوار اورشليم وفيما هم هناك راوا مشاعل
يقرب حاملوها منهم وفرغت اسماعهم ثمة اناس وقرقة
عصي ثم تبين لهم ان الجماعة قادمة بطلبهم وكانت آتية لالقاء
القبض على المسيح ليلاً مخافة انتصار الجماهير له واندفاعها
الى انقاده بعامل حبيائه فيما لو جاء اعداؤه نهاراً. فلما
راهم بطرس احندم غضباً وهجم عليهم شاهراً سيفه غير انه
انه واحد ازاء حشد ف ضرب اقربهم اليه ضربة جنونية
اطارت اذنه. فدنا يسوع من الجريح فابراءه دون ان يعنف
بطرس الذي كان اذا هاج هائجاً بهاجم جمعاً غفيراً وحده
على ان بطرس كان يخاف تهكم الناس عليه - شأننا
جميعاً - ولذلك نجد عقيب بضع ساعات سبق فيها يسوع

الى بيت رئيس الكهنة ناكراً معرفته به هنيهة وقف يصطلي
على موقد مضطرم موضوع في باحة الدار فاقتربت منه
خادمة وتبينت من هجته الرقيقة انه جليلي فقالت مشيرة
باصبعها اولاً الى بطرس ثم يدها الى حيث كان يسوع واقفاً
بانتظار محاكمته :

” ان هذا الرجل كان معه ايضاً “

انتفض بطرس لسماعها وتقلصت بشرته السمراء علماً
منه ان يسوع متهم بالخيانة وقد حكم عليه بالاعدام فقال في
سره وعيون القوم محدقة به : ” مالي ادفع بنفسي الى الموت ؟ “
واذا به يولي يسوع صفحة اعراضه في غير شفقة وينكر
معرفته به

لم تكذ اسياح الفجر الوضاعة تزلج في الافق الشرقي
متدافعة حتى كان يسوع خارجاً من المحكمة سائراً الهويناء
في طريقه الى الموت . فالتفت فرأى بطرس ذلك الرجل
المخمس الذي كان قبيل ساعة او ساعتين شاهراً سيفه رآه

مذعوراً واجف القلب تضطرب شهادة خادمة الى انكار معرفته السابقة به. وهنا صاح الديك معلناً طلوع الفجر

كان ذلك النهار على بطرس الصخرة شَوْماً ونحساً ومثله ليله لانه لم يكن قد مضى يوم كامل على قوله ليسوع مزهواً زهو الغلام: "اذا تركك الجميع فلاني لن اتركك" فلم ير الا ان ينساب تحت ضياء النجوم المتضائل الى حيث اتزوى وبكى بكاء مرّاً

في اليوم التالي تسلق بطرس الاكمة المجاورة للمدينة فرأى معلمه البطل المقدم الذي قد طالما كان يرافقه الى هذه الآكام خلال الثلاث السنوات الاخيرة المجيدة من حياته معلّقاً بين لصين على المشنقة الرومانية. وكان آخر قول فاه به بطرس على مسمع يسوع: "ليس لي معرفة سابقة بهذا الرجل" فنجّل لبطرس انه لن تعرض له سائحة يصلح فيها ما اقترف

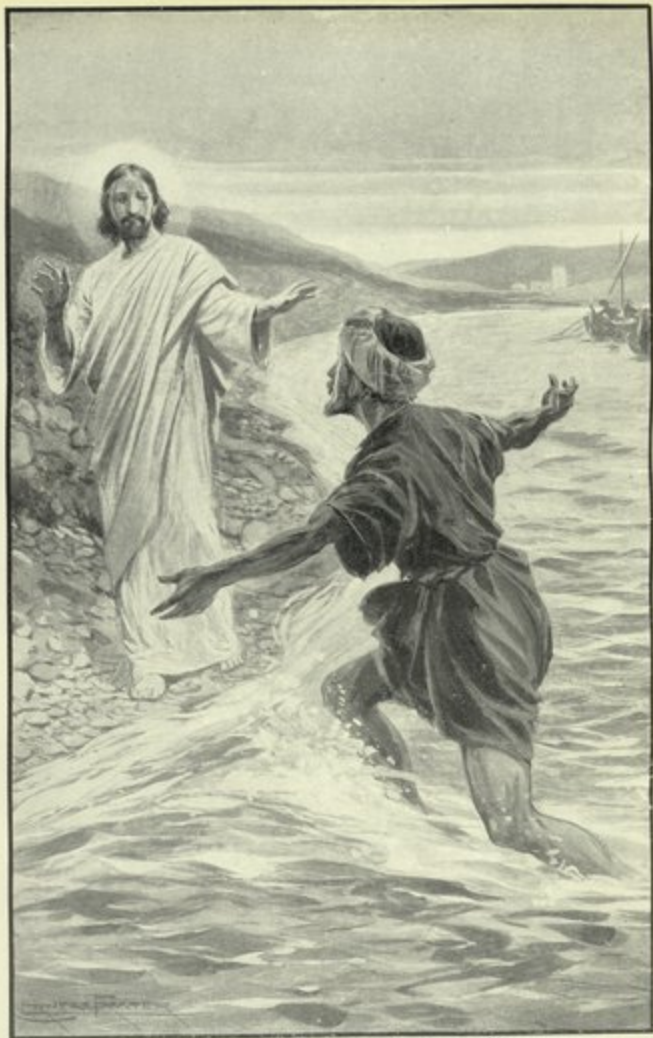
ما هذا الخبر الذي يتعذر تصديقه ؟

أَيُقَوِّمُ يسوع من الموت ؟ ان هذا محال ولكن هي الحقيقة
الواقعة . خرج بطرس يعدو على المسالك والريج ناثرة شعرة
على وجهه لا يابيه لما يعترض طريقه من العثرات والوعور
فانزأ فوقها بجفنة الى ان بلغ القبر فاذا هو خال !

انها الحقيقة واقعة لا تخجل الشك . فلم ير الا ان
يخبر زملاءه بأنه " عازم على الخروج الى الصيد "

قضى ليلته على سطح المياه محاولاً تسرية اشجائه منهمكاً
في عمله حتى خذلته قواة وكلت ذراعه وارتهك ظهره .
وعند طلوع الصباح ارتد وصحبه الى الشاطئ وكان الفجر
على وشك الانبثاق فطرق سمعه صياح الديك آتياً ضعيفاً
من ناحية الآكام البعيدة فارعشته الذكرى

ما هذا الخيال القاتم القادم من جهة الشاطئ المتري
بغمام الصبح ؟ محال ان يكون هو . ولكنه كائن فعلاً ! فالقي
بطرس بنفسه من السفينة وترامى على قدمي معلمه . فسأله



فالتى بطرس بنفسه من السفينة على قدمي معلمه

DRIPPING, BREATHLESS, HE DROPS AT HIS MASTER'S FEET.

مجلس شورای ملی و مجلس سنا

أتجنبي يا بطرس ؟

فصرخ بطرس بلهجنه الحارة مؤكدا له حبه . فقال يسوع : " اتوثرني باعزازك ؟ " قال انت تدري يا معلم بانى افعل . قال يسوع " ارع خرافي "

" ارع خرافي . ارع حملاني " تلك هي ارادة المسيح السنية ان من رعي بالخيانة امسى راعيا

منذ ذلك العهد غدا بطرس الصياد الذي ظل غلاما يجرأه رجلا بحكمته بل اعظم جرأة وشجاعة منه قبلا ولم يعد الى انكار معلمه مرة اخرى

هو اول من وقف بالوف الناس راويا لهم سيرة حياة معلمه وموته . وقد حملته جسارته وحزمه على قطع الجبال والانهار وخوض البحار والمثلول امام الملوك تحقيقا لغاية الراعي وهي " رعي خرافه "

ولما علا المشيب اخيرا رأس الصياد وتفضى شبابه كادحا في عمله الخطير زجه الرومانيون في السجن ثم صلبوه

كما صُلب معلمه . فذكر بطرس ذلك اليوم المشهود يوم
 أنكر يسوع مخافة أن يصلب فقال " اصلبوني ورأسي الى
 اسفل لاني لست مستحقاً ان اصلب كمعلي . ففعلوا
 ان هذا البطل يقف بين فرسان الغاية موقفاً عالياً
 " انه نسم اعلی ذری البطولة مجهاده في سبيل الله فسجل اسمه في
 عناد قدسيو "



اميرة شوارعنا الحقيمة

رشاش ماء! ما ابرعها من سابجة تروح متغلغلة
 في لمح بحيرة يوركشاير الهادئة كالسمكة الفضية خفة منجحة
 الشاطئ المقابل انقصي!

ثم يصرخ شقيق دوروثي وهو يغطس في الماء "انتظريني
 حيث انت لتتسابق في الرجوع الى هذا الشاطئ"

وينطلقان في مضمار السباق معجلين حتى يبلغا مجهودهما
 فيه ويتقدمها شقيقها في بدء الامر الى ان يقتربا من الشاطئ
 فتستحث دوروثي عزيمتها وتجيئه على وفر فتلمس الشاطئ
 قبله

بعد هنيهة تكون دوروثي باتيسون مطية ظهر مهرها
 الخطار صاعدة به الى المروج المرتفعة المجاورة فريتها هانكسويل

حيث تنضم الى جماعة الغلمان او تعلقها معهم سفينة ذات
مقذاف واحد

وفي زمن الشتاء تحنذي زلأجيين تذهب بها طافرة
حول البحيرة والهواء عابت بغرتها والاحمرار صابغ وجنتها
على ان حب دوروثي للدمى وشدة عنايتها بها فضلاً
عن ان لها القدم الفارعة على كثير من الغلمان الاقوياء في
الالعاب الرياضية يفوقان حب وعناية معظم الفتيات
بدماهن. كانت تشعر من نفسها بلذة خاصة تدفعها الى
تمثيل دور الممرضة هنية تدعي ان تلك الدمى تشكو في
نفسها الانحراف فتدوح مهبة لها العقافير وتسكبها في قناني
صغيرة او تعد لها الاضمدة لجبر ما اصابها من الصدوع في
الرأس او الذراع او الساق

ولكم قالت لشقيقتها على عادة الصبيان والبنات جميعاً
ساعة يظن والداها انها غارقان في السبات: "احب ان
اغدو ممرضة او طبيبة افصر هي على خدمة مرضاي في كل

ما يحتاجون اليه

في ذات يوم وهما بهان بدخول البيت أوصيا بملازمة
السكينة تفادياً من ازعاج اختها المريضة
فانبرت دوراً على الرغم من شدة ولعها بالرفاد شأن
اترابها من الفتيات والغلمان وقالت

”كلوا امر تمريضها الي فاحيي ليلتي سهرًا عليها“

بحث والداها في قضية سهرها فوجداها فيها منجاملة
على نفسها غير انها لم تلبث حتى انسابت الى غرفة المريضة
وسهرت عليها وحين رأى ذروها حسن قيامها بمهمتها اذنوا
لها بمتابعة عملها في تمريضها فتجلدت على مضض الخدمة
وابدت براعة مدهشة ولا ارى بي من حاجة للقول ان
امها كانت تتعهد عملها. ذلك ما اجدى المرض عن شقيقتها
فعادت معها في الحال الى مشاطرة الغلمان العابهم

بعد سنتين سرت الحى في القرية فأصببت بها امرأة
عجوز تسكن كوخاً منفرداً وهي صديقة حميمة لدوروثي وكانت

لا تنقطع عن زيارتها من وقت الى آخر . واذ طرق سمعها
خبر مرضها هرعته الى القرية وتخطت شوارعها وانجذرت
الى حديقة ذلك الكوخ وفحت الباب فوجدت تلك العجوز
البائسة متقلبة على جذوات الحصى وليس لها من يقدم على
خدمتها

ولم تنف دوروثي لحظة عن خلع معطفها وتعليقه وراء
الباب والقول لها " لقد جئت امكث معك " . ثم بادرت
الى تهبة بعض المأككل الشهية وتطهير الكوخ واعادة
النظام اليه حتى بات كل شيء مرتباً نظيفاً انبسطت اسرة
العجوز لمرآة

ولم تفكر دورا لشدة انها كما يعلم في خلافه ولم تحسب
حساباً لتعنيف والدها لانهما ايقنت ان ترك العجوز وحدها
على تلك الحال ضرب من الجبن الذي لا يغتفر والتسوة
التي تستحق عليها التعنيف . واذ انتهت من مشاغلها دعت
صبياً وامرته بالذهاب الى والدها القس يعتذر له عن

اضطرارها للتغيب في تلك الليلة عن المنزل خدمةً للعجوز
المسنة المريضة فعاد الصبي حاملاً اليها جواب ذلك
الوالد وفحواه أن تبقى حيث هي سواء أرغبت به أم لم ترغب
لأنها ذهبت قبل استشارته في الأمر

ظلت دوروثي تخدم العجوز بجأش رابط منهنكة في
الغسيل والطبخ وتقديم المقافير وتلاوة بعض أشياء شأن
المرضة. إلا أن الحمى ما زالت تشد بالعجوز حتى قضت
عليها. ولشد ما كان جزع دوروثي تلك الليلة التي بانها
منفردة على ما بها من جراحة

ثم عادت فارسلت إلى أبيها صبيّاً آخر تستأذنه في
الأياب فقال لها: "لأنبارحي المكان حتى يجيء أحد بطلبك"
لأريب أن كلمته لها كانت قاسية. ولكن لم تكن إلا
هنيئة حتى وصلت مركبة نقل مريبتها المسنة وكان قد أرسلها
والدها لتعود بها إلى البيت فذهبت دوروثي ومريبتها إلى
شاطئ البحر حيث مكثت ريثما طهرت سمات البحر المالحمة

جرائم الحمى العالقة بها

وإذ بلغت الشباب كانت تتفوق قوة وطولاً على معظم من
 كنَّ في مثل سنِّها من الفتيات ولم تكن ترى إلا جذلة باشة
 وكانت ابتداءً تنظر إلى الأمور من جانبها المضحك . دائبة في
 أن تملأ فضاء المنزل من أنسها وتغريدها . إذا صعدت على
 المروج الرحبة ورأت نبات الخنخ الأرجواني يتلألأ تحت
 قدميها والرياح الهابة تعبث بشعرها وتثره على وجهها تكاد
 تنهم بالهتاف طرباً

ثم عادت إلى تمرّض أمها المدنفة إلى أن قضت نحبها
 فهجرت عند ذلك القرية وأرتحلت إلى وواستون من أعمال
 بكنغهامشاير حيث احترفت التعليم أوية إلى كوخ صغير
 فأشربت قلوب تلاميذها الصبيان والبنات حبها

أنك ذاكر ما سبق لي قوله وهو أن غايتها في الحياة
 تكشفت لها منذ صغرها وهي أن تغدو ممرضة
 لهذا انضمت إلى جمعية نسائية هي جمعية "السامريات

الصالحات " لان اعضاءها عاهدن انفسهن على الانعطاف
 على المرضى والانعكاف على معالجتهم فكنن يتنقلن من بلدة
 الى اخرى للقيام باعمالهن المبرورة بين الذين خيم عليهم
 الشقاء فيجلن لهم الانشراح والشفاء فكنت تجد دوروثي قائمة
 على خدمة المريض راکعة على قدميها تمسح الارض او عاملة
 على تكتيسها او تنفض الغبار عن امتعة المنزل او صقل الموافد
 منتصبة او منهكة في المطبخ فضلاً عما كانت تقوم به من
 التمريض الذي انقنته

ان دوروثي التي قضت حداثتها بطولها في الارياف
 مستظلة بالاشجار طافرة في المروج السندسية مصغية الى
 تغريد الاطيار ، قطنت الآن بلدة كثيرة المداخن لا تنفك
 اعمدتها الطويلة عن قذف الدخان القاتم المجلل الاشجار
 لا تسمع هنالك غير زقزقة العصفور الدوري تتعالى بين
 الهباب وجلبة الدوايب الضخمة الدائرة حول ثغور حفر
 الفحم الغائرة السوداء ولا ترى ليلآ غير افق محمر قاتم بما

يتصاعد اليه من لب الاناتين
الى تلك البلدة "ولسول" ذهبت من غدت تدعى
الاخت دورا واقامت في كوخ حقير حوّل الى مستشفى
واذ اعجب الطبيب ببراعتها في التمريض ورشافتها فيه
انتدبها لادارة شؤون المستشفى الكبير القائم على قمة تلك
البلدة حالما يتم بناؤه

لم تنقطع دوروثي خلال عملها عن البشاشة والطرب
حتى ان كثيرين من العلمان كانوا يتمنون لو اصابوا بكسر او
عاهة اخرى ليؤتى بهم الى المستشفى ويتاح لهم ان ثولى هي
تمريضهم فتقص على اسماعهم خلال عملها لطائف النكات
او تسليم ساعات الفراغ بالالعب كالداما والدومينو فلا
يسمعون رنين ضحكها الرخيم حتى ينسوا آلامهم . وكانت اذا
طرق سمعها شجار يتلظى بين غلامين او بادرة بداءة يتفوه
بها احد الرجال تتخذ هيئة الرصانة والوقار في الحال وتحظر
عليهم العودة الى مثل هذا بشفاء متقلصة وهيئة منقبضة

فينقطعون عن شجارهم ويوافقونها الى ما تريد معترفين لها
بضلالهم

ان من عادة المرضى ان ينسوا حالاً من عرفوه وما
جرى لهم في المستشفى عقيب خروجهم منه . اما مرضاها فقد
كانوا لشدة ولعهم بها يأتون لزيارتها ويفقون بياها فائلين
”ايتها الاخت دورا اسمحي لفلان ان يراك فهو تائق القلب
الى مراك“

كانت دورا في الغالب لا تذهب الى فراشها بعد قضاء
نهارها في العمل الشاق الأمتحاذلة كليله مثقلة الاجفان
لشدة النصب فلا يستقر بها الحال حتي تهب بالرغم مما بها
وتتهدر الى الفناء فتجد بعض السكارى مصدوعي الرووس
على اثر خصام نشب بينهم وقوفاً في انتظارها . فتضمد لهم
جراحهم برفق شديد ثم تشرع بنصمهم محاولة افناعهم بوجوب
اقلاعهم عن عادة السكر بقولها :

”لقد نضى نهاري في التمريض فلما رحلت انفياً ظلال

الراحة خرجتم الى الشوارع تنهشون تنهش الوحوش
 الضارية ثم جئتم اليّ في منتصف الليل دون وازع بغية ان
 احمد جراح رووسكم النازفة
 واذا يسمعون قولها ينكسون بصرهم ويعترهم من انفسهم
 خجل شديد

واليك قصة تظهر لك فيها هذه الفتاة بانها اصلب
 عوداً من معظم الرجال. واني لناقلها اليك كما روتها مسز
 كريتون التي عرفت الاخت دورا ووصفتها في كتاب نفيس
 يدعى "بعض شهيرات النساء" قالت:

"في احدى الليالي جيء الى المستشفى بشاب اغر
 الطلعة شديد البنية هرست احدى الآلات يمينه. ففضى
 الطبيب بانه لا يجد بداً من بترها في الحال. فتلهفت الاخت
 دورا على ما اصاب الشاب المسكين من الجزع واليأس ثم
 تفرست ملياً في ذراعه ومحياه. فهب يستغيث بها قائلاً:
 "ابتها الاخت دورا ان اليد المصدوعة هي يميني"

1875



ووضع على عاتقها مسؤولية ما ستصير اليه تلك اليد

"REMEMBER, IT'S YOUR ARM." TELLING HER SHE MUST TAKE
ALL THE RESPONSIBILITY.

فانقذها بحمك لي

فالتفت دورا الى الطبيب وانتمست منه ان يأذن لها
في التجربة لعلها تجد سبيلاً لخلاص تلك اليد . فلم يزد جواب
الطبيب لها عن قوله : أأصابك مسٌ من الخبال ألا ان حياة
هذا الرجل تقف على بتر ذراعه في الحال ؟ فالتفتت هنا الى
المريض وسألته ”أتأذن لي يا هذا ان اجرب معالجة يدك
لعلني فائزة بتخليصها ؟“ فاجابها الرجل بالاجاب . فاستشاط
الطبيب غيظاً وتوعدها ان هي فعلت أن لا يساعدها على
ذلك ووضع على عاتقها مسؤولية ما ستصير اليه تلك اليد .
فقضت دورا ثلاثة اسابيع ساهرة على العناية بها ليلاً ونهاراً
شوقاً الى معرفة ما ستصير اليه . ولكم رددت بعد ذلك قولها :
”لكم ضرعت الى الله من اجل شفاء تلك الذراع“. وفي آخر
العهد المعين لجبر العظم التمسست من الطبيب ان يحمل الاربطة
ليرى ما صارت اليه . ففعل واذا رأى الذراع مستقيمة صحيحة
نمين ببرئها العاجل وهتف : ”ان الفضل في شفاء هذه الذراع

متضورة اسمى عليهم وكل بصبح بها من جانب بين الم الزرع
والاثنين الممزق "الي الي ايها الاخت اضمدي جراحي"
ففسرع دورا من واحد الى آخر مسكنة اوجاعه

قضت اسبوعين لا تنوسد فيها فراشا سهر على العناية
بهم بثغر لا تفارقه البشاشة ودأب لا يفي تخلله الاحاديث
السارة والنوادر المستطابة ملهاة لهم عن الالم . ولم يفو على
الحياة منهم غير اثنين قال فيها احدهما :

"ان مراها وحده كاف للشفاء وله عجز لساني عن
وصف ما كان يخيل في صدري حين رؤيتها"

اخيرا الم بالاخت دورا عيالا شكت الى الطبيب امره
فانباها انها مصابة بمرض عزيز الشفاء . بيد انها استأنفت
عملها معه كاتمة شكايها مسنرة على طلائتها ونكاتها تسكيناً
لعذاب مرضها وتخفيفاً للمواعجهم الى ان لم يبق في طوقها
النجلد على العمل فاكرت لنفسها منزلاً صغيراً . وفيما كانت
الاجراس على وشك اعلان العيد - عيد مولد الشافي

العظيم الذي احبته وخدمته جادت الاخت دورا بروحها
 اقيم لها مأتم حافل سار فيه اهل القرية جميعاً على
 التقريب وفيهم الغلمان والعمال الذين سهرت على معالجتهم
 ساروا حاسري الرؤوس وعلى خدودهم جداول من
 الدموع تتبعهم الامهات اللاني ردت الحياة الى اولادهن
 بقيامها على تربيتهم

وبعد حين اجتمع العمال وفرروا الاكتتاب بقدر
 من دراهمهم المكتسبة بالكسح فرفعوا لها به تمثالاً جليلاً وسط
 باحة البلدة. هناك نفق الاخت دوراً بمنزرها الناصع حاملة
 بيدها لفة من الاضدة الكتانية ناظرة الى من حولها نظرات
 الاطمئنان مطبقة شفيتها النائمين عن شدة حزمها تحيط بها
 غصون تشف عن ظرفها البارع مذكرة رجال هذا العصر انهم
 الصبيان ردت اليهم حلل العافية وانها اشجع بطلة وارفق
 شافية وهبت حياتها ثمناً لنجاتهم

قلب بابوى الكبير

وقف ثلاثة على شاطئ البحر الرملي القائم بين صخرتين متعلقتين بعدوة مضيق "لوك فاين" من اوعار الشواطىء الاسكوتلندية الغربية يقدفون الى البحر صندوق بضاعة فارغاً مطلباً بالفطران ثم وثب احدهم الى الصندوق العائم فصاح احد رفيقيه للآخر: "ماذا يفعل جيمس!"

ظل جيمس يضع دقائق يعالج الصندوق وهو يترجى به ذات اليمين وذات اليسار حتى استقر به اخيراً وأمن خطر الانقلاب فسار راكباً هذا المركب الغريب محاذياً للشاطئ وزميله مسكناً بحبل رُبط الى الصندوق يجرانه به مغربين في الضحك الى ان انقطع الحبل فجأة فوقعا على وجهيهما مبالغين في الفهية . لكنها لم ينهضا حتى ارتعدت فرائصهما لمشاهدتهما جيمس على الصندوق ممعناً في عرض

البحر فغاضت بشاشتها واكفهر وجهاهما واخذا يضحيان
مستغيثين وباطلاً حاول جيهس الدنو من الشاطئ جاءلاً
من يديه الضعيفتين مقذافين

ظل الغلامان بصرخان مستطيرين ذعرًا دون مجيب
حتى سمعا لصراخها رداً من ناحية قرية الصيادين اريدشايغ
القائمة وراء ذلك الساحل لاحث لهما عقيبه قائمه رجل
يلبس حذاءً يخاض به الماء ولكنه لم يصل الى مكان الحادثه
حتى كان الجزر قد قذف بالغلام الى مسافة بعيدة وصندوقه
يطفح ماء

اوسع الصياد الخطى وحل قاربته المربوط الى الشاطئ
وتناول مقذافاً واعطى آخر للغلامين اللذين تبعاه وجدوا
جميعاً في اثر الغريق العالق بالصندوق الراح تحت عبئه وقد
اوشك ان يغرق . فانقذوه وحملوه على ايديهم الى منزله
حيث انهمالت عليه امه بالضرب والتعنيف عقاباً له على
مجازفته بجياته

كان هذا الغلام المدعو جيمس تشالمرز مغرمًا بالسباحة
 غرامًا بالغًا حتى ان مجرد ركوبه قاربًا او جذع شجرة او لوحًا
 خشبيًا يخرج عليه الى عرض البحر كافٍ ان يستخفه فرحاً
 أنقذ من الغرق في حادثته ثلاثاً . وفي كل مرة كان
 يجد من يسرع الى نجدة ومداواته مما اصابه وكان كلما اشتد
 موقفه خطراً ازدادت به نشوة الطرب

في العاشرة من عمره كان يقطن في جوار ذلك الريف
 عند مضيق لوك فاين حيث ينساب نهر أريه . وفيما هو
 واقف ذات يوم على ضفتي لح احد انرايه من تلاميذ المدرسة
 وقد زلت به القدم . فوقع واشرف على الغرق . فاندفع الى
 الجسر الخشبي وخلع معطفه ووثب الى المياه واندفع اثر الغلام
 الذي كان التيار يدفعه بعيداً فامسك بشويه ورجع به جامداً
 جهده في قطع تلك المسافة القصيرة الى ان بلغ مكاناً وقف
 فيه رفاقه بانتظاره فاستعان بغصن شجرة تمسك به واجتذب
 الغلام بيده الاخرى وبمساعدة اولئك الرفاق له

بعد بضع سنوات فيما هو واقف ايضاً على احد الارصفة
محاذاة النهر ابصر طفلاً يقف في الماء ويدفعه التيار بعيداً
فهرع الى الضفة نازعاً دثاره قافزاً الى الماء ممعناً في السباحة
حتى لحق بالطفل واءاده الى امه الناحية

لم يمض على ذلك ربح طويل حتى كان جيمس
في مدرسة الاحد مصغياً الى خطاب القس الذي اخرج من
جيبه بعد القاء نصائحه جزءاً من احدى المجلات وتلا منه
على اسماع التلامذة مقالة بتوقيع احد المبشرين وصف فيها
عيشة اكلة لحوم البشر واحوالهم في جزائر فيجي وما كان
للتبشير يسوع المسيح وتعاليمه من التأثير والقوة على تغيير
اخلاقهم واعراضهم عن سفك الدماء وتعاليمهم عن نهش لحوم
بعضهم بعضاً واعاداهم لحياة طاهرة

واذ انتهى الشيخ من تلاوة المقالة اجال بصره في اولئك
التلاميذ من وراء نظارتيه قائلاً :

”لست ادري الآن من منكم سيجعل في مستقبله نعمة

الانجيل المقدس لانارة اذهان اكلة لحوم البشر واطاعة
حياتهم

فاجاب جيمس في سره : "انا ."

ولكن سرعان ما محا النسيان صورة هذه الحادثة من
صدره . لانه اغفل عنها لاهياً بالترج على الجليد والسباحة
في الماء واللعب بكرة القدم التي غدا من ابطالها في تلك
المناظرة

وفي ذات يوم فيها هو منصت الى اقوال خطيب اعنلى
احدى المنصات عن "له ذلك الخاطر القديم والعهد الذي
قطعه على نفسه الا وهو السعي لهداية اكلة لحوم البشر . وبعد
اعمال الفكرة وطد عزيمته على دخول كلية تشيسهنت تسليماً
بما يقتضيه ذلك العمل الشاق

كان جيمس اكثر تلامذة الكلية مزاحاً وظرفاً ومن
لطائفه ان انراة اجتمعوا يوماً في ردهة المائدة فلما انتظم
عقدهم حولها فتح الباب ودخل عليهم دب ضخم اغبر يمشي

متشاقلاً ويزار زئيراً فظيماً

ثم دنا من احد التلامذة وشرع بضمه الى صدره فبه
التلامذة الى مناوشته وحي بينهم وبينه وطيس الحرب حتى
انجلت حقيقة الدب عن جيمس تشالمرز المتنكر بجلده
المستعار

ولشدة ولوعه بالبحر والسباحة كان في غالب الاحيان
يعوم على النهر المجاور لبلدته في طوف من صنعه كلما وجد
متسعاً من الوقت لمثل هذا اللهو المحبوب لديه . ومن حوادثه
انه خلص من الغرق يوماً فتي من التلامذة الكبار كان
يجهل السباحة

وفي عام ١٨٦٦ حان ذلك اليوم العظيم الذي اقلع
فيه الفتي تشالمرز الى جزائر بعيدة نقله اليها الباخرة جون
ويليامز فقصى على ظهرها عدة اسابيع . وكانت اولى تلك
الجزائر جزيرة "سافاج" اي المنوحشة - دعاها مكتشفها
القبطان كوك (الرحالة الانكليزي الشهير) بهذا الاسم لان

اهلها كانوا في غاية النوحش والهمجية . ولكن لما وصل اليها
 نشالمو كان اسم الجزيرة قد تغير كما تغيرت اخلاق اهلها
 على اثر اعتناقهم الديانة المسيحية فاصبح اسمها جزيرة "نيوي"
 تحيط بتلك الجزيرة الخصيبة سلسلة جبال مرجانية
 تمتد تحت البحر الى مسافة شاسعة فترطم عليها امواج
 الباسيفيكي ارتطاماً هائلاً يبلغ ارتفاعها فيه عشرين قدماً
 ثم تهوي على السلسلة طائفة حولها فتحدث صوتاً كأنه انقضاء
 الصاعقة اما غور البحر خارج حدود السلسلة فيبلغ الوفا
 من القامات (انقامة ست اقدام) لا تصل الى قاعها مرساة
 مها يكن من طول سلسلتها . واذا وصلت الباخرة اليها كان
 الوقت ليلاً والظلام كثيفاً والعجج ما كنا نرؤ شديداً فامر
 القبطان بانزال ثلاثة قوارب محاولاً ابقاء الباخرة جوف
 ويليامز خارج الميناء خوفاً من اصطدامها بسلسلة الصخور
 الخفية المتدافعة عليها الامواج الجائشة . وعند الساعة العاشرة
 فيما كانت الازباد تقبل على الشاطئ ونلطمة تحت جنح الظلام

عند تلك السلسلة الغائرة تزام الركاب على القوارب
 مندفعين نزولاً من الباخرة. وبعد بضع ثوانٍ سمعت فرقة
 هائلة شق صوتها كبد الفضا سببها اصطدام الباخرة على
 الصخور اصطداماً مخيفاً ارتفعت معه ثم هوت على الصخور
 محطمة بالامواج الهائلة تحطماً

ان مثل هذا المشهد يكفي لاثارة الرهبة في نفوس معظم
 الرجال. اما نشالمرز فابرح ذلك الرجل الذي عهدناه
 كلما اشتد موقفه خطراً ازدادت به نشوة الطرب وخاصة
 اذا كان البحر مصدر هذا الخطر

ما كتبه في وصفه هذه الاخطار قوله :

” تعرضت اثناء اقامتنا في تلك الجزيرة لخطر الموت
 مراراً. ولما كنت ولوعاً بالسباحة ساعة تكون فورة الامواج
 فائرة كنت اتردد على الشاطئ وراقب فتيان الجزيرة . وفي
 ذات يوم كان هياج البحر على اشد ما يكون فوطدت النية
 اثناء السباحة ان اركب لوحاً من الخشب اخرج به الى

عرض البحر متجاوزاً مسافة شاسعة . ففعلت فاذا الامواج
تغمرني وتغذف بي على الصخور السائبة فتروض جسدي وتمشمت
اعضائي ولا ازال اذكر اني فقدت وعيي حتى قذفت بي
موجة اخرى الى صخرة ثانية فافقت بعض اشياء شاعراً
بموقفي الخطر فحاولت التمسك بالصخرة وانا ذاهل الحواس
فلم افز بذلك الا بعد جهد جهيد ثم علوت ظهر الصخرة
بقفزة واحدة حيث مدّت اليّ يد المعونة ونقلت الى منزلي
ولازمت "الفراس اياماً"

ثم ذهب تشالمرز من جزيرة نيوي الى جزيرة رادوتونغا
حيث قضى في عمل التبشير زمناً طال عشر سنوات وكان
ذهاباً اليها على سفينة قرصان بحري من شهيري اللصوص
يدعى بلي هايز بسبب تخطم الباخرة جون ويليامز سفينة
المبشرين

كان بلي هايز رجلاً ارعن لا يابه باحد . ولا يرجي
منه ان يكثر الامر بمبشر . لكنه لم يعنم حتى لحظ في جيمس

تشارمرز رجلاً اعظم منه جرأة واشد بأساً لأنه جازف بحياته
مراراً كثيرة في البر والبحر ابتغاء نشر تعاليم يسوع المسيح
فضلاً عما خاضه من انهار ومستنقعات مما يربو على التي
جازف فيها بلي هائز بحياته طمعاً بالسلب والنهب وتوسيع
ثروته الخاصة

أُعجب هذا اللصُ النُظ بتشارمرز بعد قضائه معه
بضعة ايام اعجاباً يفوق اعجابه بكل من عرفهم من قبل فقال
له حين توديعه :

”لوعشتُ في كنفك فحسبُ لغدوتُ رجلاً جديداً
ورسمت لحياتي خطة غير هذه“

وفما كان تشارمرز يفخر من السفينة في ميناء داروتونغا
تقدم منه الفتى البحري الذي ينقل له امتعته وسأله : ”ما
اسمك؟“ قال : ”تشارمرز“ فتمتف الوطني باقرب لفظه
يطاوعها لسانه : ”تامات؟“

منذ تلك اللحظة صار اسم تشارمرز عند اهل تلك

القبائل "تامات" ولم يعرفوا له سواه حتى آخر حياته
 احرز تشالمرز نفوذًا لا يُقهر في تلك الجزيرة النضيرة
 الواقعة على شاطئ الباسيفيكي فامست كلمته عند اهلها شرعية
 وشرع بمقاومة العادات الضارة التي كانوا يالفونها واخصها
 السكر. حتى بات ملك الجزيرة نفسه عرضة لنقمة المحكام
 ودفع الغرامة اذا وجد في حالة السكر. ولم يكن تشالمرز يغير
 ما بالقوم بالاكره بل كان يفعل ذلك بما كان له من حزم
 وشجاعة فيتابعونه الى ما يشاء ثقة منهم بانه عامل على ما فيه
 خيرهم

ولشد ما كان غضبه على الرجال البيض الانكليز
 لخروجهم على شرائع البلاد وبيعهم المسكرات على الشاطئ
 لئلا جراً للمغنم واهلاكاً للشعب

بعد عشر سنوات دعي تشالمرز الى القيام بالعمل
 الذي كان ينشده ويفضله على الاعمال جمعاء وهو التبشير
 في جزيرة غينيا الجديدة المدعوة الآن بابوى وهي اكبر جزر

الارض ومعظم سكانها هجم الفوا اكل اللحوم البشرية. وعندهم
ان صيد الرووس الذ انواع الرياضة وكانوا يدخرون منها
في قراهم الوفا وكان مجرد حمل الشاب منهم على ساعده
فكاً بشرياً دلالة على قتله انساناً يكفي ان يرفعه في نظرهم الى
مصاف الابطال الخليقين بالثناء والاجلال

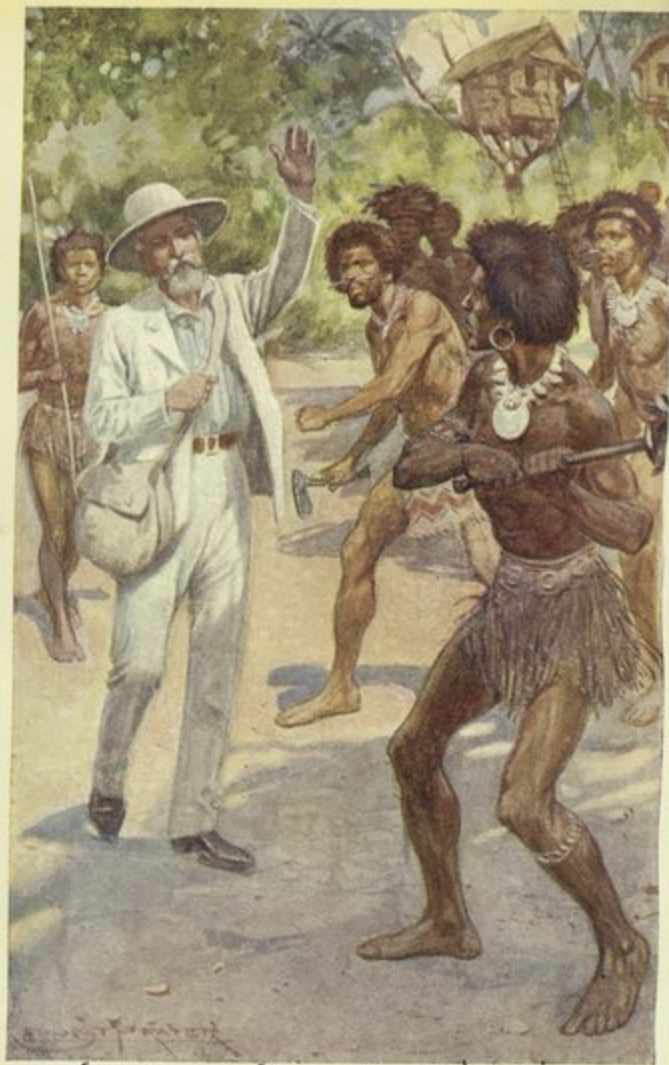
هم قوم متصلبو العضلات اشداء البنية يزينون انوفهم عادة
بالقصب واذانهم بالافراط والخزائم واعناقهم بالقلائد ورووسهم
بالريش ويشمون اجسادهم او يطلونها بشق الاوان يسكنون
بيوتاً مرتفعة على صقائل خشبية يتخذونها من جذوع الاشجار
الناتبة على ضفاف البحيرة. اما آلاتهم وعددهم فكلها من
الحجر والخشب لجهلهم صناعة الحديد

ولم يكن لهؤلاء القوم قبل ان يتصل بهم البيض ادنى
معرفة بالاله المحبة بل كان علمهم قاصراً على الاعتراف بوجود
ارواح تطاير في الليل جائشة نائمة على الناس مقوضة
مساكنهم خاطفة ارواحهم

اول رجل ايض جاء بلادهم وعرفوه هو تشارلز
 فاخذهم العجب منه وعلى الاخص من استقامة انفه الحاد ولم
 تكسد الالوف منهم تلمحه وهو يخلع حذاه حتى ارتعدت
 فرائصهم وفروا من وجهه لا يلبون على شيء لزعمهم انه ينوي
 تفكيك جسمه قطعاً

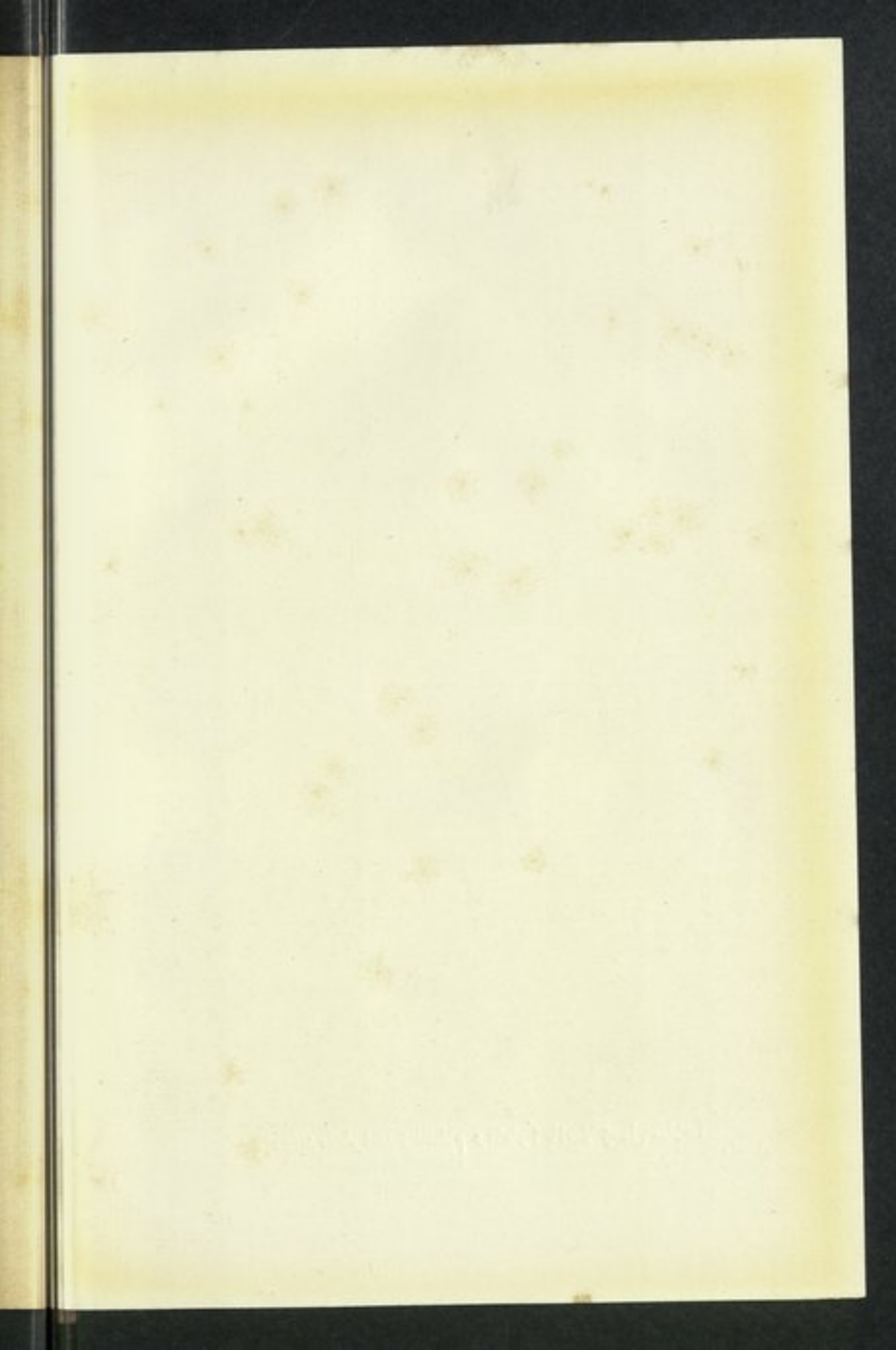
ففى تشارلز بين هؤلاء القوم عشرين سنة كان
 يتعرض في كل اسبوع منها لخطر القتل لانه لم يقنع ان يعيش
 بين من عرفهم من الهج بل كان يحن الى التجوال وينوم
 برحلات خائضاً فيها الجداول والانهار لبلوغ الاماكن التي
 لم تكن قد وطأها بعد قدم احد الاوربيين

وكان اذا اقترب من قرية يجدها اهلها خارجين للملاقاة
 ثم يحيطون به هازئين رماحهم وهراواتهم في الفضاة متسلحين
 بالاقواس والسهام المهيأة للاراشة ولو انهم لحوا في وجهه
 ادنى علامة للجزع لقتلوه لا محالة لكنه كان عند مقابلتهم يرفع
 يده الواحدة عالياً دلالة على السلام والتسليم واشعاراً بانه



يرفع يده الواحدة للسلام وإشعاراً بأنه لا يحمل سلاحاً

HE WOULD HOLD UP ONE HAND IN THE AIR TO SHOW HE
HAD NO FIGHTING WEAPONS.



لا يحمل سلاحاً ويظل على بشاشته ساخرًا بهم مانفًا بلنظة
التسليم المألوفة

اجل لقد كان نفوذه فيهم عجيبيًا . واليك مثلاً منه :

ذهب مرة الى قبيلة اشتهرت بانها اشد القبائل واكثرها
ارتكابًا للفظائع لا عمل لها الا شن الغارات على القبائل
المجاورة لها والاضعف منها بأسًا طمعًا بسلبها وقتلها . فتقدم
اولًا من زعيمها والنفس منه ان يقلع واهل قبيلته عن مهاجمة
كابادي حيا بنشر السلام على ذلك الساحل ورفقًا باهاليه
اي انه طلب منه ان يصرف القوم عن العمل الذي لا معول
لهم في الرزق سواه . كان في امكان هؤلاء القوم ان يقتلوه
ويخلصوا منه ومع انهم كانوا وهم يسمعون كلامه حاملين
هراواتهم اتبعوا نصيحته وتحولوا عن الغزو ساعة نظر اليهم
نظرات السذاجة والاطمئنان فقالوا : " انت محق في قولك
وها نحن نقطع لك عهدًا باننا لا نلتبس غزوًا في ما بعد ."
فوضع بعلمه هذا حدًا للحروب لانهاية لها وسط ظلال الحياة

على اهل تلك البلاد التي لم يكن ليرى فيها الا قصة واحدة
وهي قصة الموت انظيع

ولم يقصر تشالمرز همّه على التبشير بل كان كما كتب :
” كنت اعمل على ازالة الاشواك ونصب الاسوار وزرع
البذور وبناء البيوت فضلاً عن كثير من مختلف الاعمال
مازجاً العمل بالدعابة والضحك والمزاح “

كان تبشيره عظيم الفائدة غدا معه المتوحشون
ينشدون ترانيم لم يدركوا لهم كنّها ثم صار لها وقع عظيم في
نفوسهم وغدت عاملاً على الالة قلوبهم وترقية عقولهم
نصوّر تشالمرز طائفاً بخلج لوز سائراً في ساعة يتوسد
فيها القمر كبد الافق مرسلأ اشعته على فري بوينت في
خليج فارم المحاذي سلسلة جبال شاهقة يبرز معه للعيان
ساحل طويل قائم عند سفحها يتكسر عليه الزبد الايض
المشرق بضياء القمر الموّلق هنا وتشالمرز في قارب حربي
رحيب الجوف اصطف عند جانبيه الجنود المتوحشون

الذين انفقوا ما مضى من حياتهم في ذبح اخوانهم بالكثيرين انقضاء
من اصوات الترانيم "تعالوا الى يسوع" و "ان لي في ارض
الميعاد ابا" وما الى ذلك من الاغاني الروحية وهم ليسوا سوى
برابرة عراة

في بيوت هؤلاء كان تشالمرز يقيم وفيها يرقد وهم
رافدون من حوله مشاطراً ايام طعامهم متناولاً من الصحنه
التي يتناولون فيها . واعجب اخباره انه كثيراً ما التفت في
طريقه الى الورا كأنه مدفوع الى ذلك بقوة غريية ساحرة
فيرى رجلاً متوحشاً واقفاً هراوته بيده بهم ان يهوي بها على
رأسه فينتزعها منه

ان هنالك قوة خارقة تفوق جرأته تولت حمايته
مضت على نامات وهو في تلك الحال عدة سنوات .
وصارحه يوماً احد الزعماء بانه واهل قبيلته كانوا قد تواطوا على
قتله مراراً وفي كل مرة كانوا يرسلون عدداً من الرجال النفاظ
الاشداء لمفاجأته وهو رافد وامرأته في بيتها المصنوع من

جذوع الاشجار. فكانوا يعودون ادراجهم ويرتدون عن
عزمهم حالما يبلغون الى السور المنخفض المكتنف منزلة كأن
يداً سرية خارقة ترجعهم الفهري

لقد كانوا وهم اكلة لحوم البشر وعلى معرفتهم بان
اخوانهم جميعاً سيكبرون منهم هذه البطولة الفائقة لو تمكنوا
من قتله يستشعرون من انفسهم بالعجز عن ذلك ولزوم
الانسحاب والرجوع عن عزمهم

هكذا وقى الله حياة البطل والبطلة اللذين غامرا
بروحيهما وجعلنا حياتهما وفقاً على خدمته

واعجب من كل ما تقدم ذكره اعتزال مسز تشالمرز
في منزلها خلال تغيب زوجها في اسفاره التي كان بعضها
يستغرق عدة اسابيع سعيًا الى التعرف بقبيلة جديدة. كانت
نقيم وحدها لا ترى من حولها غير اكلة لحوم البشر الطامعين
بسلب الكرسي الذي تجلس عليه والا ثواب اني تلبسها وما
في منزلها من الامتعة المعتقدين ان لحمها من اشهى الاطعمة

التي تقدم في وليمة أكل اللحوم البشرية
 ان ما ابدته تلك المرأة في دورها من البطولة الوداعة
 قد يربو على ما ابداه زوجها من البسالة النادرة
 لكم جازف تشالمرز بحياته ولكم قذف بنفسه الى مخاطر
 رائعة اعترضته كل يوم من مثل تحطم الباخرة التي اقلته
 ونزول الحمى والخسائر به وخوض الجدول والانهار مدة
 عشر سنوات وهو فرح جنل بما في ذلك من اخطار
 تستدعي الاقدام دون ان يفخر او يستكبر ؟

كان لشدة بأسه يقوى على مجابهة سكان قرية من
 البرابرة المتوحشين المزمجرين برمتهم . وفضلاً عن كل ذلك
 كان لا ينقطع عن جلدّه على مضّرّ تعليم اطفال الزوج في
 المدرسة . ابداً كانت عيناؤه تلهمان وصوته جهورياً وشعرة
 الاشهب كثّاً ومنكباه عريضين وساعداؤه نشيطين متصلبين
 حتى وفاته . لقد صدق فيه قول روبرت لويس ستيفنسون :
 " انه قلب غينيا الجديدة الكبير "

واخيراً انتابته حي بعد وفاة زوجه فهذت منه القوى
وفيا هو كذلك اقبل على سفينه حشد كبير يتألف من
الاهل الي ثقلهم قوارب صغيرة فضاك المكان بهم . وكانوا
مسلحين بالسهم والحرارات والعصي والنصب الهندي
والحراب والرماح . مكثوا على السفينة ورفضوا الخروج
منها فقرّ عزم تشالمرز على مغادرتها والانسحاب الى الشاطئ
فاقلته احدى السفن التي تصطاد بها الخيتان فلحق به
نصف سكان القرية ورافقه صديق له ومبشر آخر يدعى
تومكنتز لا تزال امه حية الى اليوم في انكلترا . كان هذا
الحادث في الثامن من ابريل (نيسان) من عام ١٩٠١

ولم يعد يراها احد فان الاهالي المتوحشين ساروا بها الى
احد منازلهم المستطيلة (وهي المنازل التي يارسون فيها عاداتهم
وطقوسهم البربرية الفظيعة) واذا اعطى احدثهم اشارة الى
اغتيالها انهالوا على رأس تشالمرز ورأس رفيقه بهراوات من
حجر فخرّاً صريعين لا حراك بها واقبل الثقله على نهش جسدتها

يا له من مشهد ما أفضعه ! ولكن تشالمرز كان قد
تعرض لمثل هذا الوقا من المرات . انه مشهد تقشعر من هول
الابدان ولكنه تاج الشهادة يعلو هامة مكتشف طريق بابوي
الذي حوّل عيشة سكانها النجسة المظلمة الى عيشة طاهرة
وضاءة

وهاك ما كتبه تشالمرز قبل وفاته ببضع سنوات الى
جمعية التبشير التي ارسلته الى تلك الاصفاع
” اعيدوا لي الاحدي والعشرين السنة التي قضيتها
هنالك واعيدوا لي حوادثها ومصاعبها من مخاطر الفرق في
البحار ومجابهة الموت اعيدوها لي محاطة بالمتوحشين
شاهرين ومحاحم ورافعين هراواتهم والسهام والحرايب تطاير
حولي والهروات تصرعني الى الحضيض اعيدوها لي فتروني
لا ازال مستعداً لان اكون مرسلكم الى اولئك الاقدام “
يا له من قلب ما اكبره !

حامل الزورق

حوالي منتصف القرن الخامس بعد المسيح كان ثلاثة رجال سائرين على طريق ضيقة في بطن وادٍ ممرع تقوم على جانبيه أكام سكتلنده المرتفعة ووراءهم شرذمة من الاتباع وكانت الشمس على وشك الغروب الى يسارهم وراء سلسلة من الأكام صبغت بها باسعتها الأرجوانية

وكان كل من اولئك الرجال الثلاثة حاملاً على ظهره شبه قفة كبيرة من العيدان المكسوة بالجلد يساوي حجمها حجم حاملها وتندلى منها الاعشاب المائية دالة على انهم كانوا يستعملون هذه القفف كزوارق . وكانوا بالفعل قد اجنازوا قبيل ذلك مع اتباعهم في هذه الزوارق الخفيفة المجيدة التي تركوها وراءهم ثم حملوا الزوارق على ظهورهم وجعلوا في السبر

نحو البحيرة التالية التي يرون الآن امامهم انعكاس النور عن
سطحها اللامع

كان هؤلاء الرجال الثلاثة كولومبا وكانيس وكومغول
اول من ادخل انوار الدين المسيحي الى اسكتلنده

وكان الى جانب البحيرة غدير تفيض مياهه من اعلى
الجبل فيسيرون محاذاته ثم ينتهون الى بقعة شيدت فيها
اكواخ صنعت من الاغصان المتشابكة . فلم يكد كولومبا
ورفيقاه مجوزون الغدير حتى طرق مسامعهم زعقات انتصار
وحشية كان جماعة من المقاتلين يصيحون بها ولما كان
كولومبا قد بات قادراً على فهم بعض لغة البكتيين على
يدي كانيس وكامغول استطاع ان يدرك معنى بعض ما
هتف به اولئك المقاتلون . فالتفت الى رفيقيه وقال لهما بلهجة
تشف عن كاتبه :

ها هم عائدون من معركة دامية وما اكثر ما خاضوا
الوقائع وارافوا دماء القبائل وستمهاجم غداً قبيلة اخرى

ثأراً لنفسها ما جنوه عليها فيقابلونها بالمثل ويظل هذا
 دأبهم ما شاءوا وبسختكم الكره بينهم ويريثه الابناء من اباؤهم
 في تلك اللحظة لمح المقاتلون الرجال الثلاثة حملة
 المظلات فانقطعوا عن الصراخ فجأة وتفرسوا بهم ذاهلين
 لاختلاف ملابسهم واشكالهم والوان شعورهم عما لهم وزاد في
 دهشتهم ان رأوهم عزلاً دون سلاح فحاروا في تعليل امرهم

استمر حملة الزوارق على التقدم بخطى ثابتة في غير
 تزلزل او هلع كلهم رافع يده الواحدة الى العلاء اشارة الى
 السلام حتى تلاقى الفريقان عند الاكواخ فظن حملة الرماح
 ان الذعر قد اخذ من نفوس حملة الزوارق مأخذة وانهم
 سينجرون امامهم ضارعين اليهم الا ينالوهم بضرر ولكن ساء
 ما توقعوا فان كولومبيا وقد كان احد امراء بلاده ومن افوى
 جنودها بأساً ومن شهدوا وقائع الحروب ووقفوا ازاء الموت
 وجهاً لوجه مراراً لم يساوره الرعب ولم يكن للخوف ان يخامرهُ
 حتى اليوم

ذا
م
لة
ن
في

ر
لى
ح
م
و
ن
ن
و

مكتبة جامعة القاهرة



عرف اولئك المقاتلون اذهم التقوا بمن هو اشجع منهم قلباً
 THE FIERCE WARRIORS KNEW THAT THEY HAD MET SOMEONE
 BRAVER THAN THEMSELVES.

ولدن نقابلوا ووقعت العين على العين وجفت قلوب
 البكتيين الضواري في دورهم لما رأوه من كولومبا الذي جعل
 يتعمدهم بنظرات صافية اخترقت احشاءهم نامة عما في صدره
 من روح المحبة وما يمازجها من اسي واكتئاب . وهنا ارتفع
 صوته الرخيم الذي يخيل الى سامعه انه يضارع البوق الفضي
 رخامة بقوله :

” ان صرخات ابنا جكم قد طرقت مسمعي ايها الاخوان
 انتم تحسبون الهكم وهي آلهة الحرب راضية عن بطشكم بمن لكم
 من اعداء مغتبطة بارافتمكم الدماء الا اعلوا ان الهكم ليست
 شيئا مذكورا وان ليس في الوجود الا اله واحد وهو اله
 المحبة . انه اب شفيق لا اله حرب . ان فحوى شريعتم (عين
 بعين وسن بسن) اما ذلك الاله الواحد فقد ارسل ابنه
 الى الارض اعلانا للبشر وهو يأمرنا بمحبة اعدائنا

لم تكن معرفة الشجاع بين الرجال لتغيب عن اولئك
 المقاتلين الشرسين كلما التقوا بمن هو اشجع منهم قلبا . فما

سمعوا مقال كولمبا حتى اكفرت وجوه بعضهم فشدوا
 بأيديهم على مقابض الرماح وتقدم بعضهم من كولمبا فدعوه
 ورجاله للمبيت في ضيافتهم حتى طلوع الصباح ومشاطرتهم
 الطعام رجاء الاستطلاع على هذه الاخبار الجديدة والتعالم
 الغريبة التي يحملها كولمبا فاجابهم الى ما طلبوا

انه لمن اغرب الامور ان يبيت كولومبا في مساكن
 اولئك الهج الضيقة الخفية وهو من كان امير بلاده -
 ارلندا - التي كانت في عهده ابي قبل الف وخمس مئة سنة
 بلد الاديرة الجامعة الكبرى واعظها شائناً على سطح الغبراء
 ولد من اميرة تدعى اثن وامير يدعى اودونل ومسقط رأسه
 كلارتان من اعمال دونيغال الوعثة . فام بتعبه الاسقف
 كونهان الذي غدا بعد ذلك معلماً للامير الصغير وابتكر
 لتعليمه طريقة يوافقه على افضليتها غلمان العالم جميعاً وهي
 انه كان يصب الكعك بقوالب الحروف الهجائية فلا يكاد
 يتعلم كولومبا الصغير الحرف الواحد حتى يزدرد كعكته

فسهل تعلمه بهذه الوساطة سهولة تستدعي الدهشة . وأني لهُ
 في سن المراهقة باستاذ بارع هو فينيان رئيس دير كلونارد
 كان اعظم عمل لذة في نظر كولبا نسخ الكتب النفيسة
 ولا ارى بي من حاجة الى القول ان الطباعة لم تكن قد
 اخترعت بعد . كان الناس في ذلك العهد يعنون بنسخ
 الكتب عناية بالغة ويتخذون لتسطيرها صحائف الرق وهو
 جلد العجل . اما الحروف التي تبدأ بها اسماء الاعلام والجمل
 وعناوين الفصول فكانت ترسم بالطلاء الذهبي والاحمر
 والازرق وما الى ذلك من الالوان العجيبة الباقية على روعتها
 حتى اليوم كأنها بنت ساعتها . فاذا ما جئت مدينة دبلين
 عرضت عليك احدي نسخ هذه الكتب ويقال ان ناسخها
 هو كولبا نفسه لما كان في عهد الدراسة

لاقي كولبا في سبيل هذا الكتاب الشدائد والاهوال
 وحكاية ذلك انه استعار كتاب المزامير لينسخه بنفسه فراح
 يتأنق بتعبيره تأنقا عظيما ولما قابل صاحب النسخة الاولى بين

الاثنين استشاط غيظاً وطلب ان يعطى النسخة الثانية فأبى
 كولبا فشكاه الى ملك ارندا طالباً منه انصافه . فدافع كولبا
 عن نفسه بقوله "هذا الكتاب لي لاني ناسخه" وادعى صاحب
 النسخة الاصلية انه له لانه نسخة عن كتابه . فاستد الملك
 جبهته الى راحته معنأ في الاستفراء لايجاد حل لهذه المشكلة
 واشتدت به الحيرة فأمر ان يؤتى له بكتب الشريعة الضخمة
 بعد ان ينفذ عنها ما يعلوها من الفبار ثم قضى بحكمه
 العادل :

"ان لكل بقرة عجلها ولكل كتاب نسخة"

فاحتمد كولبا غضباً وجمع رجاله وامرهم بارهاف
 وماحهم ونقلد سيوفهم وشهر على خصميه حرباً دامية ليظفر
 بالكتاب المهود فتم له الانتصار على عدوه ولكن بعد ان
 تكبد خسارة الالوف من رجاله . فأخذ ذلك المقيم المقعد
 والنج الاسى فؤاده عليهم ولم تلبث فورة غضبه ان تخمد فاصبح

يميل الى الدعة وغدا اسمه "الحمامة" * على الرغم من صلابته
مراسه وعظم شجاعته

وكان لكولمبا صديق يدعي موليز من الألى تلجأ الى
الافضاء اليهم بذات نفسك حين تمضك نازلة او ترتكب
خزيًا يصلي ضلوعك لها، فذهب كولمبا اليه ووصف له ما
يساور قلبه فاستشاط موليز غيظًا وصاح به قائلاً:

"يا له من جرم فظيع أنفني مثل هذا العدد من الرجال
لا لباعث غير الفوز بيبغض صحائف مخطوطة على الرق ملونة
بالادهان؟" فصبغت حمرة أنجل محيا كولمبا ونكس طرفه
واجاب

"ماذا افعل لاصلاح ما اقترفت؟"

فقال موليز: "اذهب الى ما وراء البحر واجهد في
ارشاد سكان اسكوتلندا سفاكي الدماء جهدك اخادًا لما
يثيرونه من الحروب وتوثيقًا لواقع النأخي والولاء"

* كولمبا لثقة لانهية معناها "حمامة"

فراح كولمبا ناشداً أولاً القيام بالقسم الأصعب من
المهمة وهو استغفار الخصم الذي اثار عليه الحرب

وكان حب ارلندا مالئاً شغاف قلبه واوديتها الممرعة
واديرتها الشهباء مالكة عليه حواسه ولكنه اعتزم مهاجرتها
الى اسكونلندا فاعدّ المعدات وتبهاً اقرب اصدقائه اليه
لمرافقته في تلك الرحلة وابناع مركباً قصدوا اليه ايلة سفرهم
ففضوها في رفع الادعية المحارة الى الله ولما كان موعد قيام
السفينة عند صباح الديك رغب كولمبا من صميم قلبه الا
يدع صباحه بطرق سمعة تفادياً من تصدع فؤاده اسى على
مفارقة وطنه . فما كاد السهم الاول من انوار الفجر اللالاه
يومض حتى صاح الديك من الناحية الشرقية يتبعه هبوب
الريح من الغرب فاقلع المركب ماخراً عجاج بحر ارلندا بين
رجرجة واهتزاز منتجاً مطلع الشمس - باراد البكتيين

اما عدد الذين رافقوا كولمبا في تلك الرحلة فاثنا عشر تلميذاً
وكان يدعهم خلاها " افراني الجنود " ولما اقتربوا من شاطئ

اسكوتلندا ابصروا جزيرة ناضرة تدعى اورنسي فرافقهم السكتي
 فيها فخطوا الرجال معتزمين على بناء دير ياوون اليه
 ارشادا لاهاليها . وربطوا مركبهم في خليجها الضيق ونزلوا الى
 البر فاذا الجزيرة ملاءى من الآكام فراح كولبا توا
 يتسلق اعلى ذرواتها حيث وقف متطلعا الى ما وراء البحر من
 ناحية الغرب فرأى خلف الاوقيانوس الرحيب شبه غيمة
 متلبدة عالية علم انها شاطئ ارلندا فلم يقوَ على اخفاء اشتجائه
 واخذ جذوة شوقه الى ذلك النظر المحبوب فخرج هابطا
 الاكمة الى السفينة الصغيرة الواقفة في انتظاره وقال لرفاقه :
 " علينا ان نختار غير هذا المكان وان نذهب الى ابعد
 منه لاني اذا لمحت بلادي اخرجتني تزية من الشوق واكرهتني
 على العودة اليها "

فاقلع المركب ثانية واستأنفوا السير الى ان بلغوا
 جزيرة اخرى تدعى باسم جميل " ايونا " فتناولوا فؤوسهم
 وقطعوا الاشجار وشذبوا اغصانها وبنوا لانفسهم من اخشابها

وعبدانها أكوأخا وشادوا لكولبا كوخا في بقعة اعلى من
 البقعة التي بنوا فيها سائر الأكوأخ جاھدين في عملهم دون
 انقطاع . وكانوا اذا طلع عليهم الصباح يحملوه الزاھية
 خرج احدهم بالمحراث فوجد تلك الارض رفاقا لينة الادم
 صلبة الغور لا تصلح لزرع البقول والحنطة الا بعد الرھق
 الشديد . وخرج ثانيهم بشبكته الى الشاطئ لاصطياد
 الاسماك فلم يتجاوز مسافة بعيدة حتى القاها في الغور وخرج
 ثالثهم بعلف الخنازير وسرح الماشية من ماعز وبقر لرعي
 الكلا

وجعلوا هذا دأبهم في اوقات الفراغ لان كولبا فرض
 عليهم تعلم لغة البلاد ولا يستطيعوا بها اسداء النصائح لسكان
 الجزيرة اصلاحا لسيرتهم وتقويما لاعوجاجهم
 وكان هنالك بوغاز ضيق يفصل بين الجزيرة وجزيرة
 اخرى اسمها مول كما كان بوغاز آخر اعرض من الاول
 يفصل بين هذه والبر الاصلي فكان كولوبا يقطع البوغاز

الى مول ويحدث الى اهاليها عن بشارته العجيبة فيما هم يتعاطون
اعمالهم اليومية المزارع يحرث حقله والصيد يصلح شباكه . ولم
يُضِرْ روح طويل حتى عزم كثيرون منهم على اتباع تعاليم
يسوع المسيح

واستشعر كولمبا من نفسه ذات يوم بالحاج خفي يدفعه
الى القيام بجولة طويلة فخرج ورجاله حاملين زوارقهم
يقذفون بها احيانا ويسبرون بقوة الريح اخرى في سلسلة
بمخبرات لامعة المياه تخترق اسكتلندا حتى انفرنيس وكانوا
حيثما صادفوا في طريقهم قوماً يبيتون عندهم ترويحاً للنفس
من عناء السفر ويقف احد هؤلاء الحجاج الابطال خطيباً
بالقوم واصفاً لهم شدة الطرب الذي يستحوذ على النفس فيما
لواحبوا بعضهم بعضاً بدلاً من القتال والتنازع وسنك
الدماء

طالت بهم هذه الجولة وخذلت قواهم فيها مراراً غير انهم
كانوا فرحين بعلمهم واجدين به لذة عظمى مستأنسين بتغريد

الاطيار وروعة الاحراج واستنشاق الهواء الطلق وسماع خرير
المياه يستيقظون ساعة تضاؤل النجوم صبحاً ويهبون لاستئناف
رحلتهم ساعة يكون غمام الفجر الابيض الوضاء منسرفاً فاشعاً
متناثر الدجى عن مياه البحيرة فينشدون انشودة الصباح
فترجع الجبال صدى صوت كولبيا الرخيم

كان غرضهم من هذه الرحلة ان يقفوا بين يدي ملك
البيكتيين واسمه برود. ان اسمه لا يغيب عن حافظتي اذ
كان اولى به ان يدعى رود (الفظ) لاغلاقه ابواب قصره
بعنف دون قبول كولبيا ورجاله. وكان كولبيا اعزل لا يتقلد
رمحاً ولا سيفاً وحين رفض الملك مقابلته ظل خارجاً وشرع
بالتحدث الى القوم الذين صادفهم ضارعاً في سره الى الله لاجل
الانة قلوبهم. واذا رآه كمنتمهم (الدرويد) عباد آلهة الحرب
يطارح القوم اخذوا بالصراخ واثارة الشغب كي لا يفهم
الشعب شيئاً مما يتفوه به كولبيا. على ان صوت كولبيا كان
اعظم اصوات البشر رخامة فاطلقة الى درجة عالية جداً

حتى قيل انه سمع على بعد ميل فاندesh الدرويد المساكين
 ولم يجدوا بداً من سدّ آذانهم والفرار الى منازلهم
 واخيراً الان قلب الملك برود وفتح ابواب قصره الى
 كولمبا وبعد ان مضت مدة طويلة عزم هو ايضاً على ان
 يجذو حذو الصيادين والفلاحين ويصبح احد تابعي يسوع
 المسيح

ظل قلب كولمبا خافقاً خفوق قلب الطفل طاهراً مثله.
 ويروى انه اعتزم مرة زيارة احد الاديرة . وكان في ذلك
 الدير غلام فبيع الخلق والخلق لا يدري للنظافة والترتيب
 معنى ولا يسمع ممن حوله غير التعنيف المرّ على نهجه السيء
 والتنبيه عن صيورتهم في المستقبل رجلاً فاسداً مقلقاً لا ينجو
 من ضرره احد

في اليوم المعين لزيارة كولمبا اوصى بعض رجال الدير
 هذا الغلام بان يخفي وجهه الفبيح حذراً من ان يراه كولمبا
 فيظن ان كثيرين ممن هم على شاكلة من الاديباء المقلقين

يعيشون بينهم فقال الغلام في نفسه وقد طالما عصى الأوامر
التي أُعطيت إليه من قبل أن لا بأس من عصيانها هذه
المرة أيضاً . واذ حضر كولبيا وكان الغلام عليماً بما اشتهر به
من حلاوة الشائل ورقة الكبد انخرط في صفوف الرهبان
السائرين في اثر كولبيا المنشدين المزامير ثم مد يده بقلب
خافق فلمس ثوب كولبيا

فوقف كولبيا في الحال . والتفت فامسك الغلام بمنكبيه
ليتين من هو . فارتعدت فرائص الغلام وعثرته هزة من ام
رأسه الى اخمص قدميه ساعة صرخ الرهبان بـ "واحد" طردوا
هذا الغلام الفاسد .

بيد ان كولبيا أمرهم بالصمت . فدهش الغلام تحول
كولبيا عن عدله الى تعنيفهم

ثم قال كولبيا له : "افنح فاك يا بني ومد لسانك"

فوجف قلب ارنان (اسم الغلام) وارتعش ارتعاشك
حين يتعهدك الطبيب من وراء نظارتيه ويأمرك بمد لسانك

ولكنه لم يلمح وجه كولبا تجلله علام الحنان الفياض حتى
 عاودته شجاعته ومد لسانه فوضع كولبا يده عليه وهو وادع
 في غير ذعر ولا وجل فانقطع الرهبان الطالبين طرد هذا
 الفاسد عن الصراخ وساد السكون بينا كان كولبا يستنزل
 بركة الله على الغلام ثم التفت اليهم فانبأهم ان هذا الغلام
 سوف يغدو اجلهم شأنًا وان الله سيجبو لسانه فصاحة وقوة
 تنفذان في قلوب الرجال وترغمانهم على تغيير مناهجهم

انفعل رنان القبيح انفعالا قويا بهذه النشوة وتبين بها
 في سره قائلاً: مادام رجل مثل كولبا يشهد لي فعلي ان
 اظل كادحاً حتى اغدو من ذكر. وكانت عاقبة ذلك
 انقطاعه عن افلاق الخواطر واجماع الرهبان على الشغف
 به وصبر ورثه احد قديسي ارلندا اللامعين

استأنف كولبا مساعدة اعوانه على عملهم من شذب
 الاشجار وحصاد المحقول وحرثها وتخديدها وزرع البذور
 حتى اخلق ثوب صباه. وقد ظل يجد لذة في قطع المسافات

البعيدة وتسلق الاكام المغشاة بالعوج والتوغل في الاحراج
 بين اشجار السنديان والادغال والهبوط الى الودية
 والانتقال من بلدة الى اخرى مرشداً الناس الى محبة الله
 والقريب . فتتوافد عليه الجماهير ويعلمون بنصائحه ويمتنعون
 عن اضرار الحروب حتى كانوا اذا اشتعل لظاهما يقف
 الفريقان المتعاديان امام كوابيا مصغيين الى عزله ووصفه
 شناعة علمهم منكسي الابصار خجلاً ما افترفوا ولم يكن يقول
 لهم ذلك بلهجة الامر الناهي بل برقة متناهية علماً منه على شدة
 دعوته وتقواه بما جرّه على رجاله في شرح شبابه من الولايات
 لدن فار الدم في عروقه واضرم تلك المواقع الهائلة من اجل
 كذاب

وحين عجزت سافاه عن حملهِ الى الحقل كان يستلقي
 على فراش من حمير قاصراً همه على الدعاء الى الله وطلب
 بركته على الرهبان بينما هم منهمكون في عملهم ولدن عودتهم اليه
 من الحقل بصفون له ما اشهرتهم نفوسهم به في الطريق من

ان روحه تجلت لهم الى ملاقاتهم فانابت اليهم نشاطاً انسام
تخاذل قواهم وملاً صدورهم غبطة فاستخفهم الفرح بعد الوفي
وهشوا لتساقط الحديث بعد السأم

وكانوا في ايام المحصاد يحملون كولباً على عجلة ليرى
اهراء الحنطة ويباركها كما بارك لسان ارنان وتخفيفاً لعناء
ارتجاج العجلة كانوا حين العودة به يقفون للاستراحة بين
هنيئة واخرى لشدة ما به من ضعف

وفيما هم راجعون يوماً دنا من كولباً جواد ايض هرم.
هذا الجواد كان قد رافقه في رحلات عدة وغدت وظيفته
قاصرة على نقل اللبن من حظيرة البقر الى الدبر . فتقدم
منه ووقف عنده لا ليربت ظهره على عادته لما كان يقدم
له العلف بيده بل ابتغاء اسناد راسه الى صدر كولباً وبث
تنهيداته وذرفه العبرات عليه . فرجع الحوذي سوطه تهديداً
للجواد الايض محاولة طرده فحظر عليه كولباً ضربة بقواه
دعه يذرف دموع وجده علياً فان الله قد كشف له عن

قرب اجل صاحبه وموعد هجره اياه
ثم بارك كولمبا الفرس فتركه وسار الهويناء اسيفاً
كثيباً^(١)

بعد هذا الحادث حمل كولمبا الى ذروة اكمة صغيرة نشرف
على عقارات الدير برمتها فباركها ورجع الى كوخه الصغير.
فتناول يراعته واستأنف نسخ المزامير العمل الذي ظل
مولعاً به طول حياته - ولما وصل الى الآية التي نقول : واما
ظالمو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير - ارتخت انامله
وعجز عن متابعة العمل . فاستلقى على فراشه الصخري ليستريح
ثم نادى خادمة القديم الامين "ديورميت" واوصاه بابلاغ

(١) رويت لاحد المزارعين قصة هذا الجواد وسأفته عن مبلغها
من الصحة فاجابني مشوراً يده الى كلب يصاحب قطيعه : انظر الى هذا
الكلب فهو منذ عهدي يؤتنبأ عن قرب اجل كل خروف من قطيعي
قبل موته بزمان طويل اذ يدنو من الخروف ويشرع بلعس وجهه .
اظهاراً للعواطف حزنه عليه . واني لا اعرف خروفاً او شاة عاشا بعد
لحسو وجهيهما

سلامه وتجنیه الى احبائه

وعند انتصاف الليل فرع جرس المعبد داعياً القوم
الى رفع الصلوات فسار كولها متهادياً وجثا على ركبتيه
وحينما رفع يده بالبركة وقف خادمة بجانبه ساندًا اياه فرأى
القوم وجهه متهللاً بانوار المجذل وعينه ثللاً بوميض
السعادة فان المدينة السماوية تجلت له . فاقلع اليها مجنازاً
المرحلة الاخيرة من مراحل الحياة . ثم وصل زورقه الى
ساحلها الذهبي . اجل انه فاز اخيراً بادراك غايته القصوى



نصل قويم من الفولاذ الصدق

قضت اسرة الكوت سنوات عديدة معتزة في منزل
 خلوي قديم قائم في مزرعة " فروتلندس " في ولاية
 مساتشوستس احدى الولايات الاميركية . وكان بعض
 اصدقاء الاسرة يشاطرونها السكن في هذا المنزل الا انهم
 نزعوا عنها واحداً بعد واحد . وكان رب العائلة ذا آراء
 غريبة في المعيشة يميل الى البساطة المتناهية في المأكل والملبس
 ويعتقد بوجوب النوم مع غروب الشمس والنهوض صباحاً
 عند شروقها اي انه كان فاجر الهمة . وزاد على ذلك انه لم
 يكن يعرف شيئاً عن الزراعة ولم يستطع ان يتولى زراعة
 اراضيه بذاته ولهذا اصبحت عائلته في حالة فقر مدقع . اما
 الام فكانت دائبة في العمل حكيمة حسنة التدبير استطاعت
 ان تهيم الطعام والملابس لبناتها الاربع من لاشيء تقريباً .

الا انها بالطبع لم تكن تستطيع ايجادها من لاشيء بالكلية
ولهذا اضطرت الاسرة الى مغادرة مكان اقامتها والنزوح
الى ولاية اخرى

وكانت البنات الاربع لوبزا وآنا ولزي ومالي يحبين
المزرعة والهري القديم الذي كانت تخزن فيه الغلال
والبستان الظليل والمروج المنبسطة وكن يهوين الطفور
في الحقل كالحياد وتمثيل دور الحوريات في الحرش مرتديات
اثوابهن الكتانية البيضاء معلقة اليها اجنحة من الورق
وكان اليوم الذي غادرت فيه الاسرة منزلها احد ايام كانون
الاول (دسمبر) وكان الثلج يغطي وجه الارض في تلك البلاد
الشمالية الشديدة البرد . تناولت الاسرة الطعام لآخر مرة
في ذلك المنزل الذي قضى عليها ان تهجره وكان الطعام
مولفاً من الخبز والماء والبطاطا لانه لم يكن باقياً لها في المنزل
سوى التزر اليسير من الطعام والوقود - ثم انت مركبة
زلاجة تجرها الثيران فوقفت بالباب . فوضعوا عليها ما بقي

لدى الأسرة من الأثاث الخفيف وكان مؤلفاً من بعض الموائد
والفرش جعلت كومة واحدة فتسلقت قمتها البنات الأربع
وعندئذٍ أعمل الحوذني سوطه في ظهور الثيران فامسكت
البنات أحداً من الأخرى مخافة السقوط عند ارتجاج المركبة
الزاحجة على مهلٍ فوق الجليد وكان الأب والأم يسيران من
خلفها متأبطين كل منهما ذراع الآخر

سرت لويزا بتلك الرحلة فوق سرور شقيقاتها بها
لأنها كانت تميل أكثر منهن إلى الألعاب المخصصة بالصبيان
حتى أنها كانت تلقب "صبي العائلة" وقد قالت عن ذاتها
فيما بعد ؟ "لقد كنت من وراء صداري وتنورني فتى" -
وأولعت منذ صغرها كالصبيان بكل ما فيه مجازفة أو مغامرة
من ذلك أنها حين كانت بعد في سن الطفولية وكانت
اسرتها مسافرة في باخرة من فيلادلفيا إلى بوسطن افتقدت
فلم يعثر عليها فقام والداها يبحثان عنها ويتبعان آثارها في
كل زاوية من زوايا السفينة وأخيراً وجداها في المخبأ

المختص بالآلة البخارية وكان جوابها على تعنيفهم اياها فوها
انها لآلة بديعة الصنع ولكنها قذرة . وانها جاءت الى ذلك
المكان لتري الدوايب وهي تدور

وانسلت مرة اخرى فقضت نهارها بالطفوف مع بعض
اطفال ارلنديين على اكوام الرماد الموضوعة في الساحة العامة
ثم رجع انرابها الى منازلهم اما هي فظلت ولما رخي الظلام ستاره
عثرت على كلب رابض على عتبة احد الابواب فجلست
بجانبه وانتكأت عليه ملقبة برأسها على ظهره مستسلمة لسلطان
الرفاد . ولم تفق الا على طنين جرس يقرع عالياً ويصبح حامله
سائلاً الناس عما اذا كان احدهم رأى بنية في السادسة من
عمرها متردية بثوب وردي وقبعة بيضاء وحذاء اخضر
جديد ؟ فسمع المنادي صوتاً خفيفاً يأتي من ناحية تلك
العتبة المنحنية بالظلام ومحيية بالفاظ مكسرة " يا للعجب
هذه انا "

ولم تكن لويزا اذا دعتمها انها تعجبها على الغالب الا من

أعلى شجرة من الأشجار التي كان يطربها تسلفها فضلاً عن كونها اربع المسابقين في حلبة الطفور وميادين العدو الذي لا تعرف فيه كلالاً ولو خارت عزائم انرابها جميعاً عن متابعتها فيه وكانت تأنف اللعب مع البنات ما خلا شقيقاتها والبنات اللواتي يشبهن في الافتداء بالصبيان وترفض ملاعبة من يعجز عن الصبيان عن مباراتهما جرياً وطفوراً . ولهذا لما تقدمت في السن واصبحت مؤلفة روائية شهيرة امتازت رواياتها بوصف الصبيان وصفاً صادقاً

وكانت الشقيقات الاربع شغوفات بتمثيل مشاهد القصص التي يقرأنها في الكتب المختصة بالاطفال كقصة سندريلاً وكن كثيراً ما يمثلن مشاهد من "سياحة المسيحي" فيتخذن السرداب (البدرُون) رمزاً الى "مدينة الهلاك" "والثكنة" رمزاً الى "المدينة السموية" ويمثلن على كل منبسط في عطفات السلام (او قرص الدرج) مشهداً من مشاهد سياحة المسيحي وهنّ حاملات على ظهورهنّ ما تصل اليه

أيديهن من أكياس الملابس القديمة وكن يلبسن أو يحملن
قبعات وعصياً ولفات من الورق تنطبق على ما وصفه
يوحنا بنيان مؤلف ذلك الكتاب النفيس

وما كن يمثلنه في العابهن المتزلة حيوان غريب
الشكل سمينه "بروب" وصفته لويزا في احد كتبها بقولها "انه
حيوان من ذوات الاربع وله اجنحة لكن وجهه وجه بشري
ضحك اذا دب على الارض قبع كالمختبر واذا طار نعب
كالبوم واحيانا كان يقف منتصباً ويتكلم بالانكليزية .
وكان جسمه مغطى بمجلد احيانا يكون احمر واحيانا ازرق
او غيرها من الالوان والنفوش ومن الغريب ان هذه
الحوانات كانت في الغالب تبادل جلودها (التي لم تكن في
الحقيقة سوى شالات او معاطف) وكان لهذه الحيوانات
على رؤوسها قرون شبيهة بقموع الورق الاسمر التي كانت
تستعمل لاطفاء المصابيح ولها اجنحة من الورق الاسمر تصفق
على اكتافها حين تحاول الطيران الا انها لم تكن تستطيع

الارتفاع كثيراً عن الأرض في طيرانها وإذا حاولت ذلك
تسقط سقوطاً عنيفاً لا تعود بعده إلى مثل هذه المحاولة
وكانت تتناول طعامها أحياناً ملتقطة إياه عن الأرض كما
ترتقي الماشية إلا أنها كانت تستطيع الجلوس كالسنجاب
(أو القردان) وتاكل ممسكة طعامها بأيديها مثله وكان أشهى
طعام لها افراص الكعك . وكانت تاكل التفاح متى شاءت
فاذا عثر وجود هذين الصنفين اكتفت بقضم الجوز النيء
وكانت تعيش في مغاور تصنع فيها أوكاراً تشبه السلالم
التي توضع فيها الثياب وكانت تلعب فيها هذه الحيوانات
قبل أن تفرخ اجتمعن ومن الغريب في امر هذه الحيوانات
أنها كانت أحياناً تخضم وتشتاجر وعندئذ تنطلق السنثمها
بالكلام البشري فتشتم وتعنف وتبكي وكثيراً ما كان ينتهي
بها الأمر إلى انتزاع جلودها وقرونها والمناداة بأنهن تلعب
فيما بعد

وكان من عادة لويزا في الصيف أن تنهض غالباً قبل

شروق الشمس وتروح متسلقة تلاً ترتفع على ذروتها طلباً
للراحة مسرحاً طرفها في اشجار الحرج واغصانها الزاهية باسعة
الشمس المحمرء السافرة من وراء الآكام متأملة في تلالها
الافنان جذلة القلب باستنشاق الهواء الطلق الذي يساعدها
على معرفة الله ومحبيه ذاهلة في ما تدعوه " تفكيراً "

وقبل ان ناجزت العاشرة بدأت في كتابة يوميتها واليك
مثلاً مما كتبت في ذلك العهد بتاريخ غرة سبتمبر (ايلول)
عام ١٨٤٢

" نهضت في الخامسة لاستقم لذة بالابتعاد ثم فعلت
درساً في الانشاد القاها علينا مستر لين فتناولت طعام الفطور
ففسلت القصاع وهرعت الى الاكمة الى ان حانت التاسعة
فمرت بي بعض خواطر فعدت لتأدية ما علي من فروض
مدرسية فكتبت ونهجات وحللت اعمالاً حسابية وقرأنا مستر
لين قصة الحكيم . . . فطرح والدي علينا السؤال الآتي :
" ما هو اشرف عمل ابدعه الله ؟ "

فاجابته احدى شقائتي "الرجال" قلت "كلأ بل
الاطفال . لان الرجال على الغالب اشرار اما الاطفال فليسوا
اشرارا قط . " ثم صرفنا رداً تنساقط الحديث حتى اشعرتني
نفسي بانني اهدأ روعاً وارق قلباً مما كنت عليه من قبل
"ثم تناوات الغداء وكان مولفنا من فاكهة وخبز
وجاست بعده للمطالعة . فخرجت للنزه ولعبت حتى موعد
العشاء . فرفعنا اصواتنا بانشاد ترنيمة المساء ورحلت ابتغي
الرقاد فنظر اليّ القمر وهو يرفل بمجلى الساطعة مذكراً اياي
بالخشونة التي عاملت ابي بها فوطدت النية ان لا اكايدها
فيما بعد ورددت في ذهني شعراً في هذا الموضوع طببت على
اثره نفساً . انني كثيراً ما اردد الشعر قبل النوم واني اعرف
اشعاراً عديدة

بعد ان هجرت لوزا وشقائتها فروتلانديس على المركبة
الزلاجة قضين فصل الشتاء في منزل احد الاصدقاء . ثم
ارتحلن في الربيع الى بلدة تدعى كونكوردي حيث كان يسكن

زمرة من المؤلفين منهم امرسون الذي غدا بطلاً في عيني
 لويزا وارشدنا الى الكتب الجديدة بالمطالعة . ومنهم ثنائيل
 هوثرن وثورو ذلك الرجل الذي فاق شغفه بالتجوال في
 الهواء الطلق ولع البشر جميعاً به وهو منشيء كتاب نفيس
 وصف فيه حياته في الاحراج

كان هناك هري رجب يخصص امرسون نحول الى
 مدرسة جعلت الشقيقات يختلفن اليها . وكان امرسون
 يرافقهن الى المنتزهات وينقلن الى الشاطئ على عجلة كانت
 معدة لنقل التبن ثم طلبت بالطلاء المزخرف فكن يتدربن
 هناك على السباحة ويلعبن العاباً يمثلن بها الهنود الاميركيين
 ويقطنن اثمار العليق . ويتناولن غداءهن في مكان مجاور
 لكوخ ثورو الخشبي . وقد طالما رافقت لويزا ثورو في نزواته
 حتى انها كانا يتجاوزان احياناً مسافة عشرين ميلاً يكشف
 لها خلالها عن حيل السنجاب ومكايد النمل والطيور او يقذف
 معها بقاربه وهي ناعمة بقربه يحسبها الناظر احدى فتيات

القبائل الهندية الرحالة ويلهو معها بمناداة الطيور طوراً
واغراء الاسماك على الدنو من سطح الماء واجتذاب طعامها
من يده طوراً

هكذا نشأت لوزير الكوت . ويقول بعض عارفيها انها
كانت هيفاء القوام تضاهي الظبي خفة ورشاقة ذات شعر
اشعث جميل وغرة كستنائية وبشرة صافية وعينين زرقاوين
غائرتين رائقتين لا تغيب قراءتها عن احد " ولم تكن لتعلق
اهمية على جمالها . يدل على ذلك قولها :

"لقد قلت في نفسي عليّ الا اغترّ بطول شعري
وجمال شكل رأسي واستقامة انفي بل ان اطرح هذه الامور
جانبا لانها لا تزيد عن الامور النافذة رتبة"

ظل والدها حتى ذلك العهد معوزاً . واذا بلغت
الثالثة والعشرين هجرت كوناكورد وارتحلت الى بوسطن حيث
كدخت في العمل لتكون عوناً لوالديها على الحياة
لقد كان انشاء القصص اعذب مورد في نظرها غير

ان خلو جيبها من المال اكرها على عدم التريث الى ان
يوافق على روايتها ويدفع لها ثمنها . لذلك مالت الى خياطة
ما يعرض عليها من اغلفة للوسائد وملابس وياقات بيضاء
والمناديل تكد في خياطتها احيانا ليلها بطوله فوزا بثمن
معطف لامها او قبعة جديدة لاحدى شقيقاتها . ثم اصيبت
اختها لزي بالحى القرمزية فبادرت لوزا الى البيت مدًا
ليد المعونة في تربضها . وكانت في ذلك الحين قد اخذت
على نفسها موافاة احدى الصحف برواية تقدمها لها كل شهر
طمعًا ان تسدد بثمن الواحدة حساب الجزار وبالاخرى ثمن
بساط جديد وبالثالثة ثمن رداء لاختها وهلم جرا

وحين ثاب الى العيلة نشاطها عادت لوزا الى بوسطن
باحثة فيها عن حظها . وقالت في توديعها لذويها :

” كل ما كنت املكه من كنوز العالم يومئذ اجتمع في
صندوق عتيق وكل ما ادخره من المال ذلك المبلغ المحفوظ
في جيبى على ان نشاط الامل واتقاد العزم كانا مضطربين

في جوانحي والمشاعر المتضاربة ماثلة قلبي فرفعت الى الله
 دعاءً حاراً اقول: "اللهم امددنا بعونك واحفظ كلاً منا
 للآخرين" وعند ذلك التفت الى تلك الوجوه العزيزة
 الطافحة حباً وايماناً ورجاءً فشعرتُ بما لم اشعر بمثله من قبل
 عادت لويزا الى بوسطن وقبعت في عليتها الصغيرة
 التي كانت تدعوها "بهوها الجوي" دائبة في الخياطة
 والتأليف وتعليم الصغار مضيقه على نفسها بالتفتير حباً
 بمساعدة امها. ثم عادت ثانية الى البيت للقيام على تربية
 شقيقاتها التي هصرت المنية عودها الرطب وعلى تفريج صدر
 امها مما ساورها من اللف الشديد ووصفت ذلك العهد
 بقولها:

"كانت مشروعات عدة تغلي في خاطري وتزاور
 القدور المرفوعة على النار ريثما تعقد غير اني اجلت ابرازها
 الى حين اتبين طريقي. وكنت اذا كنتُ او نفضتُ او
 غسلت الاوعية افكر في تلك المشروعات المغطاة ثم اتركها

ريثاً نعتقد . لقد كان منها ما يضاهي الخبز المحمر وما يماثل
 شراب التفاح فضلاً عما بينها من خواطر تضارع الفطائر
 وأفكار تنافس الكعك لولا أنها معجونة بدموعي

رجعت لويزا الى الخياطة منجزة ما وكل اليها امره
 بسرعة الالة البخارية وحين انتقلت اسرتها الى منزل آخر
 ورقت لويزا وشقيقها جدرانها وطينها بالدهان وفرشن في
 ارضه الطنافس وخطن للنوافذ ستائر انهمكن في تعليقها
 بينما احداهن تهيء الرسوم . وكن في المساء يجلسن للسمر
 ويتلهين بالالعب وظريف المحاضرات وحل الالغاز
 ورواية اللطائف وتناول التفاح والكستناء المشوية

بعد عيد الميلاد بدأت لويزا بتأليف رواية جديدة
 دعمتها اولاً "النجاح" ثم اتخذت لها بعد عشر سنوات اي
 حين تقديمها للطبع عنواناً آخر هو "العمل" ولم تكن لتتاهل في
 انشاءها هذا العدد من السنين لولا المرض الذي انتاب
 والدتها والذي اطبقت كتابها خلاله . وحالما اشتدت قوى

أما وأبليت من مرضها عادت الى الكتابة ووجدت في نفسها
محرصاً من الكلف بها يحضها على العمل ثلاثة اسابيع متوالية
لا تأبه فيها لتناول وقعة الصباح حتى اذا رأيتها ومن حولها
الاوراق مبعثرة خلفها تسبح في بحر من المخطوطات . وكانت
بين أنه واخرى تنهش تفاحة دون ان تنقطع عن تسطير
روايتها في الليل او النهار . فاصابها اخيراً دوار شعرت
معه بشاغل في رأسها واصطلكك في ركبتيها اصببت معها بارق
شديد فطرحت البراع وغطت الدواة وافرطت في التره
مشياً على الاقدام الى ان تعافت . وفيما هي تم بالعودة الى
التأليف نزلت اسرة صديقة ضيفة عليهم فطرحت القلم
ثانية اكراماً لها وانفتحت وقتها حيناً في الطبخ وحيناً في غسل
القدور

ثم نشبت الحرب الاهلية التي آلت الى تحرير العبيد
فدوت الطبول وعلا في الفضاء رجع صدى خطى الجنود
السائرين الى الحرب وكانت لوزا مذ بادر غلام عبد الى



كان عملها مقتصرًا على تنظيف أولئك الإبطال المرحومين
 HER FIRST DUTY WAS TO WASH THE DIRTY, BEDRAGGLED HEROES
 WHO CAME IN WOUNDED.

اتقازها من الفرق في بركة الضفادع في مدينة بوسطن
 (وذلك في زمن حداثتها) قد اخذت على نفسها ألا تدع
 وسيلة في سبيل تحرير العبيد الا توضحها. ولما لم تكن تقوى
 على الحرب اخذت تريض الجرحى وسافرت الى الجبهة
 وكانت تجد لذة وسرورا في عملها مع انه كان مقتصرًا على
 تنظيف اولئك "الابطال" الجرحى مما علق بهم وبملابسهم
 من الاقدار والدماء وقد كتبت نقول:

"لو ان الممرضة سألتني ان اخلق شعورهم جميعًا او
 ارقص رقصة (هورنبايپ) على الموقد لما اصابني تلك
 الدهشة التي عرّتي حين امرتني كبيرة الممرضات بتطهير
 عشرات من اسياء البشر في لحظة. على اني طرحت بالوساوس
 في اثناء الغسيل وشددت على قطعة الصابون بعزيمة شماء
 واتخذت هيئة المنهك في مهنته وبدأت باول نموذج وقف
 امامي"

لم تكن لويزا وهي مفادية في تكبد المشاق لتسهو عن

مساهمة الجرحى الأهم . لقد كانت اذا مات احدهم في اقسام
المستشفى تبكيه حتى تذيب في بكائه محاجرهما ثم تبادر الى
غسل وجهها واصلاح شعرها متفنتة في اضحاك الجنود المقيمين
في القسم الآخر تنفيساً لكربتهم

ومن فرط ما قاست في التمريض من الرهق تخونها
الوهن فذوت نضرتها وامرها الطيب باعتزال العمل في
الحال فرفضت ذلك في بدء الامر الى ان اصبحت كما
كتبت :

”تثاقل رأسي حتى بت احسبه كرة المدفع واصبحت
ارى الجدران تمور والناس اكبر مما هم والفناني ترقص على
رفوفها ورقص النخز... فوددت لو كان في امكاني ان
اطرح جسدي واستأنف العمل بروحي“

ثم انقطعت عن العمل عجزاً عن اطراده . وتوالت
عليها الاوصاب حتى بانث لقداحتها لا شوق ابلاً ولا عوداً
لنشاطها العجيب انها قد وهبت صحتها للجنود . ثم نصح لها

الاطباء يميز شعرها الكسنتائي الجميل فيصلح بدنها فعادت الى
مراسلة احدى الصحف مفضية اليها باخباراتها خلال قيامها
على اثريض فاسترقت القلوب فجمع احد الناشرين هذه
المقالات وافرغها في كتاب طبعة على حدة فعرض عليها
ثلاثة من الناشرين رغبتهم في طبع مؤلفاتها فطرزت كتابا ما
كادت ترسله الى اول ناشر حتى بعث اليها جوابه بموافقة
عليه

وفي السنة التالية هجرت لوزا اميركا قصد السياحة في
انكلترا والمانيا واطاليا بصحبة ابنة رجل نبيل كانت علية
فديجت ما شاهدته من طرائف الاخبار وعذب المفاهات
في المجلد الثاني من كتاب خصته بوصف سياحتها والفن
بعد رجوعها الى اميركا عنوانه "النساء الشابات" فتهافت
الناشرون على طلب مصنفاتها واخذوا يتبارون في شرائها
ببالغ طائلة فاصبح في وسعها ان تهدي الى امها القبعات
والى شقيقتها المحلل الجديدة والى ابناء شقيقتها الصغار

عددًا كبيراً من الدمى وإن تبتاع الامتعة اللازمة النافعة
لمنزله حتى كاد يضيق عنها

كان الناشر في بدء الامر يظن ان كتابها "النساء
الشابات" خالٍ من الرونق صارفٌ للقلوب . بيد انه لم
يحجم عن نشره ولم يعم بعد طبعه حتى تأكد انه هو الجاف
لا الكتاب . لان عشرات الالوف من الصبيان والبنات
تهافتوا على اتياعه وانقطعوا في زوايا الابهاء مضطجعين على
الكراسي الطويلة طوراً منجدين في الضحك طرباً بروعة نوادره
المتجاوبة وطوراً مسترسلين في البكاء في مواطن الحزن
المحكمة الاداء . ثم ملحنين على الناشر في الاسراع بنشر ثمنته
ما يشهد بانطواء الكتاب على الحقيقة وسداد المنهج . ولما
صوّرت لويزا في هذا الكتاب حياتها وحياة اسرتها فدعت
نفسها فيه "جو" واطلقت على امها لقب "مارمي" وشقيقتها
أنا "ميغ" وشقيقتها لزي "بيث" وشقيقتها مي "ريبي" والنقى
الطروب الذي صادفته في سويسرا "لوري"

ثم اخذت تجهد في علمها لاعالة والديها وشقيقتها الى حد كانت قواها تضي معه من وقت الى آخر لان اثر ما اصابها اثناء تريض الجنود ظل يعاودها . فارتحلت الى اوربا ثانية لعلها تجد رَوْحاً فما بلغتها حتى فاجأها خبر وفاة صهرها زوج شقيقتها تاركاً طفلين كانت ولوعة بها جداً دون مال او سند فاضطرت لوزاروي في منتصف سياحتها الى الجلوس لاستئناف العمل واعينات الروية الى ان تم لها انجاز روايتها "الرجال الصغار" فبعثت بها الى الناشر ففتحها عليها اجراً كبيراً انفقته في اعالة الطفلين من كساء وغذاء ودفعت منه اجرة تعليمها مدة طويلة وظلت في دأب وكدح مخرجة للناس كتاباً اثر آخر قياماً بمساعدة الغير على الحياة حتى أصيب إبهامها بنشج افضى به الى الشلل
النام

على ان انها كما في الكتابة قد تخللته ظروف ارغمتها على الانقطاع عنها قياماً على تريض شقيقتها او امها والسهر على

رعايتها بنفس راضية جذلة حتى اضناها العنت فوق ما بها
 من اثر السقم الذي نال منها زمن التمريض وفضلاً عن
 مضايقة الناس لها بعد ذبوع شهرتها الى حد ان مخبري
 الجرائد كانوا يتسلقون اسوار حديقتها ليلمحوا تخبط فيها
 وتلتقط التفاح وكان الذين يطلبون منها ان تدون اممها في
 دفاتر محفوظاتهم او بومياتهم يعدون بالالوف كما ان الفتيات
 كن يتهافن على زيارتها ويتسابقن الى تقبلها سباقاً كادت
 روحها تزهرق به

فضلاً عن ذلك فقد عهدت اليها شقيقتها مي ساعة
 احضارها في باريس العناية بالطفلة التي توفيت على اثر
 ولادتها. حملت اليها هذه الطفلة على ظهر باخرة كبيرة تخترع باب
 الانالاتيكسي. وكانت لويزا ساعة وصولها واقفة على الرصيف
 تترقب رسوها. واذا بالقبطان يحمل لها على ذراعيه طفلة
 شقراء كسيت بالياض تطلعت اليها بعينين زرقاوين برأفتين
 قالت لويزا في وصفها :

”مددت ذراعيّ لأقبال لولو فلم اجد في نفسي لشدة
خوري وهني قوة على التلفظ بما يزيد عن اسمها . فحدث
اليّ فحركت شفتاها بلفظة ”ماما“ فضممتها الى صدري
فنبئت في وجهها علائم الشوق والارتياح التي يلوح مثلها على
وجه النازح حينما يعود اخيراً الى اهله ووطنه وهي كذلك .
فشكرالك ايها السماء !“

واصبح هم لوبزاهنا السعي الى اعادة ابيها والطفلة . ولكن
دعني اسرد لك شيئاً مما كان يعتلج في قلبها في ذلك العهد
لا لاسرد لك ما كان يضطرم في صدرها من المشاعر المقدسة
فحسب بل لابسط لك ما عانتة خلال استمرارها على الانشاء
واليك بعض اقوالها في ذلك

”لما كنت في غصارة الشباب كنت في اشد الحاجة
الى المال الذي لم اكن املك منه شيئاً . فلما توفر لي المال
اصبحت في اشد الحاجة الى الوقت الذي لم يكن لي لانفقه
في الكتابة وفضلاً عن ذلك فقد خسرت الصحة التي اتذوق

بها متعة الحياة . اراني في حاجة الى الرياضة ولكن العمل
اولى واجدر . ومن الصعوبة بمكان ان احب علي وانا مقيدة
بقيود الواجب المعلقة الى سفيني القديمة والتي بثت اعد
بلوغها الميناء اخيراً والتفاف اشرعنها مكافأة لي . ما برحت
الحياة لغزاً لا يحل وما تقدمت فيها الا رايها اكثر التباساً
وغموضاً . اني ساستوعب اغراضها شيئاً فشيئاً . وسأنظر الى
الحوادث بعين الرضى هذا اذا تمكنت من اطراد الشجاعة
والتذرع بالصبر

ألم تكن بطلنة اسرتها ؟

اجل انها لبطلنة . وبصح فيها قول روبرت لويس
ستيفنسون في امراته " لقد كانت نصلاً قوياً من الفولاذ
الصدق "

او هي على حد ما قيل :

" لقد حباها المعلم القدير نبلاً وافتداراً "

”ومنها القوة على الغضب للمحق وشدة البأس“
 ”ونفخ في صدرها نار حب لا تغاف فيه النفوس الحياء“
 ”سواء أآخمد الموت انفسها ام لم ينجد“
 ”أعصفت رياح الشر حولها ام لم تعصف“



مخاطرات بولس الرسول

١

كان الوقت ليلاً والسكينة ضاربة سرادقها لا يكدر صفاءها غير تجاوب عواء بنات آوى او نخير النوق والنجوم تلمع فوق الرؤوس مرسله وميضاً يشع في ظلمة الشرق الدامسة واذا بنفر من الرجال قد اشرفوا من سور دمشق واطلوا من نافذة مفتوحة في منزل لصيق بسور المدينة . فقاموا ارتفاع النافذة عن الارض بالرغم من شدة الحلك . فقال احدهم مشيراً الى سلة من عيدان الصفصاف والى حبل متين : " هوذا السلة والحبل "

واذ ذاك ركع احدهم وهو ذو عينين غائرتين ثلثيهان بنار الشجاعة والذكاء وقد لاحت على جملة ملامحه علامم الانفة والدعة . فخذت بقيتهم حذوة طالبين الى الله هداية دمشق ورجالها المزمعين على قتل شاول ورعيه في سفره .

وما انتهوا حتى ادلوا بالسلة من النافذة الى الارض بعد ان
انصتوا هنيهة وثبت لهم خلوا المكان من الاعداء. وكان شاول
قابعا فيها ممسكا بالحبل يدين مدعنين فلما بلغ الارض اخلي
السلة فاعادها الرجال الى الغرفة خالية واوصدوا النوافذ
بنان فاسرع شاول المخطى تحت جناح الظلام متجهاً الى الجنوب
كانت دمشق في ذلك الحين مكتظة بالاعداء الا الى
اجمعوا على قتل شاول. ولما كان قد انقضى الصلابة دهره لم
ينفع له قلب ولا نزل به رعب فضلاً عن انه أصبح اليوم
— اذا كان قد تطرق الى قلبه شيء من الخوف من قبل —
لا يثني عن طرده فوراً

وفيا هو منطلق جعل يفكر في حوادث ماضيه مما بقي
له اثر في حافظته فذكر حادثة التي انقضا في قطر بعيد
قائم خلف الجبال يشرف على خليج لا بد ان تكون اضاءة
شمس الصباح تحسر عن امواجه الان حجاب الظلام. واسم
ذلك المكان طرسوس وهو نغر بحري مكتظ بالجنود

اليونانيين والرومانيين المتكبرين يسرون واليهود متكافين
 بينما يكون المضررون المكررة والافريقيون السود وتجار العرب
 السمرة الدهاء يعرضون سلهم على الشارين متساومين في
 فصل اثمانها والاشرة المغبرة المشدودة الى سارياتها تنهادي
 في المراكب الصامدة امام الامواج المتلاطمة . واسراب
 الجمال المثقلة بالاعباء تخطر على رصيف ذلك الميناء الآهل
 كانت طرسوس مسقط رأس شاول وهي المدينة التي
 ينصب منها الى بحر الروم نهر كدنوس النابع من جبال
 طورس بعد ان ينساب في بطحاء رحبية الجنبات

كان شاول ابن رجل يهودي يستظل بالتبعية الرومانية
 يقطن في كيليكيا التي يتكلم اهلها اليونانية فكانت نشأته هناك
 عوناً له على الاختلاط باليهود واليونانيين والرومانيين
 في زمن العمل والشباب . فضلاً عما كان له من ذهن مرهف
 وما اكتسبه من حنكة وسعة اطلاع

سار يفكر في حوادث ماضيه فذكر تدربه في الجمع

اليهودي لافي المدرسة التي تخرج فيها اترابه من غلمان
اليونانيين والرومانيين . وكانت معظم الدروس اني حفظها
على حذائة سنة من النوع الذي ينبغي استظهاره وهو
جداول مسهبة من شريعة موسى وتاريخ الملوك . ولما وُجد من
انجب التلامذة أُرسل الى كلية المعلمين او الحاخامين في
اورشليم حيث تخرج على الاسناذ غملايل وهو من خيرة
الحاخامين فصار حاخاماً صغيراً ثم سما شأناً فاضحياً حاخاماً
كبيراً . وكان ينتمي الى حزب الفريسيين وهم الفئة التي
اشتهرت بالنضيق في التقاليد الدينية على الناس . ومعنى
الفريسيين "المنفصلون عن عامة الخطاة" وكانوا لشدة
تمسكهم بحرفية الشريعة الموسوية يحرمون قطف سنبله من
القمح او انتزاع شعرة شائبة في يوم السبت لانه من قبيل الحصاد
وبالغوا في ذلك حتى انهم كانوا يجيزون للمرء ان يفرك حذاه
على الرصيف المبلط يوم السبت ولم يكونوا يجيزون له ذلك
على التراب او على ارض غير مبلطة لانهم يعدون ذلك

ضرباً من الحراثة

استأنف شاول سيره مفكراً في احوال غابره واذعانه
 الى امثال هذه الوصايا البالغة المثبات التي كان كل من يخالفها
 معدوداً من اشر المخطاة معاقباً عليها بافطع انواع العقاص
 فذكر في جملة ما ذكر انه في زمن صيرورته حاخاماً صغيراً
 ظهر فتى آخر في فلسطين ودأب في مناهضة اولئك
 الفريسيين . كان يقول في تعليمه للناس " ان الذين يفرضون
 عليهم مثل هذه الفروض الصارمة وتكون قلوبهم خالية
 من المحبة انما يحزنون الله اباهم وانهم في الحقيقة اكثر شراً من
 جبة الضرائب او العشارين ومن القوم السافطين الذين
 يسمون خطاة " وقد شبه هذا الفتى الزعيم الفريسيين بالذئاب
 المتردية باثواب الحملان وبالقبور المكلسة وبالمرائين

لستطيع ان نتصور ما جاش في صدور الفريسيين
 المتكبرين من الحقد على المسيح ساعة رى هذه الاقوال
 بوجوههم وزاد في اثارة ضغائنهم تشجيعة مشايخه على قطف

السنا بل يوم السبت ومنعم من غسل ايديهم على الطريقة
التي يستصوبها الفريسون

فلما صلب المسيح اطلق الناس على اشيائه لقب
"الناصرين" ازدراء بهم واحتقاراً لهم كما يطلق ابن المدينة
على القروي المهان لقب "فلاح"

يبدان عدد هؤلاء الناصريين طفق يتكاثرون فحشي
الفريسون استفحال شرهم فراحموا يزجونهم في السجون ويحكمون
عليهم بالموت

تذكر شاول ذلك فعرفته هزة الفرق لهول ما اقترف
من الجرائم بدافع زعمه ان الله قد انتدبه لقتل الناصريين .
وقتل لمخيانته مشهد رجل يدعى استفانوس كان قد عاقبه
بالرحم وتجلي له شبح تلك الرؤيا الفظيعة يوم تقدم منه رجاله
منتهزين حقداً على استفانوس فخلعوا معاطفهم وطرحوها عند
قدمي بولس وعروا سواعدهم لكيلا تعوقهم خلال علمهم
وانها لوالا على ذلك الرجل رجماً بالحجارة عقاباً له على مشايعته

المسيح. وتبدت له صورة جسد ذلك المسكين حين انهطال
 الحجارة عليه وما فعلته به وكانوا قد وجهوها أولاً الى جسمه
 ثم الى رأسه الى ان بضّ دمه ووقع مغشياً عليه واسلم الروح
 ان ينسّ شاول فلن ينسّ تينك العبارتين اللتين تلفظ بهما
 استفانوس ساعة احضاروه وهما "اللهم اغفر لهم ولا تأخذ
 عليهم ما يفعلون" و "يا سيدي يسوع المسيح تقبل روحي"
 فصفق شاول لما بلغ هذه الذكرى وهو سائر في طريقه
 الى اورشليم اسفاً ووجداً على معاضدته اولئك القساة على
 قتل استفانوس الباسل الفاضل وكان شبح استفانوس المحبب
 قد تمثل له مراراً وفي كل منها كان يخامرهُ الشك في صواب
 فعلته فيحدث نفسه :

"لا بدّ ان مثل استفانوس لا يرضى بالرجم والموت
 ما لم يكن مدفوعاً بدافع عجيب وزبما كان الناصريون بعد
 كل هذا مصيبين"

فقبل ان خرج شاول مدلياً بالسلة فاراً من دمشق

ببضعة أشهر كان قد قدمها ليضطهد من فيها من يعظمون
 يسوع المسيح ويقدمونه ويذبحهم رجالاً كانوا أو نساء في
 السجن . على أن ضميره كان ينجسه كما ينجس الفلاح ثورهُ
 الحرون حين يعصاه في الحراثة فيأبى الاذعان الى
 وجدانه أنفه وكبرياء . وفيما هو قادم الى دمشق سطع عليه
 في طريقه اليها نور يخطف البصر وسمع هاتفاً يضطرهُ
 للوقوف قائلاً :

” شاول ، شال ، لماذا تضطهذي ؟ “

فقال — ” من انت يا سيد ؟ “

قال — ” انا يسوع الذي انت تضطهده . ألا يصعب

عليك ان ترفض مناخس ؟ “

فوقع شاول على الارض يقول بصوت متلجلج : ماذا ينبغي

ان اعمل ؟ “

قال — ” انتصب على قدميك واذهب الى المدينة واقم

فيها حتى يقال لك ماذا ينبغي ان تعمل “

لا مشاحة ان اصدقاء شاول في دمشق لم يروا تحولة
 عن مبداه حتى حسبوا ان طائفاً من الجنون قد الم به لانه
 بعد ان كان قد بدأ باضطهاد اشباع المسيح وطرحهم في السجن
 انتهى الى اتباعه . لقد كان من قبل حاخاماً ارعن متكبراً
 فصار الآن متأنياً متواضعاً مستعداً ان يقابل الذين يوغرون
 صدور الناس على قتله بالحب عقاباً لنفسه على ما جنى . ولم
 يكن يستغرب تنكرهم له وعزمهم على قتله واستنظاعهم اتباعه
 يسوع المسيح لانه هو نفسه كان قبل اسابيع يستنظعه ، ذلك
 يوم جاء حاملاً في طي جلبابه امراً بخولة صلاحية القبض
 على الناصريين وسجنهم والتنكيل بهم . فعلام هو الآن
 راضٍ بالسجن بدلاً من ذلك السلطان ؟

٢

أخذ شاول الى دمشق ذاهب البصر مبهوراً بالنور
 الذي اضاء حوله . ولما شفيت عيناه خرج الى الصحراء العربية
 مستقصياً ما بلغه من اشباع يسوع المسيح عن حياته وموته

مقابلاً بينه وبين تلك السفاسف التي وضعها الفريسيون
 فيزدري بها ويرى انك لو قمت بها حق القيام لما جعلتك
 فاضلاً حقاً وان الله لا يطالب كبيراً ولا صغيراً بالنزوى لكي
 يحبه وانما هو يحبنا دواماً لاننا بنوه وان التثبث في محبة الله
 لنا تلك الحقيقة التي كشف لنا يسوع المسيح عنها، نجعلنا ابناء
 برة لذلك الاب. فيخطر لساؤل لأول مرة في حياته ان
 الاسود والايض والعبد والحر واليهودي واليوناني والروماني
 والعربي هم جميعاً ابناء الله متساوون في نظره.

وبعد ان انتهى من تأملاته منفرداً في سكنية تلك
 البقعة عاد الى دمشق وشرع بارشاد الناس الى يسوع المسيح
 فافلق خواطر اليهود فأكبره على الهرب مدلي بالسلة

فكان يسير الآن لا الى حي امين يقيه غوائل اعدائه
 بل الى عاصمة الحاقدين على الناصريين وهي اورشليم. فضرب
 اشباع المسيح في اودية الحديس خوفاً من ان يكون شاول قد
 تظاهر بالانقلاب حياً بنجسهم لصعوبة تصديقهم الامر.

أما اليهود فتغيروا عليه بدلاً من إعجابهم بتوقده فؤاده ورفضوا
الأصغاء إليه . فخطبته الله في الهيكل بقوله :

” لقد دعوتك لتكون لي رسولا الى الامم “

فخرج من اورشليم وغادر فلسطين ذاهبا أولا الى
طرسوس وطنه الاول حيث ناواه اصدقاؤه القدماء
لاتضمامه الى جماعة الناصريين المخففين

ثم دعاه صديقه برنابا من طرسوس ليتعاونوا على ارشاد
سكان انطاكية الالامعة الشهرة في سوريا وهي مليكة مدائن
امبراطورية الرومان الوثنية . فلبى دعوته الى ان غادرها
مجتولا في مدن عدة من مدائن قبرس واسيا الصغرى واليونان
الى ان انتهى الى رومية وحده

في جزيرة قبرس تعرف الى الحاكم الروماني سرجيوس
بولوس فاسترق قلبه . وفيها استبدل اسم شاول باسم بولس
المسيحي مستأنفا الانضمام الى التبعة الرومانية
نظطرك الحال الى استظهار جداول مسهبة باسماء

المدن التي جابها بولس . ولكن تذكر الحوادث العجيبة التي
جرت له في كل منها يهون عليك استظهار اسمائها ويدلك
على مكان بولس من البطولة خلال جهاده في ارشاد الشعوب
وحملها على اقتبال رسالته بالرغم من تعرضه مراراً لاختار
الموت

تستطيع ان تذكر اسم انطاكية مثلاً بتذكر ان
الناصرين لقبوا فيها لأول مرة بالمسيحيين . كان ذلك
على اثر هياج الشعب على بولس ومباغتته في الازدراء
بتعاليمه . ليصعب علينا ان نعلم ان اسم "مسيحي" الذي
تفخروا اليوم كان صفة للحقارة في الانس . وفي انطاكية
ايضاً انفصل الشعب المسيحي لأول مرة عن المجامع اليهودية
وقطعوا صلاتهم بها عملاً باشارة بولس الذي بلغت فطنته
للامور هذا الحد

اما اسم مدينة ليستر فيفطن له المرء بتذكره الغلام
تيوثاوس . وهو ابن لاب يهودي وام يونانية اسمها الجميل

”يونس“ وحفيد لجدّة تدعى لويس . هذا الغلام رأى بولس
وصديقه برنابا في ليسترا يشفيان مقعدًا . وكان اهل المدينة
يعظمونها ويقدسونها في بدء الامر الا انهم لم يعملوا حتى ناصبوهما
العداء ورجعوا بولس بالحجارة وتركوه بين حي وميت لقوله لهم
”ان يسوع المسيح حطم الحاجز الفاصل بين اليهود وسائر
الامم .“

كان شأن الغلام شأن امثاله الذين ما كادوا يكتشفون
حقيقة بولس حتى احبوه واقروا له بانه اجل الابطال شأنًا .
فبقي بعد ربح قصير الا مرافقته في النجوال متباهيًا بحمل
معطفه

في ذات يوم هب بولس ورفاقه الطيب لوقا
المحب وسيلاس والغلام تيموثاوس معتزمين على التروح الى
ابعد ناحية عن دارهم لم يكونوا قد بلغوها من قبل . فجازوا
مئات اسيا الصغرى حتى وصلوا الى ترواس الواقعة على
شاطئ بحر ايجه بعد قطع مئات الاميال من الطرق الرومانية

فلم بولس في نومه ان رجلاً من مكثونيا اهاب به قائلاً: "اسرع
الى نجدتنا يا سيد" فبادر ورفاقه الى ميناء ترواس وركبوا
سفينة اقلعت بهم نحو الشمال الغربي مآخرة في لبحر ايجيه
الزرقاء. فبلغوا مساء جزيرة خصبية اهليلجية الشكل تدعى
ساموثراكي بانوا ليلتهم فيها. ثم راحوا يستأنفون جولتهم صباحاً
فانتهوا الى ميناء نيابوليس حيث ترجلوا وجازوا على اقدامهم
عشرة اميال من الطرق الرومانية فوصلوا الى مدينة فيليبي
هناك داهمهم خطر هائل. وحكاية الامر انهم فيما كانوا
وبعض اليهود هابطين الى الشاطئ قصد الصلاة اذا بهم
يلتقون بجمارية في نضرة الشباب تتمنن العرافة وتدر على
اوليائها منها اموالاً طائلة. وحين لمحت بولس ورفاقه صاحت
باعلى صوتها:

"هوذا خدام الله اتبعوهم يرشدونكم الى طريق الخلاص"
ورددت قولها زمناً طويلاً ملفنة انظار المارة اليهم فتمهم
بعضهم عليهم. الى ان ضاق ذرع بولس بها فامر القوة التي

تفعل بها ذلك ان تخرج منها

واذ بلغ الخبر مسامع اوليائها وناكدوا عجزها عن كسب
المال فيما بعد قبضوا على بولس وسيلاس وجذبوها الى باحة
المدينة العامة حيث جلس القضاة الرومانيون وبدون ان
يدري الجمهور ما اقترفا اغتنموا فرصة الشعب واخذوا
يصيحون والغلمان الفيلبيون الذين انقطعوا عن اللعب حباً
بمغاضدتهم على الصباح فرأى المحكام ان ايسر طريقة يتذرعون
بها لتهدئة فورة الشعب وارضائه هي ان يأمروا بجلد الرجلين
بالعصي والسياط . فقادها السجن بعد جلدهما الى السجن
وكبل رجليهما بالاصفاد

وعند انتصاف الليل ارتفع صوتا بولس وسيلاس بدلاً
من الاثنين والاعوال من هول ما ألمَّ بهما من اوجاع الضرب
والسجن بالتسبح والتزيم . فاذا بزلزلة عنيفة زعزعت اساسات
السجن وحطمت القيود التي غلَّتْ بها اقدامها . فهرب السجنان
مذعوراً ووقع في خلده ان سجينيه لجأ الى الفرار وانه سيعاقب

بالقتل على اغفاله شأنها فحاول الانتحار نجاة من العار فنهف
بولس به : " لا تضر بنفسك فكلانا هنا "

وامر السجنان بالمشاعل فأثني له بها فهرع الى السرداب
وترامى على اقدامها واجفأ صارخا : ماذا افعل لكي اخلص "
فقال له بولس الذي لبث طيلة مدة تعذيبه وسجنه وثورة
الزلازل هادئا ثابت السجنان ان يجعل غايته الوحيدة في الحياة
محبة المسيح . فجلب لهما السجنان فورا ماء غسل به ما علق على
ظهرهما المترصص من الاقدار والدماء مبرهنا لساعته على
شدة انفعاله بتلك المحبة

واذ طلع الصباح امر القضاة باطلاق سراح السجينين
فرفضوا ذلك بحجة انها عوقبا قبل النظر في دعواهما وانها
لا يخرجان حتى يأتي اولئك المحكام اليها ويعتذروا عما جنوه
عليها

فلم يقرع قولها آذان المحكام حتى هامت خواطرهم في
شعاب الرجم مخافة ان يرفعوا امرها الى امبراطور رومية فيجروا

عليهم عافية الخزي والهلوان . وسرعان ما بادروا الى بولس
وسيلاس مبدين ندمهم وتلهفهم على ما ارتكبوا ضدهما ملتجئين
منهما مغادرة فيليبي في الحال

ارتحل بولس ورفاقه فجابوا مدائن يونانية عدة منها
سالونيك ذات الميناء الآهل وييريا (البعيدة عن الطريق)
كما دعاها شيشرون واثينا الجميلة المذبذبة وكورنثوس المدينة
التجارية الخطيرة وهي عاصمة بلاد اخائية وافسس الفخمة
الواقعة في اسيا ذات الهيكل والملعب الرائعين الشهيرين
وقف بولس في اثينا يقوم مهذبين والقي عليهم خطبة
تعد انفس خطبة في العالم . واجتمع في كورنثوس بمخيلط من
جميع امم المسكونة . وتكلم في المراكب الراسية في ميناء كنخريا
ذات الاشرعة الزاهية . واشترك في كورنثوس مع رجل
يدعى اكيلا في مزاوله صناعة الخيام وهي التي كان قدما
يحترفها ففرض ربحاً عاملاً فيها . ولو تسنى لك ان تستظل
بجنيحة من صنع اناطولي السمراء المكتنزة لامنت نفوذ المطر منها

أو عجز العواصف عن طرحها

كان يسوع المسيح يهيئ أفكاره لتعليم الشعب وهو
يراقب المحبوب في السنابل المتهدية والاطيار على اشجارها
الباسمة في حقولها والرياح التي تمس على الجبل كما نشاء فلا
نعلم من اين تأتي ولا الى اين تذهب ويتخذ من هذه المشاهدات
الطبيعية وسيلة لالقاء دروسه على سامعيه . اما بولس فكان
يتخذ امثلة من حياة المدن بدلاً من الطبيعة فكان وهو منهمك
في صنع الخيام منصرف الى تفصيلها وخياطتها وعند حياها
يفكر في ما يتحدث به الى الكورنثيين

يرى امامه خزانة مجمل الطين ويضعه في قوالب شتى
ويديره بالدولاب ويصنع منه الآنية المزخرفة التي تحفظ فيها
الزنايق الزهرة والطباق وما الى ذلك من الاوعية النافعة
فيقول للناس "انظروا كيف صنعنا الله . لقد خلق بعضنا
لعمل خاص وبعضنا لعمل عام . والمهم في ذلك كله ان
نتقن ما انتدبنا لعمله"

ثم راقب الالعاب الرياضية التي كانت تقام في ملاعب
برزخ كورنثوس فيرى المسابقين يصرون باسنانهم ويشدون
اطرافهم راكضين في حلبة السباق والهواء عابت بشعورهم .
فيقول للناس :

” ان توخي الظفر لا يكون الا بطرح كل ما ثقل
عليك والتدرب على عمالك تدريباً صحيحاً واكل الطعام
الملائم والركض وانت واثق من النجاح . ان هؤلاء المسابقين
يركضون وراء اكليل من الغار الذي لا بد له من الذبول
فكم نحتاج للوصول الى الهدف الذي هو يسوع المسيح فوزاً
بذلك الاكليل الخالد ” ثم يستأنف القول : ” انظروا الى
المصارع فهو لا يحرك ذراعيه حركة تذهب سدى . انا انهج
في مصارعتي نهجاً فاضرب ضربة عنيفة لا تخطئ الهدف
وانهال على جسدي بالصنع كي اكون سيده المطلق ”

فقطى بولس ردحاً طويلاً في كورنثوس جاداً طوراً
في عمل الخيام ومستأنفاً طوراً الارشاد . ثم تابع سفره عائداً

الى افسس عن طريق البحر وذهب منها الى قيصرية حيث
ترجل وانتهى اورشليم ماشياً على قدميه

٢

يجتري معظم من يضربون ويسجنون - كما حدث
لبولس - ببلوغ حد يقفون عنده قائلين "كفانا ما لقينا"
فيزهدون في العمل زعماً منهم انهم قاموا بكل ما يطلب
منهم وما في طوقهم . على ان بولس ذلك الرجل المتوقد
الايمان لم يكن ليكتفي بما لقي من احوال بل ظل منشوقاً الى
العمل متمالكاً عليه ولا يكون العمل منتجاً للخاطر ما لم تكن
الروح صادقة في نشوقها اليه

فضى بولس في بدء الامر ردهاً في تفقد احوال
اصدقائه القدماء منتقلاً من مدينة الى اخرى . ثم قصد الى
افسس الفخمة التي كان اجمل آثارها واعظمها نفاسة هيكل
من المرمر شيد لعبادة الالهة ديانا فاستخفته نزرة من الحمية
الى ارشاد اهلها فوقف بهم خطيباً ماثلاً الاسماع والقلوب

بناصع يسانه فانضم اليه عدد وفير استبدلوا عبادة ديانا
 بعبادة يسوع المسيح. وكان في المدينة فئة كبيرة تغتاش من
 صناعة الذخائر وفي تماثيل صغيرة يصنعونها من الفضة او
 الخنزف او المرمر يتهافت على ابتياعها عباد ديانا. فلما رأى
 احد الصياغ الذين يتاجرون بهذه الذخائر انضمام الناس
 الى بولس هاج سخطه وخشي على تجارته من الكساد. فراح
 محملاً ضده جماعة الصياغ فارتعدت اطرافهم وصاحوا :
 "عظيمة هي ديانا الالهة الافسسيين"

ثم اندفعوا من الحوانيت والمنازل مستمرين على الصباح
 حتى طبق صراخهم الجوى يشاطرهم في ذلك الكثيرون ممن
 لم يعرفوا ماذا جرى وحتى قبضوا على رجلين مسيحيين كانا
 ممن يرافقون بولس في جولاته وجروهما الى ملعب رحب
 مكشوف فودَّ بولس ان يقف في الجمع خطيباً اغنياً لهذه
 السانحة النادرة التي احشدت فيها الالف المؤلفة بيد ان
 اصدقاءه صرفوه عن عزمه ثقة منهم بانه لن يجزى بغير القتل

وبلغ الخبر مسامع الحكام فحضر الى الملعب مستشار
 المدينة فارتنى المنبر رافعاً يده اشارة الى وجوب الصمت
 بعد ان استمر القوم على الصراخ ساعتين فهذاوا ليمكنوا من
 سماع ما سيقول فجعل يعنفهم بصراحة على ما فعلوا ويشبههم
 بالرعاة الذين لا يعرفون للنظام معنى وانه كان اولي بهم اذا
 كان احد المسيحيين قد ارتكب جرماً ان يأتوا به الى منصة
 القضاء . لم يسمع الناس تعنيفه حتى تفرقوا عائدین الى منازلهم
 شاعرین بغفلتهم

ثم سافر بولس الى مكيدونيا فبلاد اليونان ف قضى الشتاء
 متنقلاً في مدائنهما ثم ركب البحر وعاد الى اورشليم فراراً من
 تواطؤ اليهود على قتله . فوقف في مليتس فصادف بعض
 تلاميذه فحرضهم على العمل ونبذ الخمول مذكراً اياهم بانه
 يعتاش من عمل يديه وان عليهم ان يأخذوا اخذهم وان
 يكونوا لمن كان اضعف منهم عوناً وان يذكروا قول المسيح
 "العطاء خير من الاخذ" فلما ودعوه وهم فئة من اشداء

الرجال تراموا على عنقه اشدّة تعلقم به وانهمالوا عليه بالنقييل
متلهفين مكتشبين اكتساباً لا يسبر غوره لقوله لهم "انه لن
يرى وجوههم فيما بعد"

وما عثموا ان قطعوا علائقهم بوطنهم وركبوا البحر وتبعوه
الى قيصرية حيث انذر الاصدقاء بولس ان انقوم في
اورشليم يتامرون عليه وانهم هياؤا الاسباب لغله بالاصفاد
وطرحه في السجن . فأبى بولس الاذعان الى نصيحتهم وظل
راغباً في الذهاب الى اورشليم قائلاً :

"لا اجتزئ في سبيل خدمة الرب يسوع بالقيود
والسجن بل انا راض بالموت اكراماً له"

فكفوا عن الخافهم وحزموا صرهم وشدوها الى ظهور
المطايما وساروا الى اورشليم عن طريق الآكام

لم تزد اقامة بولس هناك عن اسبوع حتى لحقه بعض
من عرفته من اليهود في مدائن اسيا الصغرى وشرعوا باثارة نفمة
سكان اورشليم عليه حباً بقتله لما قتل من اجله استيفانوس

متخذين قوله " ان يسوع ابن الله وقد ارسله لخلاص
بقية الامم اسوة باليهود " حجة على قتله . ثم اخذ بعضهم
بهذب ثوبه وصاح " يا للنجدة ، يا للنجدة هلم اقبضوا على هذا
الرجل الذي جاب الافطار مهيجاً الناس على معاداة اليهود
ونقوبض الهيكل والشرعة "

فترا كض النجوم ونجمهروا على بولس وجروه الى الهيكل
وفيما هم يهيمون بقتله اسرع قائد الحامية الرومانية واسمه ليسياس
وقسم من جنوده جهدهم فاجس الشعب خوفاً وانقطعوا
عن ضرب بولس فالتى القائد الروماني القبض عليه وغلته
بقيدين وسأل القوم " اي ذنب اقترف ؟ "

فتعالى الصراخ حاملاً افتراءات اولئك اليهود النافرين
المختلفة فلم يتضح للقائد منها شيء . وبينما هم يرتقون سلام الشككة
خاطب بولس القائد الروماني باليونانية . فسأله : " انت شكك
اليونانية ! انت الثائر المصري الذي قاد اربعة آلاف من
القتلة سفاحي الدماء الى الصحراء ! " فاجابة بولس بانفة :

”كلأ ما انا المصري الثائر انا عبراني ولدت في مدينة
يونانية . فهل تأذن لي في مخاطبة الشعب ؟“

فاباح له القائد ان يتكلم فرفع يده اشارة الى وجوب
الصمت . وكان في ملاحظه ما يدل على سيطرة نيجاني عن
مواطن الذل وفي عينيه من رباطة الجأش وصدق الرجولة
شواهد ناصعة اضطرت معها العامة الى التزام الهدوء لحظة
بدأ بالكلام وفيما هم منصتون جعل بولس يروي لهم حوادث
نشأته وتشربه المبادئ اليهودية وحوادث اضطهاد
المسيحيين وهدره دماءهم الى ان وصف لهم ظهور المسيح له يوم
سار في طريقه الى دمشق بصورة نور يبهز البصر وتعهده
له ان يخدمه ما امد الله في اجله غير ان مفاجأته لم بقوله
ان الله امره ان ينبذ اليهود العاتين وان يحب الاقطار
البعيدة لارشاد الامم الغريبة اورى زناد غضبهم ثانية واخرجهم
من اهاهم لزعيم ان اليهود شعب الله الخاص وان الله لا ينقي
لغيرهم من الشعوب . فصرخوا حقاً وهم يلوحون اثماتهم

ويذرون التراب في الهواء: "أجهزوا على هذا الرجل"
 فاعمل الضابط الفكرة فرأى أن جلد بولس خير وسيلة
 يتوخاها إلى معرفة جرمه فلم يكده مساعدة يفرغ من ربط
 بولس بالحزام وبهم بضربه حتى اتقى عليه بولس وهو مطمئن
 وادع هذا السؤال: "أيسمح لك الشرع بجلد رجل روماني
 ودون محاكمة أيضاً؟" فاضطرب الروماني وراح مطالعاً
 لسياس على أمره

فقال: "لقد كلفني التبعة الرومانية قدراً فاحشاً من
 المال"

فاجابة بولس: "أما أنا فقد ولدت رومانياً"

وفي اليوم التالي جيء به إلى مجلس اليهود الأعلى فامر
 رئيس الكهنة من حوله من الرجال أن يصفعوا بولس على
 فمه. فانبرى بولس بحبيبه على ذلك بكلام مهين فقيل له
 كيف تهين رئيس الكهنة. فاعنذر إليه بولس وأظهر له ندمته
 على ما فاه به دون أن يشير إلى أن رئيس الكهنة هو البادى

طال جدل القضاة في ما فاه به بولس . فلم ير الضابط
 الروماني سوى ارجاعه الى الشكنة . ثم راح الفتى ابن شقيقة
 بولس يطلب مقابلة لسياس فاطلعه على المؤامرة التي دبرها
 اربعون رجلاً للبطش ببولس وتعهدوا الا يذوقوا طعاماً قبل
 ان يفتكوا به . فامر لسياس ان يذهب سبعون جندياً باسلاً
 يصحبهم مثاخيال ويخرجوا ببولس في الساعة التاسعة ليلاً
 متجهين طريق الساحل لحراسه وتسليمه الى فيلكس حاكم
 قيصرية فلما توارت الشمس وارخى الظلام سدوله وساد
 السكون هبت الجنود الرومانية للرجل فاسمع بولس
 وهو يمتطي ظهر مطينه صليل اسلحتهم حتى ايقن انه لن يرى
 اورشليم فيما بعد

ولما لم يقدر فيلكس الحاكم الروماني ان يقرّ على بولس
 حكماً ولم يثبت له في استنطاقه الوزر الذي اتهم به . تركه
 في سجنه تربصاً في امره وتشاغل عنه سنتين . ثم تولى فيستس
 منصب الحاكمية خلفاً لفيلكس فخير بولس في الذهاب الى

اورشليم لتجري محاكمته هناك فأبى قائلاً : "لم اقترب جرماً
يستطيع اليهود مواخذتي عليه واودن ان ارفع امري الى قيصر
— امبراطور رومية"

وحدث في تلك الاونة ان الملك اغريبا قدم لزيارة
فيستس ورغب اليه ان يجمعه بيولس حياً بروثيه وسماع
يانه . فوعده ان يجمعه به في الغد

هكذا تم لبولس ان يجمع بالملك اغريبا ويحمله
خبره . فقال اغريبا : "لم يأت هذا الرجل امراً اذن ولو
انه لم يرفع دعواه الى قيصر لوجب اطلاق سراحه"

ثم نقل بولس الى رومية مخفوراً واركب سفينة فاصدة
اليها بصحبة صديقه المحببان لوقا الطبيب المحب
واسترخوس المكدونى . فسارت السفينة في مجراها سيراً بطيئاً
لرداءة الطقس الخريفى حتى بلغت مكاناً يدعى "الموانى"
الحسنة " فنصح بولس للقبطان بالرسو في الميناء خوفاً من
عواصف الشتاء . فأبى الاذعان اليه اذ شعر بنسيم عليل

جهب من ناحية الجنوب فأمر أن ترفع المرساة ويستأنف
السير محاذة الشاطئ فجرت السفينة نحو جزيرة كريت

وفياهم كذلك هبت عاصفة هائلة هوت من جبال
الجزيرة بغثة فاربد الجو وتلبدت الغيوم من ناحية الشمال
الشرقي. فلم يكن للمركب من التضعع مناص. فاداروا
الدفة الى ناحية جزيرة صغيرة قائمة بالقرب من مغاريق
سيرتس فاشتد هياج الانواء حتى اضطروا الى طرح ما وُسق
به المركب من البضاعة في البحر. وقضوا اياماً ما رأوا فيها
شمساً طالعة ولا نجماً يتخلل الغيوم ولا انقطعت الرياح عن
الولولة بين حبال السفينة ولا فتر المركب في التهادي
والدوران. وفي احدى الليالي سمعوا صوتاً مبهماً عند انتصاف
الليل يشبه صوت اصطدام الامواج بشاطئ لم يكونوا بعد
قد تبينوه. فأمر القبطان النوتيي أن يقيسوا عمق البحر

فصاح النوتي وهو يفعل: "أن غور المياه هنا يبلغ
عشرين قامة". وبعد دقيقة عاد فقال: "أن غورها هنا

خمس عشرة قامة .

فبادروا الى طرح المراسي الاربع من الكوئل (مؤخر السفينة) ولولم يسرعوا بذلك لاصطدم المركب بعد لحظات قليلة بالصخور

نصح بولس للرجال الا يتعدوا بقواربهم قبل ان يتناولوا الغذاء لمباشرة العمل حال طلوع النهار . من الغريب ان يكون السجين هنا هو الامر الناصح . وقد فعل ذلك لانه الرجل الوحيد الذي لم يساوره خوف لصعوبة مراسه وعظم حكمته

وعند الفجر اشتد الزهير وهطلت الامطار مدراراً فوقف البحارة على مقدم السفينة تشوقاً الى الشاطئ ومحيطين عيونهم با كفهم الى ان قال احدهم : " ارى بين الصخور شاطئاً رملياً "

فرفعوا المراسي وبسطوا الشراع الامامي واداروا الدفة الى ناحية الشاطئ المذكور . فاذا المركب يصطدم بالبر

عند ملتقى البحر بالامواج المزبدة وبالاقواس تقف عن
الحركة لان الامواج الهائلة رضت مؤخر المركب فخطمتها
تخطيطاً ففزع من يقوى على السباحة منهم وتمسك الباقون
بالواح وارماث صغيرة قذفت بهم الى الشاطئ *

ولما رآهم اهل الجزيرة اقبلوا الى نجدتهم واشعلوا ناراً
تجفيفاً لاثوابهم وتخفيفاً لوطأة البرد الفارس وراح بولس
يساعدهم على جمع العبدان للوقود . وفيما هو على تلك الحال
اذا بافعى سامية خرجت من النار ونشبت في يد بولس
فنفضها فظن ان قوم انه ولا شك قاتل ابنت العدالة ان
يمرح في ظلال الحياة . وتوقعوا سقوطه جنة لا حراك بها
وحين لم تسفر الدلائل عن صحة ما دار في خلدكم انقلبت
افكارهم عنه وثبت عندهم انه اله

قضى الركب في تلك الجزيرة ثلاثة اشهر ثم اقلعوا
وفيم بولس على ظهر مركب آخر يدعى كاستور وبولكس
فبلغوا رومية اخيراً عليه . فشرع بولس بمنظرة اليهود



واذا بافعى سامه خرجت ونشبت في يد بولس
A POISONOUS SNAKE CALLED A VIPER BIT HIM.

رسالة في بيان حقائق الدين والادب

الرومانيين وهو بروي لم سيرة يسوع المسيح . وكان يقيم في منزل مغلولاً بالقيود مخفوراً كأنه سجين وكان خفيته جندياً رومانياً بصحبة ايان ذهب . اما ماذا جرى له بعد ذلك فقد ظل غامضاً ولم يدرك احد من امره فيما اذا كان قد حوكم ام اطلق سراحه ام رُج في السجن ام ذبح وكل ما نستطيع قوله انه كان لا يأبه لغير امر واحد وهو ان يحب الناس حباً مما يه الى اوج بضاي في ارتفاعه طريق الحجاج الابطال وانه ايلي في جهاده البلاء الحسن دون ان تخالجه ادنى وهلة واليك ما نطالعه في مقدمة رسائله :

”من اليهود خمس مرات قبلت اربعين جلدة الأ واحدة . ثلاث مرات ضربت بالعصي . مرة رُجمت . ثلاث مرات انكسرت في السفينة . ليلاً ونهاراً قضيت في العمق . باسفار مراراً كثيرة . باخطار سيول . باخطار لصوص . باخطار من جنسي . باخطار من الامم . باخطار في المدينة . باخطار في البرية . باخطار في البحر . باخطار

من اخوة كذبة . في تعب وكد . في اسهار مراراً كثيرة .
 في جوع وعطش . في اصوام مراراً كثيرة . في برد وعري
 ان لبوس الباسل حقاً ان يقول :
 ”جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعي حفظت
 الايمان“



امجد الانتصارات

”لقد امضى فرسانى عهداً ألا يجبهوا عما يستدعي اشد الاقدام،
واعظم ما يدعو الى الرفق والحنان
وان يخفروا للحب ذمامه، ويصرفوا جهدهم فيه
وان يراعوا لحرمة الطاعة النصوى للملك عهداً“

تنبسون

تولى غودفري دي بوبون، بطل الحرب الصليبية الأولى، منصب
الحكم في اورشليم عقب الاستيلاء عليها. ثم عرض عليه ان ينصب عليها
ملكاً، فأبى قائلاً: "لن ارضى ان البس تاجاً ذهبياً، حيث توج ملك
العالم وبطلة بالكيل من الشوك"

رأيت في الوسط تماماً صليباً قد علق عليه رجل. فهدرت من
شفتي لفظه في همس كن يخاطب ذاته "انه يسوع"
ولما ألقت عني ذلك الوهج الباهر، تبينت المكان فاذا هو غير
خالٍ، واذا هو ينص من فوق، وترأت لي جدراناً تنفتح متراجعة،
وقبعت تناطح السحاب، وباحت الروحية مكتظة بالواردين. فرحت اتين
وجوهم رويداً رويداً فلحمت بينهم الاب دميان الذي وقف حياناً
على معالجة البرص في مولوكي، وجيسس نشالمرز الذي ضحى حيانه لارشاد
سكان غينها الجديدة المتوحشين، وحشدًا ظاهراً لا يحصى له عد من ابطال
الصليب. ثم مرت بصمي نعمة صاعدة من فناء تلك البناية الشاهقة،
يتراعى لسماعها ان كلاً من الابطال يشترك في ترجيع الفرار نفوس، الذي
ملاً فضاء المكان، الى ان سمعت اخيراً هذه الكلمات،
"كل ما حوت القصة المقدسة من البهاء"
"تجمع حول رأس المجد"

انفتحت عصابة من الغلمان على الاجتماع عند نبع منبجر
 في قرية شرقية . فالتوجت اشعة شمس الصباح الاولى ساطعة
 على الاكواخ البيضاء حتى اخذ الرجال والنساء ينسلون منها
 بعض يحمل صرراً وبعض يقود حمراً . تتقدمهم زمرة من
 الشباب الاشداء ناشرين راية امرهم الحاخام المسن حملها
 فالتفت الغلمان حول حملة العلم متاهبين لمسير ثمانين ميلاً .
 الى ان أعطيت الاشارة للقافلة بالتوقف

كان بين اولئك الغلمان ولد من اصغرهم سنّاً لا يزيد
 عمره عن الثانية العشرة اسمهُ يسوع وهو ابن لأمّ تدعى
 مريم كانت راكبة حماراً وزوجها يوسف سائراً محاذاتها .
 فجعل الغلام يسوع طوراً يطفر مع بعض اترابه وطوراً
 يتساقط واياهم الحديث في ما يستوقف انظارهم من مشاهد
 الطريق بينما كانت قافلة الحجاج تنسلق الهمر المتعرج القائم على

تلال الناصرة الى ان هبطت الى مرج ابن عامر
 فالت احد الغلمان انظار زملائه الى خط مرتفع من
 الغبار . فقال لهم الحاخام المسن الذي مر بهذه الطريق
 خمسين مرة : ان ذلك الخط اثر قافلة آتية من اطراف اسيا
 واليونان لشهود العيد وسنرونها حال وصولكم

وما زالوا يدرجون مقربين شيئاً فشيئاً من الطريق
 القديمة وهي اعرض من الاولى نبع بالمارة عجيجاً وهم قوم غرباء
 الاشكال جاءوا من مختلف الامصار معظمهم عبرانيون
 وكلهم قاصد الى اورشليم حتى راي الغلمان جمالاً ملتحاة بدت
 عليها علائم الوفي والصبر تسير الخيلاء بخطى لا وقع لها ورعاة
 فتیاناً غفلوا عن قطعانهم للتفرج على الموكب المتعدد الاشكال
 وفيما القافلة مارة اذا ببعض الذين وقفوا على جانب
 الطريق يشاهدونها مدّوا السنتهم استهزاء بها وبصنوا على
 الارض فلم يكن من بعض كبار فتیان القافلة الذين يرجي من
 امثالهم ان يكونوا راجحي العقول الا ان قابلوهم بمثل علمهم من

الجزء والتخدير وصاحوا في وجوههم يقولون "تباً لكم معشر
اسمرة الكلاب"

ولما مالت الشمس الى الغروب كان كل من في ذلك
الموكب يسير الهويناء باقدام وانية الا الغلمان الذين ما برحوا
نائقين لانتقاط ثمر الزيتون الجاف المتساقط على الارض
وجمع عيدان الارز واغصانه ليجعلوها وقوداً للنار التي اضرها
يوسف . ولكنهم ما عنفوا حال تناولهم الثمار الجافة وهم جلوس
حول النار المضطربة حتى مالت رؤوسهم من ثقله النعاس
فاوت مريم وسائر النساء الى خيام خالية من اسباب الرفاهية
مصنوعة من الاغصان بينما كان الغلمان يتباهون بنومهم تحت
قبة الجلد . ولم يفرغوا من تلاوة صلواتهم ويتفرسوا في الهلال
الجديد الساج بين النجوم لحظات معدودات حتى سكنت
منهم الحواس

ظلت قافلة حجاج الناصرة سائرة في طريقها الى المدينة
الجنوبية يومين بطولها بعد ان رقدت ليلتهما في الخلاء . وفي

اليوم الثالث ما انتهت من تسلق احدى الاكام باقدام متخاذلة
حتى تجلت للمسافرين صورة المدينة العظمى نفسها بسورها
القديم وحصونها الرومانية - وعلى رأس الاكمة - الهيكل
المنشود بوشيه الذهبي الوهاج ومرمره الناصع

وبالرغم ما نال الالم من اقدمهم استمروا على التقدم
في المدينة متألمين على مدخل الهيكل لتقديم ما شاءوا من
الضحايا الاختيارية الى ان انسحبوا بهدوء وقصدوا العلية التي
يتناولون فيها العشاء المؤلف من حمل ذبيح رمزاً الى انك
لا تقدر على تخلص حياة الا اذا دفعت مقابلها ثمن حياة
اخرى ومن اعشاب مرة اشارة الى المشاق التي عاناها اسلافهم
في زمن استعبادهم المصريين قديماً ومن تابل مؤلف من ثمر
جاف وخل يفرغونها في آنية خزفية تذكراً للخزف الذي
كان اجدادهم يشتغلون في صنعه ايام كانوا عبيداً يصنعون
الاجر في مصر

كان هنالك في ايام العيد المشهودة الوف من المشاهد

التي تلفت انظار الغلمان والوف من الاصوات التي تسري
اسماعهم فمن دكان مكتظة بمختلف الالوان طافحة من باعة
وشارين يتساومون على شرائها ومن حجاج جدد يتوافدون
على المدينة ومن كهنة يتردون بفاخر الحلال ومن جنود
رومانيين يتقلدون اسلحة نحاسية براق وقد انتفخت اوداجهم
بعلائم الكبر والزهو ومن شرفة رحبة يجلس عليها الكتبة
ذوو اللحي الطويلة البيضاء لاجابة كل من يرغب في سؤالهم
او محاورتهم. كان هؤلاء اقوى على جذب نظر يسوع من
سواهم فجعل يطرح عليهم اسئلة عدة بهتوا من فهم اياها على
حدائث سنه. وما زال على هذا النحو لاهيا عن فوات الوقت
مترددا من وقت الى آخر على الكتبة استنباطا لحقيقة جديدة
يكشفون له عنها حتى رأى امه صاعدة على سلم الهيكل وعلى
ميامها امارات الوجل واللهفة فقالت له :

”لماذا فعلت معنا هكذا يا بني“. هوذا ابوك وانا كنا نطلبك
معدّين“

فلم يتأخر يسوع عن العودة مع والديه لحظة . ولكنه لما كان قد فاز في ذلك الحين بمعرفة نوع العمل الذي هو فرض على كل غلام ان يعمل عاجلاً او اجلاً قال لاهو بلهجة تفرق فيها العذوبة

”الم تعلمي انه ينبغي ان اقيم في منزل ابي“

ان الصوت الذي اصغى اليه في المستقبل كان ابداً صوت ابنا الذي في السموات

٢

كان قد انقضى على هذا الحادث ثمانية عشر عاماً يوم خرج يسوع بصحبة خمسة صبادين اصغر منه سناً سائرين ازواجاً في طريق ضيقة ينتهي اليها السائر بعد اجيازهم مصب نهر مقدس في بحر عميق مائج . فجعلوا وهم يتساقطون الحديث او يهمهمون احدي اغانيهم الوطنية يتهادون في مشيتهم وما زالوا متوغلين في الابتعاد عن النهر الى ان عطفوا

الى الجهة اليمنى وصعدوا الاكام الكنسية التي خددت المياه
فيها مجاريها

كانت هذه الزمرة من الرجال الاشداء الى لاحت
الشمس وجوههم وصلب شد حبال السفينة وجذب الشباك
ايديهم الا ذلك الشاب الذي كان العامل على نصلب
يديه استعمال المنشار والمسحاج والنفاس

كانت تلك الصداقة التي تربط احدهم بالآخر سبباً
لهنائهم واغنياطهم ولما اعيانهم المسير افترشوا العشب متفثين
ظلال زيتونة طلباً للراحة واصفاء لرفيقهم الخطير . في هذه
المرة ايضاً كانوا ذاهبين لشهود العيد الذي ما برحوا منذ
حنائهم يذهبون لشهوده مرة في العام . لقد ترك احدهم
معل النجارة كما هجر الباقون سفنهم وشباكهم ليشاطروا الامة
شكرها لله على تحريره اسلافها وانساها من شر الاستعباد
للمصريين

لم يكن قد مضى على مفارقة الصيادين الشباب عملهم

في سفنهم في صيد السمك وإصلاح الشباك على مياه البحيرة
 المشمسة الأردح قصير. هي حرفة ورثوها عن آبائهم وأجدادهم
 وتوقعوا أن يورثوها لابنائهم وأحفادهم من بعدهم غير أن
 التقاءهم بهذا الشاب - يسوع - غير الأشياء كلها

يرجع عهد معرفتهم به إلى ذلك اليوم الذي هبطوا فيه
 وادي الأردن بدافع من الشوق إلى رؤية ذلك النبي النائر
 المتحمس المدعو يوحنا. كان هذا الرجل الأشعث النائم في
 البراري والنفار المتري بوبر الجمل من ثارت ثائرة غضبه
 العنيفة على الحاكم المتكبر والفريسي المتعلم قد أشار إلى رجل
 بين الجمهور المجمع حوله وقال بلهجة يمازجها التهيب والرقّة
 لم يكن سامعوه قد الفوا منه مثلها قبلاً "هوذا حمل الله"

فالتفت الناس آملين أن يروا أميراً رافلاً بالحلل
 الفاخرة آتياً تحريرهم من حكمهم الطغاة فبهتوا لما لم يروا سوى
 فجار الناصرة المحقرة المنتشح بملابس دالة على فقره على ما
 يشف عنه وجهه من دلائل الشم فدهشوا

ذلك بدء معرفة اندراوس وسمعان ويوحنا ويعقوب
وفيلبس يسوع . وقد كلفوا به جد الكلف واجلوا شأنه
اجالهم لبطل يوم جاءهم وهم منهمكون في العمل بسفنهم في جنة
الامراء اي مزرعة بيت صيدا الصغيرة المجاورة كفرناحوم
ولم تنقص زيارته لهم من قدره في عيونهم فقال لهم ببساطة :
”اتبعوني“

كانت مرافقتهم له عندهم ذلك الحين اشهى رغباتهم
فما كادوا يسمعون قوله حتى اعادوا سفنهم الى الشاطئ وعلقوا
شبائهم واقفنوا اثره منسلفين تلك الآكام حتى اذا كلت
اقدامهم جلسوا على العشب للاستراحة مصفين الى كلماته
العذبة بينا هو جالس على صخرة تحت القبة الزرقاء
وكانوا اذا ما ارخى الظلام جنبه رقدوا بجانب النار تحت
الجلد المكشوف متربطين في السير الى ان تلوح لهم تباشير
الصبح ساطعة على الجبال حيث كان يسوع يصرف الليل
جائياً مائلاً في حضرة ابيه

كان هؤلاء الرجال اليوم اشد فقراً منهم قبلاً . على
 ان نفوسهم كانت تفيض غبطة وقناعة وهناء . ” للثعالب
 اوجرة ولاطيار السماء او كارب و لكن ليس لابن الانسان ما
 يسند اليه راسه غير الحجر . ” على ان طرب اولئك الرجال
 المجاهدين في خدمته بتلك الفجعات وما تخللها من رقاد هنيء
 وتوسد هم سفع الائمة نفسها التي كان يسوع يتوسدها فاق عندهم
 هناء الرقاد في قصور الملوك والقيصرة

سار الشاب ومن حوله رفاقة الراشدون وهو على ثقة
 انه منذ ثمانية عشر عاماً ذلك العهد الذي سمع فيه صوت
 ابيه في أبهاء الهيكل التي كانوا الآن يوسعون الخطى للوصول
 اليها — لم يعص لايه امرأ . لقد قضى تلك السنوات الواقعة
 بين زيارته الصبانية الاولى لاورشليم وبين هذه المرة التي
 يقصد فيها الى اورشليم لا يخالف لايه وصية

” ... ولا يحجم عما يستدعي اقصى الاقدام واعظم ما يدعو
 ” الى الرفق والحنان خافراً للحب ذمانة صارفاً مجهوده فيو
 ” حافظاً لحرمة الطاعة التصوى عهدا ”

لقد قام نجار الناصرة باعمال تعود فائدتها للعموم
 جهاداً في سبيل الله سواء اكان بين ركاب الاخشاب ام
 بين انيار الثيران ام بين مقابض المحاريث

يبلغ ورفاقه الآن المدينة فلا يدنو من الهيكل حتى
 يشعر بتقلص يديه وتلهب عينيه لسماعه رنين النقود ورؤيته
 قطعان الماشية تنغو في بيت ابيه . كان اليهود جاءوا من
 كل اطراف المسكونة لشهود العيد . منهم من جاء من
 مدائن اسيا ومنهم من جاء من قطر اليونان النائي ومنهم
 من جاء من افسس او كورنثوس او فيلي و في اجرتهم
 مختلف اشكال النقد . فلم يكن رنين الذهب والفضة الذي
 سمعه يسوع الا صوت النقود التي كان الغرباء يستبدلونها
 بغيرها من الصيارفة اليهود الا الى كانوا يصخبون ويهددون
 اولئك الفقراء ارغاماً لهم على حسم الربح الطامعين به

كان يسوع قد مرَّ بسمعه وهو يصعد الى المدينة ما
 افاض بعض القرويين في طريقهم الى اورشليم في حديث

التفتير على انفسهم طوال العام ليتسنى لهم شراء حمل او
 حمامة يقدمونها ضحية للهيكل تكفيراً عن خطاياهم التي
 لا يمحوها الا دمها حسب زعمهم. وكان يعلم ان خدام اولئك
 الكهنة الكريهين الخبيثاء الا الى يتاجرون بهذه الحيوانات
 قد تعاهدوا على ان لا يبيعوهم الحمامة التي لم يتقاضهم بآتيها
 ما يزيد عن مليم واحد الا بنصف جنيه. وكانوا يلجأون
 في ارغامهم على شرائها بهذا الثمن الفاحش الى التخويف
 قائلين لهم: "ان لم تشتروا حماماً لم تغفر لكم ذنوبكم" فهم
 ولئن كانوا تجاراً ولا ينقلون دراهم احد فقد فافت دناءتهم
 سفالة اللصوص لابتزازهم دراهم الصيادين والتجارين والرعاة
 والحارثين المجنعة بالتفتير المكتسبة بعرق الجبين

ذلك ما اوغر صدر النبي التجار الفتي - يسوع - لدن
 بلوغه الهيكل وسماعه خوار الثيران وثغاء الاغنام وهديل
 الحمام المتواثب في سلاله المقفصة وجلالاً وذعراً وصراخ الباعة
 الصاخبين المفرطين في الجدل والمساومة والحقق. يفعلون في

بيت ابيه الذي فيه سمع صوته حين كان لا يبرح غلاماً ،
والذي فيه اذعن الى مشيئته السماوية ، ولا يغلي جوفه ويحيش
غيطه غضباً . بدلاً نعوده من الرقة على الباعة المشاغبين
وقد علت اصواتهم على اصوات الاطفال الذين كانوا
يسبحون الله في الهيكل وعلى همسات الضارعين والصلوات
الخافتة التي لم يعد في طوق احد ان ينفهمها لشدة الجلبة
والضوضاء ؟

فما كان منه الا ان راح متناولاً قضيباً من نبات
الحلفاء وجده ملقى على الارض متخذاً منه سوطاً طرد به
قطعان الماشية وباعثها خارجاً وقلب موائد الصيارفة وصاح
بباعة الحمام :

” ان بيت ابي بيت صلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة
لصوص “

....

لماذا هرب اولئك الباعة المشاغبون انضماماً ؟ لماذا

هرب أولئك التجار الأغنياء الصاخبون من وجه الشاب
 النائر الحامل بضعة قضبان مضطربين مذعورين ؟

ذلك لسببين أولهما انهم ادركوا فظاعة خطيئهم وثانيهما
 وهو الأهم انهم انسلوا به شجاعة لا تعرف للرعبة معنى . وشعروا
 بما تشف عنه ملاحته من الشتم الباهر المضاهي شتم الفارس المجلي
 فوقفوا امامه خجولين وخذلوا امام تلك السيطرة الحكيمة
 الوقورة وقد اشعرتهم نفوسهم انه احد الذين لا يخالفون لابيهم
 امرأ ، من في قبضته السلطان المطلق على هذا العالم الواسع

٢

فحدث الصيادون انفسهم : ” ياله من زعيم قدير ما
 اسعدنا به حظاً “

ثم طفقوا يتساءلون : ” أترأه يأمرنا بانتضاء السيوف
 ويقودنا واهل القرى والبلدان لمحاربة الرومانيين الطغاة ؟
 امرانا نقوى يوماً ان نقلده الملك فيغدو اعظم الملوك شأنًا
 لما تجلّى به من خلال باهرة تعادل فيها رحمته وعظمت شدة

بأسو وعدله؟

لكم من اعلاء شفى على حين لم يكن في امكان احد ان
يشفيهم؟

خرج اولئك التلاميذ مع يسوع ف تجاوزوا قرى الجليل
الحجرية البيضاء فصدا الى السامرة حيث شفى غلاما مصابا
بالصرع وبعث ابن ارملة وحيدا لها حيا

ثم استاقم الى اماكن لا عهد لهم بها من قبل واصعدهم
على تلال تهب عليها ريح البحر المسالحة واتزلهم الى الاودية
الصغيرة الظليلة الاقياء المتدفقة امواها الى النهر واخرجهم
الى الميناء الغاصة بالمراكب الملتفة الاشرعة المتهادية
الساريات حيث يجتمع خليط من المصريين السمر
الضامرين والنوبيين السود واليونانيين الخفاف الالباء
والجنود الرومانيين الغلاظ

كانت مرافقة يسوع تعني الانتقال من خطر الى آخر
ينرصدهم في كل ناحية يجوزونها في الذهاب والاياب طيلة

مدة تجوالهم في ذلك الفطر الواسع جنوباً وشمالاً
 لقد كان يسوع في حاجة الى اعوان بعضدونه على عمله
 فمن تراه يخنار؟

لهذا اعتزل رفقاءه وقصد احدى الاكام للانفراد بنفسه
 والانقطاع في تلك السكينة الموحشة فمشى على ضفة غدير
 خرار يهوي الى الوادي حتى استقر به المقام عند ذروة
 شاهقة اتخذ صخرتها لنفسه مقعلاً وجعل يجمل طرفه في تلك
 الضواحي المتألقة بضياء القمر ثم صلى لايه طالباً اليه ان يمنحه
 عونته على اخبار انصاره محيياً ليلته بطولها الى ان تبين من
 يصلح لمعاضدته على تلك المهمة فكان بين الذين لم يربّ بدأ
 من انتخابهم سمعان - الصخرة - ذلك الرجل الجريء المشهور
 وشقيقه اندراوس وهو الرجل الحازم الذي يركن اليه وهو
 ادنى مهوراً واعظم دعة من اخيه سمعان وابنا زبدي يعقوب
 ويوحنا اللذان لقبا بالمرعدين لشدة تضرور حماستهما ابداً
 وهما من انتقدت فيها المحبة مرة فحاولا استئزال النار على

احدي المدن المفسودة وفيلبس اول اصدقاء واتباع يسوع
وسبعة آخرون

خرج يسوع ذات يوم بصحبة انصاره الفقراء الممتازون
الاشداء المنتخبون من سكان القرى السذج المحييين الى حيث
وقف جمهور غفير جاء من كل اطراف البلاد فنظر الى
الاثني عشر وقال -

”طوبى للفقراء لانهم سيرثون ملكوت الله طوبى
للجائعين لانهم سيشبعون طوبى للحرزاني لانهم سيفرحون . افرحوا
وتهللوا اذا ابغضكم الناس وقالوا عنكم كل كلمة شريرة لانهم
يمثل هذا عالموا الانبياء من قبلكم . احبوا اعداءكم . اغفروا
لمن يسيء اليكم .“

لم يكن اتباع يسوع والعمل بتعاليمه من الامور اليسيرة .
انها لتعاليم اوقفت حتى التلاميذ الاشداء حيارى مشدوهين
ثم دعا يسوع سبعين رجلاً آخرين من انصاره وطلب
اليهم ان يتجولوا في البلاد جولة الكشافين تبشيراً بملكوته .

كان اولئك السبعون الذين انتقام متصفين ولا شك
بشمائل الحجاج الفرسان فقراً وشجاعة . فخرجوا للجهاد غير
متقلدين سلاحاً ولا حاملين زاداً ولا خبزاً ولا حقيباً
ولا مالا بل محندين الاخفاف بدلاً من الاحذية وقانعين
بشوب واحد ابى يسوع عليهم ان يفتنوا غيره لئلا تعوقهم
الصرر الكثيرة عن سرعة الجولان فيبطشوا على وفرة المهام .
لا سيما ان للعامل حقاً ان يتناول الطعام اجرة له . وقد
اوصاهم في ما اوصى الا يتجولوا كمستعطين وان يجيئوا القرى
بهيشة من سيسدي اليها نعمة ولا يخافوا تهديداً ولا يفتنوا
عن الكلام اذا اعترضهم احد اصحاب الشأن ولو هددهم
بالقتل . فخرجوا مؤثرين الموت في سبيل الملكوت على ان
يظهروا جبناً او عنواً

لقد دعا يسوع اولئك الشباب الى —

“... عدم الاحجام عما يمتدعي اشد واعظم ما يدعوا الى
“الرفق والحنان وان يخشعوا للحب ذمامة وبصرفوا جهدهم
“وان يحنظوا الحرية الطاعة النصوى عهدما”

لقد دعاهم الى النزال مستغزاً في صدورهم كل جانحة
تخفق فيها للبسالة ففارت فورهم وخفوا الى ميادين الجهاد
مليين دعوتهم عاقدين العزم على التهج طبق تعاليمه بلوغاً الى
الوج الذي جعله لهم هدفاً . على ان كل ما في حمل نير الملك
اشجار من المكارة والاعنات غلبا لنا ميسوراً برفعه احد
طرفي النير على منكبيه ومساهمته اصدقائه حمل ذلك العبء
في خلال تلك الرفقة اللذيذة وممارسته كل ما كان
يوصيه به

تفرق كل زوج منهم في ناحية واوغلوا في القفار
والبلاد النائية . فوقفوا في شوارع المدن الآهلة بعلين الناس
ويشفون المرضى ادراكاً للغاية المحيطة

....

في ذات يوم جلس يسوع يتحدث الى جماعة . فاقبلت
عليه زمرة من الجنود الرومانيين الى اشهرها بالغلظة
والشدة ومارسوا طيلة ما مضى من حياتهم اطاعة الاوامر

وافتحام كل وعر في سبيلها . جاءت جنود هذه الزمرة وكلها
 شاك السلاح اللامع الرنان لالقاء القبض عليه تنفيذًا للأوامر
 المعطاة لها من محكمة العدل . فلما دنت منه اخذها العجب
 من مظهره البسيط وترديه بمالبس خشنة ما يلبسه القرويون
 وكانت فئة اعدائه اشباب العمال القاطنين في احقر شوارع
 اورشليم محدقة به . فاستأنف يسوع الكلام فاستوقفه القائد
 الروماني بصياحه : صه !

على انه لشدة ما تأثر وجنوده بما كان يلوح على محيا
 يسوع من السمات الجذابة ودلائل الشم الفائق فوقفوا
 مصيحين لاقواله المسترقة الاثقة . قال لهم ان مملكتي هي
 مملكة الحب وانه يدعو فيها الناس الى مواساة البؤساء
 وانتشال المرأة الخاطئة من وهدتها وتخفيف احوال المتعبين
 وارشاد الابن الضال المشفي على الموت جوعاً وتسرية هموم
 العشار المهان . وطفح القلوب بارواح الاطفال الفياضة جلاً
 وطرباً . تلك هي مملكة الاطفال التي يتساهم شعبها الفرح

في الاعراس . والحزن في المآتم مجنبيين ما يسبب النزاع
والخصام وانتفاخ الوداج

فلما سمع القائد الروماني ذلك منه وقف مطاطناً
رأسه اجلالاً له ثم قال لجنوده بصوت خافت : "عودوا الى
حيث اتيتم" فرجعوا الى محكمة العدل
فسأله القاضي : "اين هو . هل جئتم به ؟"

فقال القائد "مامن رجل نطق باقوال هذا الرجل
من قبل :

فسخر منه القاضي ولكن استهزاء القاضي واعضاء
المحكمة به لم يؤثر فيه لانه كان شجاعاً لقد اثر ان يتجلد
على اذرائهم به على ان يلقي القبض على ذلك الرجل
القروي الذي ليس له من يدافع عنه

توالت الايام على هذا الحادث . وفي ذات يوم خرج
يسوع ورجاله فتبعه جمهور غفير فصادفوا في طريقهم نساء
بائسات منهوكات القوى اكثرهن تحمل طفلاً بيدها

الواحدة وتجذب بالآخرى ولذا يسير مجنبها
 تقدمت احدى اولئك الامهات من احد التلاميذ
 مشيرة الى الاطفال والغلمان قائلة : "جئنا نلتبس من
 الطيب العظيم ان يبارك صغارنا"
 فزجرها التلميذ مغتاضاً وابتغى عليه ان يزجج يسوع
 بتوافه كذه ، فضلاً عما ألم به من التعب ، وانتهرهن بقوله :
 "ليكن عنه فهو مسياً"

فالتفت يسوع ليرى ماذا حدث فقال "دعوا الاطفال
 يأتون اليّ ولا تمنعوهم" وهنا جلس رافعاً الى حضنه طفلاً
 معانقاً بالآخرى غلاماً وقف مجنبه ثم استأنف "فان لمثل
 هؤلاء ملكوت السموات . واني لمؤكد لكم انكم ان لم ترجعوا
 وتصبحوا كاحد هؤلاء الاطفال لن تدخلوا الملكوت"
 عند ذلك ارسل نظرة تفيض حناناً ثم عقبها نظرة
 انقباض فقال :

"من يضع ادنى عثرة في سبيل احد هؤلاء كان جديراً

ان يعلق على عنقه حجر الرحي ويطرح في البحر
 ثم عاود اشراق الحب عينيه فبش بوجوه الاطفال
 والتلاميذ وادف: "انكم اذا اكرمتهم امثال هؤلاء الصغار
 فقد اكرمتموني وباكرامكم لي تكرمون الذي ارسلني"
 رجعت اولئك الامهات الى منازلهن لينومن اطفالهن
 وقلوبهن متهللة مستبشرة ببركة المعلم العجيب واسمر يسوع
 متقدماً الى ناحية الجنوب وسط الظلام الى حيث وقف
 امام الكهنة المستهزين والجنود العتاة الى حيث سيلقي
 ضربات السوط وتاج الشوك والمشفقة الرومانية
 ولبت الاطفال ذوو الخدود المتوردة والبشرة
 الزيتونية في رقاهم الهني يتفلقون على مهادهم هاذين في
 احلامهم:
 "..... الاطفال الصغار تعالوا اليّ ملكوت
 السموات"

لما جاء يسوع الى الهيكل في الاسبوع الاخير من حياته
احس من فيه من الغلمان الذين كانوا يتباهون ببركته لهم
ويتהלلون بها بدافع يحرضهم على اكرام وفادته فكان صوتهم
هو الصوت الوحيد الذي ارتفع بتسبيحه خلال تلك الايام
التي اظهر تلاميذه فيها خيانتهم وجبنهم وابدى له فيها
الجنود الرومانيون الغلاظ والكهنة القساة المراءون من
ضروب الاستخفاف والاستهزاء شتى الانواع. كان يهون على
عامة الناس ان يهتفوا ليسوع في ازقة القرى. اما ان يهتفوا
له وسط الهيكل فمسألة فيها نظر لان وجوه الكهنة الكالحة
دلت على استعدادهم للتبرم بهم ومنعهم من تعظيمه. كان
الكهنة اولئك يترصدون السوانح لقتل يسوع تخلصاً منه.
غير ان هناك الغلمان له في الهيكل وارتفاع صوتهم بتسبيحه
"اوصنا وسلام لابن داود" يمثل تلك الحجة البريئة اضاء
المكان فسطعت في ارجائه انوار البشر

فاعترضهم الكهنة المتكبرون بقولهم ليسوع
 "أما نسمع هتاف هؤلاء الاطفال لك ولماذا لانسكتهم
 نسكيناً للضوضاء"

فاجابهم بالهجة تنم عن حزمه
 "انا سامع ما يهتفون به ولكي اسألكم انتم الذين حفظتم
 الشريعة كلها اما سمعتم دهركم ما قيل - من افواه الاطفال
 والرضع هيأت لي تسبيحا"

وهنا صاح الصوت بهم غاضباً "ويل لكم"
 هذا الصوت هو الصوت العذب نفسه الذي كان قد
 رحب بالاطفال وقد ارتفع الآن مهيلاً سيول الاحتقار على
 سامعيه المرائين فتنائر و تنائر اوراق الخريف امام هبوب
 العاصفة

وقف يسوع على شرفة الهيكل صائحاً
 "ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون انكم
 لا تدخلون ملكوت السموات ولا تدعون احداً يدخله .

أنتم تشبهون القبور المكلسة فظاھرھا ظاھر وداخلھا فاسد .
 أنتم قتلة الانبياء تجلدونهم وتقتلونهم . فاني لكم المقدره على
 الهرب من وجه الدينونة !

لقد كان هؤلاء الكهنة منذ ثلاث سنوات دائبين في
 المؤامرة عليه ورسم الخطط لتجريمه ودحض اقواله . ولكنهم
 على ما بهم من جبن لم يجدوا في امكانهم ان يزجروه في السجن
 مخافة ان يثور عليهم الشعب المتعلق به والمستعد للدفاع
 عنه . واخيرا عمدوا الى اخذه بالحيلة واغرائه حيناً بكلمات
 انمليق وحيناً بارسال الجنود محاولة اغتياله

اما اليوم فقد كانت حلقة اعدائه الفساة مطبقة عليه
 من كل جانب . الا ان الصنعة الاخيرة لم تجئ من هؤلاء
 بل من احد افراد حلقة اصدقائه الخاصة تلك الحلقة القوية
 التي صيرھا تعلقها به اقرب الناس اليه . لانه فيما كان الكهنة
 مجمعين للمؤامرة على اغتياله غير واجدين منفذاً يخرجون
 به مرامهم الى حيز الفعل في النهار خشية هيجان الشعب

ولا عالين بمقر يسوع ليلاً على معرفتهم بأنه لا يرقد ضمن
مدينة مسورة قر رايهم اخيراً ان يفاشوه وهو سائر في طريقه
الى مكان راحته ليلاً وبيناهم يتداولون في الامر جاءهم رجل
نقلصت يده وهاجت اعصابه ولاحت على وجهه سمات
الشر - وهو يهوذا - ويقول :
” - انا ارشدكم الى مكانه ليلاً “

” - كم تطلب على ذلك من الاجر “
فاجاب ولطى الشر في عينيه : ” ثلاثين من الفضة “
كان هذا القدر ثمناً للعبد

....

في ذلك المساء تناول يسوع وتلاميذه طعام القصح
في العلية

فغسل يديه وعاد الى حيث جلس تلاميذه منازراً
بالمنشفة. شأن العبد وبدأ يغسل اقدامهم قائلاً : ” عاملوا
بعضكم بعضاً كما عاملتكم انا “

ثم جلسوا للطعام وبين الواه ذاك التابل المؤلف من
 اثني المجفف والخل تذكراً للهراس الذي كان اسلافهم
 يصنونه من الاجر في مصر . فرفع يسوع صوته قائلاً
 ”هوذا يد الذي سيسلمني هي معي على المائدة“

فصاحوا جميعاً من هو . فهمس يسوع في اذن يوحنا
 اقربهم اليه : ”ذاك الذي اغمس اللقمة بالتابل واعطيه“
 لم تمض بضعة ثوان حتى كان يهوذا الشقي المتكى معهم
 قد ازدرد اللقمة ونمض واجمأ تاركاً المائدة

فطلق يسوع بوصي الباقيين من تلاميذه ان يحب
 بعضهم بعضاً كما احبهم وان يذكره حين تناولهم معاً الخبز
 والخمر متنبئاً لهم عما سيصادفون من ضروب الاضطهاد

كان من قبل قد اطلعهم على غايته في الحياة وهي
 تأليف مملكة الحب وبسط لوائه فوق العالم فذكر لهم الآن
 ان يجملوا بالصبر على ما سيجل به والّا تضرب قلوبهم
 ناسياً بادراكه غايته ألا وهي غلبة العالم

ثم اتجه باصدقائه وكان الوقت ليلاً الى بستان الجسمانية
وفيا هم فيه رأوا مشاعل تنقدم منهم تضيء انوارها تلك الظلمة
المحالكة وسمعوا صليل اسلحة . فهب يسوع لاستقبال العصابة
وسال القادمين

”من تطلبون؟“

اجاب فائدهم: ”نطلب يسوع الناصري“
— ”انا هو“

فازور القوم خجلاً ما يضيء في ذلك الحيا المهيب من
شعاع الحب ولكنهم ما لبثوا ان نفوا عنهم الهواجس وسكنوا
ما ثار من جاشهم والقوا عليه القبض وساروا به الى بيت
حنانيا الذي جعل يلقي عليه بعض الاسئلة بينما كان اعضاء
مجلس اليهود الاعلى يتوافدون عليه . ثم استاقوه الى بيت
فيافا رئيس الكهنة فجابه يسوع عربدة الكهنة وازدراءهم به
بدعة وجرأة لم يبدُ عليه معها ادنى اثر للروع . وكان بيت
فيافا هو محكمة العدل الخاصة بمجلس اليهود الاعلى

وما زال قيافا يطرح على يسوع الاسئلة نفسها حتى
صارحه بقوله: "انا المسيح"

فاغلاظوا عليه اللائمة واخذوا عليه مأخذ الكذب
والتجديف على الله فوقف صاحب تلك السيطرة الوادعة
من بعث الميت حياً وإبرأ المريض من دائه بين اولئك
السفهاء العاتين الملتقين انفسهم بخدام الله صابراً على مضض
الهوان وانهم يال بصاقهم على وجهه وصفعهم خديه وتحسيسهم
الجنود الرعاع على جلده وعصيم عينيه قائلين له سخرأ منه:
"احزر الآن ايها النبي من ضربك"

ان وقفته بينهم تلك الوقفة التي تمثل فيها الشم والجلال
الملكي وهم منعكفون على جمع كل قوتهم في ضربه ضربات
متوالية حتى كلت منهم السواعد. هي تعمري البطولة الفائقة
بل هي امسى من البطولة

ولما لاحت تباشير الصبح سبق يسوع من قصر قيافا
رئيس الكهنة الى قصر بيلاطس البنطي حاكم اورشليم. وفيما

هو على طريقه اليه وفرت اذنه اخيرة اللعنات وهي قول
بطرس القحور الشجاع متلججاً للجارية التي وجه اليها الخطاب :
”لم نسبق لي معرفة بهذا الرجل من قبل“

تخطى يسوع باحة القصر الروماني المرمرى مثقل اسمع
بذلك الانكار النظيف للثول امام ييلاطس ذي الوجه
الكالح المكفهر . فتركه الكهنة اعضاء مجلس اليهود الاعلى
ليعتقدوا اجتماعاً في محكمة الهيكل يتآمرون فيه عليه . ولكنهم
ما كادوا يجاوزون الباب حتى انتصبت امامهم قامة رجل
مرتعد الفرائص مكفهر الوجه محمر العينين دلت جملة ملامحه
انه لم يذق في تلك الليلة لشدة ما نزل به من الرعب طعم
الرقاد . فصاح بهم :

”لقد سلفتمكم دماً بريئاً واجترحت اثماً كبيراً“

ذلك الرجل هو يهوذا

فاجابه الكهنة المتبخون مزدربين به : ”وماذا بهما
من امرك؟“

ثم جذبوا اهداب جلاييمهم وابتعدوا عنه .

فقدف يهوذا الثلاثين من الفضة الرنانة الى الارض
المبلطة بالمرمر وخرج هائماً على وجهه لا يدري الى اين
يذهب ولا الى اين يلجأ . وقد ملأت تلك الرويا الخيفة
الهائلة لذهنه قلبه ذعراً ألا وهي صورة التنكيل بزعيمه الخطير
وصديقه المحميم المحكوم عليه ان يموت مصلوباً

في تلك البرهة كان يسوع مائلاً امام ييلاطس الحاكم
الروماني المتكبر بهيئة لا يتوسم احد - حتى ييلاطس نفسه -
في ما يحللها من سورة الشتم المهيب حتى يرهب جانبه ويجل
شأنه

تفرس ييلاطس في ذلك المحيا الساكن المطهر
وفي جرأة تينك العينين وقال :

- انت ملك اليهود ؟

فجاءه الجواب - ان ملكتي ليست من هذا العالم

- اذن انت ملك ؟

ثم اخرجهُ بيلاطس خارجاً وقال للمدعين عليه لا ارى
على هذا الرجل من غبار يستحق عليه العقاب . فهاج القوم
وماجوا ونعالت زعقاتهم وجعلوا يصيرون عليه من التهم
المتصاعدة من كل جانب مطالاً

فمر قول احدهم " انه جليلي " بسمع بيلاطس فقال :
— اما وهو جليلي فهو اذن تحت سيطرة هيرودس
فاعهدوا بسحاكنه اليه

فوقف يسوع في حضرة هيرودس ذلك الثعلب
المراوغ والوحش الضاري الغدار الذي قطع راس يوحنا
المعمدان ، اجل وقف صامتاً ازاء اوردرائه به البليغ الذي
خلع عليه فيه حلة له عنيفة امر خدامه ان يأتوه بهامن صندوقه
القديم تحريضاً للناس على الاستهزاء بهذا الملك المستخرة . بيد
ان شجاعة يسوع وانفته الشاهلم تغارقا هيئته مدة سيره عائداً
الى بيلاطس بين تهمك الناس عليه وازدرايم به كأنه ليس
من شيء مجري حولة

وقد كان هيرودس قد اعاده الى يلاطس قائلاً له :
 "لم أر من ذنب لهذا الرجل يستحق القصاص عليه فمرّ بجلده
 ثم اطلق سراحه"

فامر يلاطس بجلده فاقبل عليه الجنود الضواري
 يمزقون الحلة الملكية وما تحنها من لباسه الكتاني البسيط عن
 ظهره ثم دنا منه جندي متين العضلات معرياً ساعديه اخذاً
 بيده عدة شرائط من الجلد مثقلة الاطراف بكرات الرصاص
 وقطع العظم المرهنة الروؤوس فبرمها وانهمال على ظهر
 يسوع العاري بضربات متتالية حتى تقجرت دماؤه

ثم اعادوا الباسة الحلة الارجوانية وتوجوا راسه فوقها
 باكليل ضفيرة له من الاشواك الصلبة الناعسة ووضعوا
 في يده قصبة كناية عن صولجان الملك زراية به وبصقوا على
 وجهه وصنعوا خديه

انه لشهد يصدع ولا شك فؤاد الجلود ويلين قلوب
 الكهنة والعامة القاسية رحمة له . غير ان انتصاب يسوع

في مشيئه على شدة امتناع مجاه الشفيق المجرور وجهته
 الدامية زادت في تنكرهم له واثارت كمين احقادهم فجعلوا
 يصيحون كمن بهم مس من الجنون : اصلبه . اصلبه
 فسلمه بيلاطس اليهم ليصلب

كان هناك كومة من المشائق التي بعضها فوق بعض
 فتناول الجنود احداها وطرحوها على ظهر يسوع المترضض
 الدامي ليجعلها في طريقه الى الاكمة التي سيصلب عليها
 ظل يسوع خلال محاكمته بطولها ثابت الجنان
 لا تساوره ادنى تهيب او رعدة . اما الآن وقد بلغ باب
 المدينة حاملاً صليبه اما الآن وقد عملت ضربات الشياطين
 اخيراً عملها فيه فقد سقط تحت فداحة العبء مغشياً عليه
 فتقدم رجل يهودي يقطن في شمال افريقيا وحمل الصليب
 الى راس الاكمة . كل هذا والكهنة جذلون مغتبطوا القلوب
 يفرطون في الضحك الا النساء والاطفال الذين لم يبيكهم من
 القوم الا هم وكان صوت نحيبهم قد طرق مسمع يسوع خلال

الأمم - فالتفت اليهم الآن هاتفا بهم -
 "يا بنات اورشليم لا تبكين عليّ بل ابكين على ما
 سيعانيه بنوكنّ وبناتكنّ"

ولما بلغوا قمة الاكمة جلدوه ثانية وتقاسم الجنود اثمائه
 والقوا الصليب على الارض واضجعوا يسوع عليه وسمروا يديه
 ورجليه اليه كل هذا دون ان يعتري عزيمة وهم او شجاعته
 فتور بل ظل صابراً الى النهاية حتى بلغ من فرط شجاعته
 ان يرفض الشراب الذي قدموه له وان تدركه الرحمة على
 معذبيه الفساة فيصلي لهم :

"يا ابناه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون"

دام اجل احتضاره ست ساعات الى ان علا اخيراً
 هتاف الانتصار: "قُضي الامر"

وفيا النجوم تلمع في كبد الافق أنسل اصدقاء يسوع
 تحت جنح الدجى فواروا جثته في التراب ودحرجوا حجراً
 على فوهة القبر

ولما لم يقوَ بطرس ورفاقه على تخفيض روعهم خرجوا
الى البحيرة واخذوا ينهلون بصيد السمك حيث احيوا ليلتهم
واذا هائف يصيح بهم آتيا مع انوار الفجر "هل من
سمك لديكم ايها الرفاق؟"

— "كلا" كذا كان جواب الرجال

قال الهائف: اطرحوا الشباك في الطرف الثاني من
البحيرة

ففعّلوا فطمت من السمك فادرك بطرس في لحظة
المعنى المراد فالتقى بنفسه من القارب الى الماء وحذا الباقون
حذوه وقد فهموا من ذلك ان يسوع بعث حياّ وانه صرع
الموت وانه الآن آتٍ على عادته في الايام الغابرة لزيارتهم
ثم جلسوا يتناولون طعام الصباح وكانت آخر لفظة فاه
بها على مسامعهم في ذلك الحين هي الكلمة الاولى نفسها التي
نطق بها قبل ثلاث سنوات على ذلك الشاطئ بعينه
وهي "اتبعوني"

حدث بعد ذلك انهم فيما كانوا معه ذات يوم على
الجبيل ابصروه يرتفع مبتعداً عنهم الى السماء فحدقوا بابصارهم
اليه حتى غاب عنهم وأخذ منهم . على ان ذلك البطل المجيد
لم يفارق اتباعه في الواقع ابداً

كل بطل وبطلة جاء ذكرها في هذه القصص المبينة
امجد الغايات تثبت لنا الوعد الذي قطعته يسوع لتلاميذه
”حيث يجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون بينهم“
و”انا معكم في كل حين“

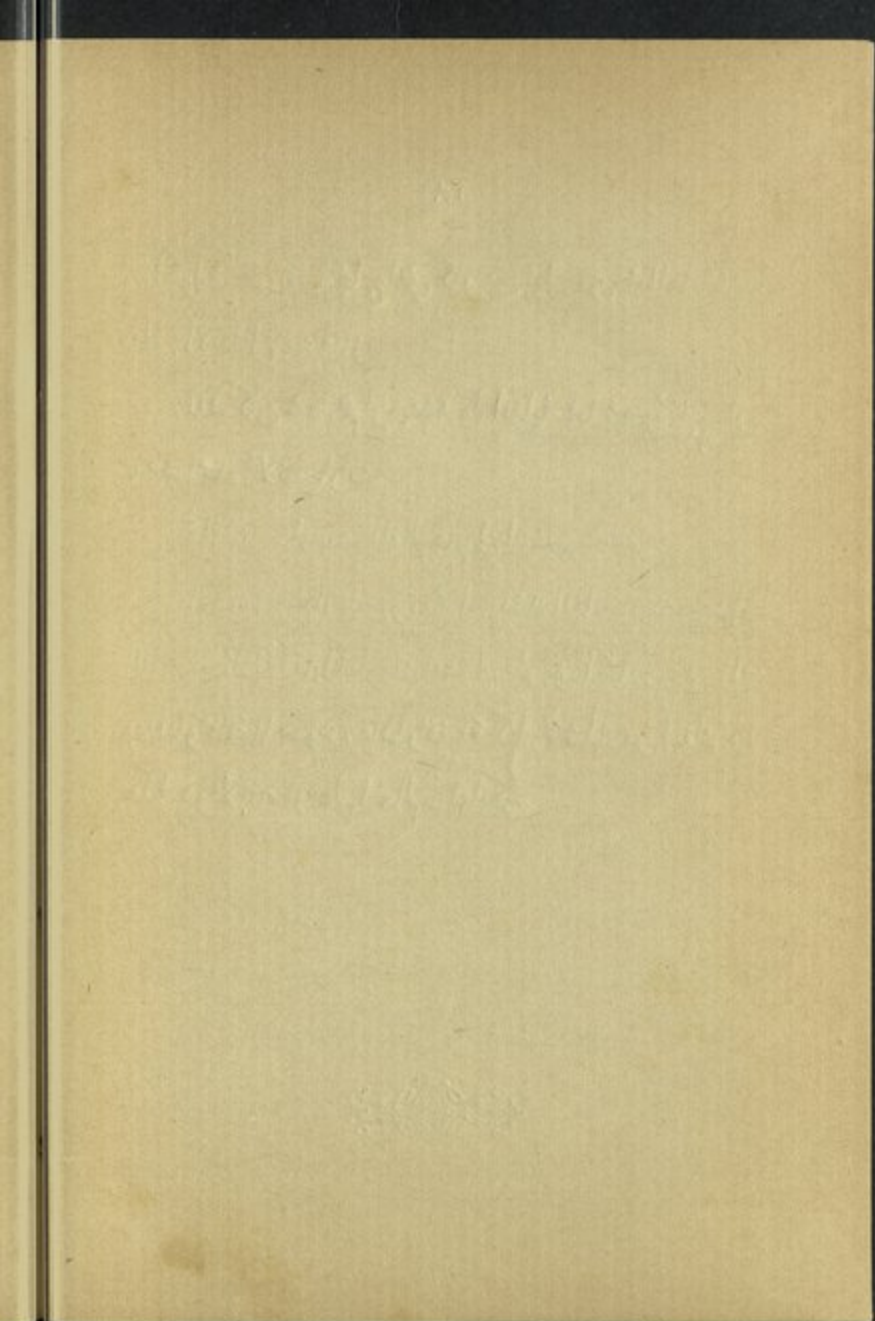
ان الابطال والبطلات كغلاهاد ولويس وجان دارك
وبطرس وبولس وابراهيم لنكن والاخت دورا قد تاقوا الى
ادراك الغاية السامية وهي الحياة الكاملة . كانت غايتهم التخلق
بمخلات يسوع . على انه هو وحده الذي استطاع ان يحيا
حياة كاملة منزهة عن كل شائبة . اما هم فقد اقتفوا اثره

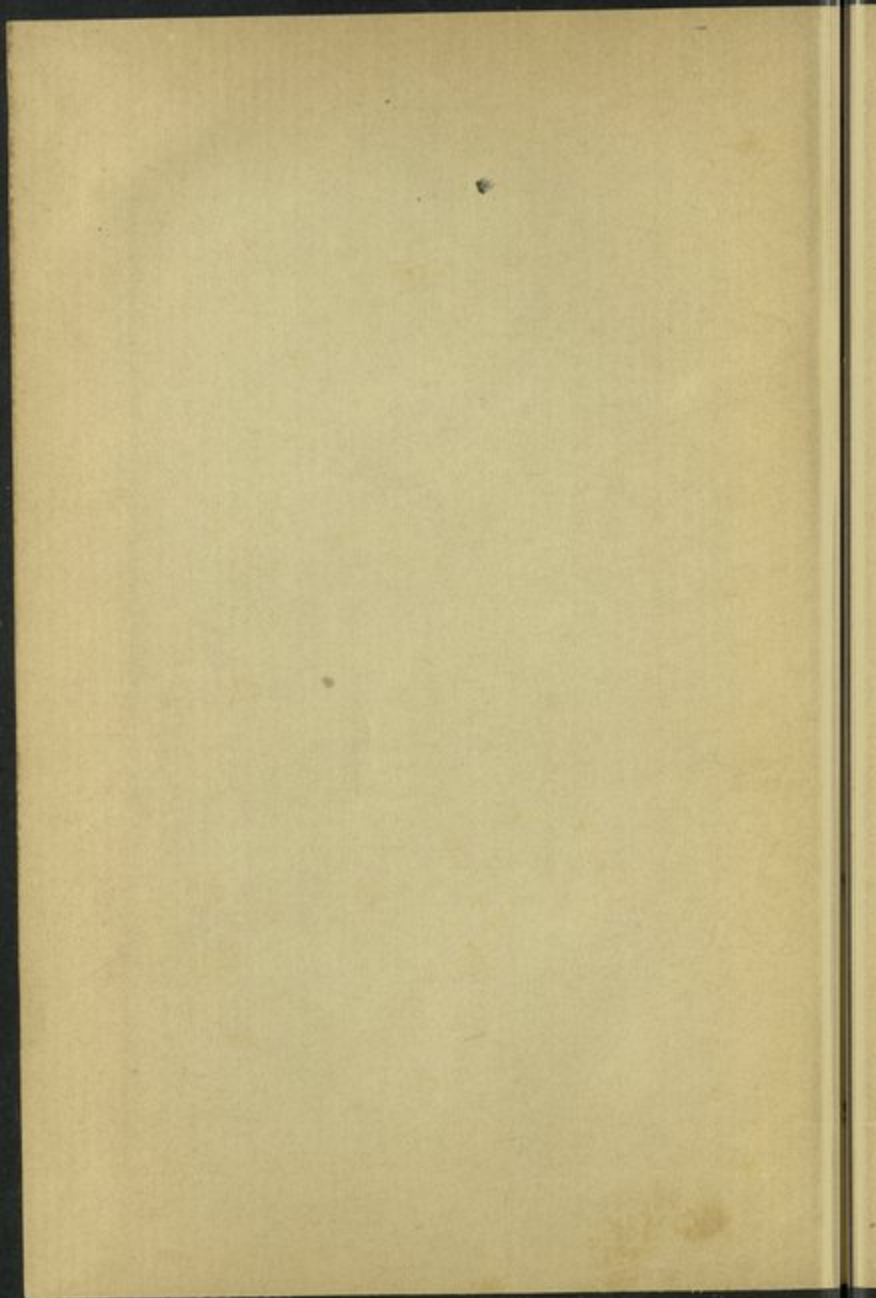
وسلكوا في طريق الحجاج التي كان اول من تخطاها هو -
بطل الابطال - ففاز

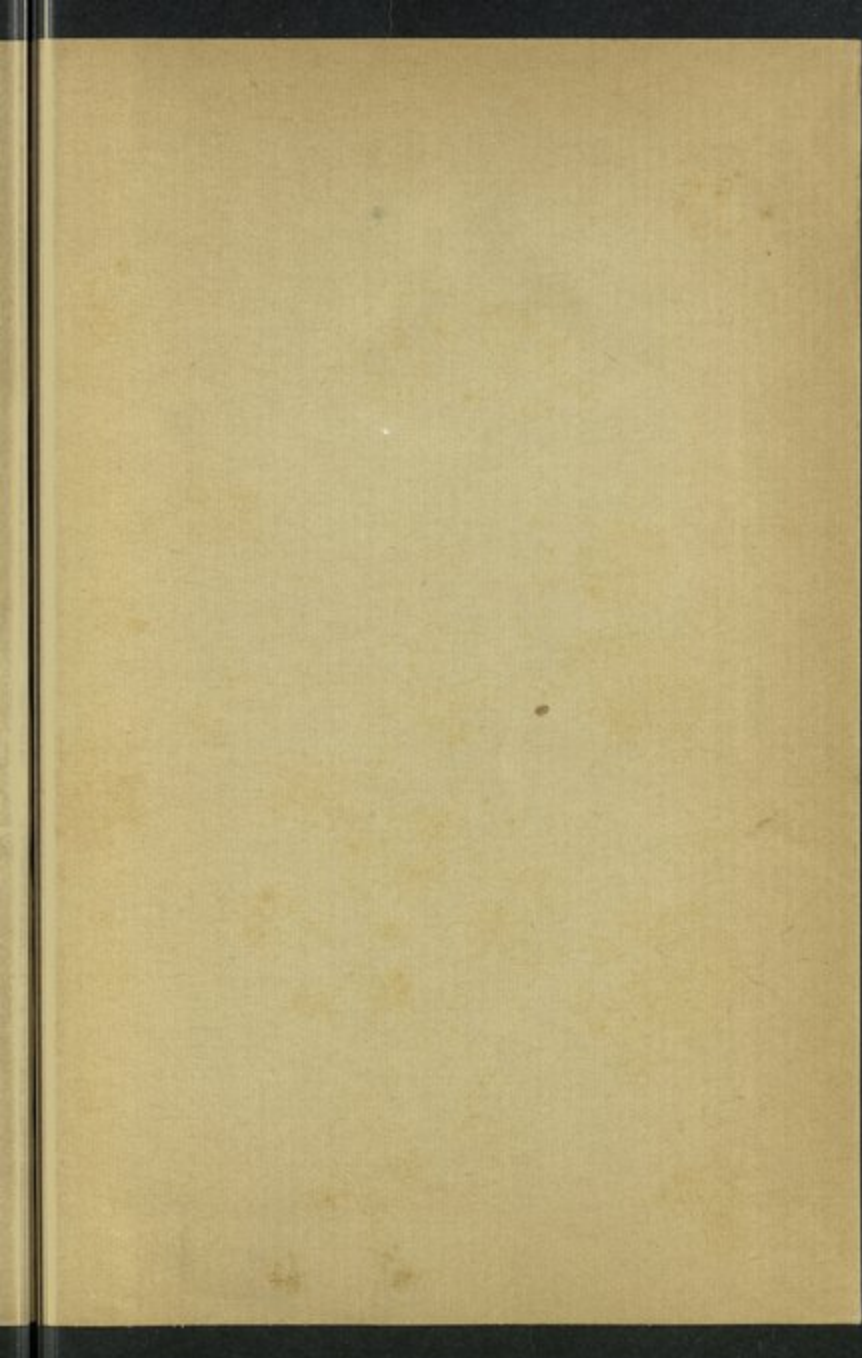
لقد كان شطرهم ان ينشدوا الغاية اما شطره فهو ان
ينشد امجد الانتصارات

قال : حاربت العالم فتم لي التغلب عليه
اننا نستطيع ان نصبومعه الى نشد الغاية فحيث يجتمع
اثنان او ثلاثة فتينانا او فتينات في طريق الحجاج فهناك
بطلنا ومخلصنا يسوع . فاذا رافقناه كنا ولا شك من الفائزين
هذا هو الانتصار على العالم - ايمانكم











DATE DUE

1	2	3
4	5	6
7	8	9
10	11	12
13	14	15
16	17	18
19	20	21
22	23	24
25	26	27
28	29	30
31	32	33
34	35	36
37	38	39
40	41	42
43	44	45
46	47	48
49	50	51
52	53	54
55	56	57
58	59	60
61	62	63
64	65	66
67	68	69
70	71	72
73	74	75
76	77	78
79	80	81
82	83	84
85	86	87
88	89	90
91	92	93
94	95	96
97	98	99
100	101	102

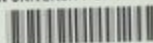
A.O.B. LIBRARY

CA:220.092:M429aA:c.1

عجنى، ماري عبده

The splendid que = امجد الغايات

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01066942

CA:220.092:M429aA

ماثيوز •

امجد الغايات •

CA
220.092
M429aA

CA
220.092
M429aA
C.1

92
aA